ما بعد كربلاء

الشيخ محمود قانصو العاملي الشهابي

دار ومكتبة
أنوار الولاية
بيروت - لبنان

ما بعد كربلاء

الكتاب: ما بعد كربلاء
المؤلف: الشيخ محمود قانصو العاملي الشهابي
عدد الصفحات: ٢٨٨ صفحة

سنة الطبع ٢٠١٢

الناشر:

دار ومكتبة
أنوار الولاية
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٠٩٦١٣٢٩٨٥٥٩
www.anwar-alwilaya.com
للتواصل: info@anwar-alwilaya.com

التوزيع:

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الإسلامي - بناية حطيط
هاتف:0096170878835 / 0096113514905 تلفاكس: 009611553119
تشرف بالتواصل معكم: E-mail:Albalagh-est@hotmail.com

ISBN:6589-09-814-X

ما بعد كربلاء

الشيخ محمود قانصو العاملي الشهابي

دار ومكتبة
أنوار الولاية
بيروت - لبنان

مدخل

إن إنحراف أمة محمد ﷺ عن قيادتها الإلهية المتجسدة بالأئمة المعصومين أولي الامر من أهل بيت نبيهم كانت فاجعة عظمى ومصيبة كبرى أصابت الأمة بإثم عظيم أحاط بها حتى رأسها. فأصبحت الأمة جسدا بلا رأس، والرأس لا غنى للجسد عنه، ويستحيل أن تتم أموره وأن يكون جسدا طبيعيا إلا به.

لقد استمر هذا الإنحراف الخطير يشتد ويوغل في الظلمات حتى بلغ الذروة التي ما بعدها شيئ عندما أقدموا على استئصال ذرية محمد ﷺ وذبح ريحانته وسبطه ووصيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومعه سبعة عشر بدرا من صلب علي وفاطمة صلوات الله عليهما كما جاء في بعض الأخبار، وقتلوا معهم جماعة من أصحابهم الأبرار.

وكان أشد ما في هذه المأساة على قلب الرسول ﷺ وأولياء الإسلام هو أن الأمة كلها _ إلا نذر قليل _ اشتركت في ارتكاب هذا العمل الشنيع، وإنما أقول الأمة كلها وأشدّد على ذلك لأن الأمة كلها كانت ما بين آمر أو فاعل، أو مشارك بيده وسيفه أو مجلب بخيله ورجله، أو مدد ومعين، أو مؤيد بلسانه أو راضٍ بجنانه أو ساكن بخذلانة ينظر إلى ذرية محمد ﷺ وهي تُضطَّهد وتُظلم وتُقصى وتُهضَم حتى ألفوا ذلك واستانسوا به مما شجعوا خليفة الإسلام!!! وأمراء المؤمنين!!! على أن يقومو بهذا العمل الشنيع بحد ذاته بطريقة مهولة زادت في شناعة هذا العمل شناعةً، وفي قباحته قباحةً، وفي هوله هولاً عندما قامو بهذا العمل بكل برودة أعصاب بل كانو يلعبون ويمرحون ثم أمروا خيالتهم فطافوا على أجساد الشهداء من ذرية محمد ﷺ وهي ملقاة على صعيد الأرض، ثم رفعوا رؤوسها على أطراف الرماح ثم سبوا نساء محمد ﷺ كأنهن نساء الكفار، ثم طافوا بنساء محمد ﷺ ورؤوس ذريته في قرى ومدن الإسلام الذين كانوا يستقبلون هذا الموكب بالابتهاج والأفراح والرايات ودق الطبول والأهازيج.

وكما كان انحراف الأمة عن قيادتها الإلهية هو الحدث المركزي في قضية الله تعالى في الأرض في فترة ما بعد النبي محمدﷺ كان استشهاد الحسينعليه السلام هو الحدث الذي كان قلب الحدث المركزي لأنه مثّل ذروة وقمّة التضحية الإلهية في مقابل ذروة وقمة الإنحراف البشري، وبذلك كان هذا الاستشهاد الفريد هو العنوان الأشد بريقاً للطهارة والقداسة وكل خير، كما كان قتله وظلمه في الطرف المقابل هو العنوان الأشد ظهوراً للقذارة واللعنة وكل شر.

هكذا شاء ربُّك جلَّت حكمته وتعالت كلمته أن يكون الحسين بن فاطمة بنت محمد ﷺ هو ضحيَّة الله، وأن تكون دماؤه الزكية هي المدد الإلهي والوقود الرباني العجائبي الذي منع وما زال يمنع نار الإسلام من أن تخبو أو تخمد.

ولهذه الأهمية الإلهية ركز الأئمة الأطهار العارفون بأسرار الله تعالى على مأساة الحسين عليه السلام وعلى رفع رايته وعلى نشر كلمته وعلى بيان قضيته وعلى الجزع على مصيبته في ضمن كتلة عظيمة من أفعالهم المنسجمة مع هذه الحقيقة الإلهية وضمّوا إليها كتلة عظيمة هائلة من الأقوال المبيّنة لعظيم وقع مأساة الحسين عليه السلام، والتي تحث المسلمين وشيعة آل محمدﷺ ومحبيهم علَى الإنضمام إلى الحسين عليه السلام والانسجام مع قضيته الإلهية.

إن هذه الأفعال والأقوال الصادرة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في شأن قضية استشهاد الحسين عليه السلام قد بلغتنا وبلغت كل مسلم بنحو متواتر تواتراً عظيماً بحيث فهم جميع طبقات المسلمين من أعلاهم حتى أدناهم علماً وفهماً وادراكاً أن مظلومية الحسين عليه السلام هي قلب الحدث المركزي في قضية الله تعالى شأنه في هذا الكون في كامل الفترة الزمنية الممتدة من حين وقوع هذا الحدث المهول ـ سنة ٦١ هجرية ـ إلى حين خروج وقيام حفيد الحسين الإمام القائم ـ روحي فداه ـ الذي سيتولى إعادة الأمور إلى نصابها وتقويم الإعوجاج وإصلاح الإنحراف وبالتالي إزالة الإثم الذي أحاط بالأمة.

وعندما نقول أن استشهاد الامام الحسين عليه السلام هو قلب قضيّة الله تعالى في أرضه في كامل هذه الفترة الزمنية الطويلة نسبيّاً فنحن نؤمن بهذه المقولة حتى قعر أعماقها إيماناً مطلقاً، وربما ندَّعي وعيها وفهمها الى حد بعيد وعياً مستفاداً من الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهارعليهم السلام.

وليست هذه المقولة مجرّد مقولة أسطورية تعيش في أعماق المؤمن إحياءً للماضي الغابر أو للمعاني السامية في نفسه.

كما أنها ليست مجرد مقولة عاطفية تدغدغ الشعور ويعيشها المؤمن وفاءً لمقدساته دون أن يكون لها دعوة تحرِّك نحو هدفها وتكون مؤثرة ومتأثّرة بالواقع الحي.

بل ان هذه المقولة مقولة حيّة ذات أهداف حية، أما حياتها فهي بكل وضوح أن البشرية الفاجرة عندما فصلت رأس الحسين عليه السلام عن جسده الشريف فإنما في حقيقة الأمر قد فصلت رأسها عن جسدها، فأضحت بالتالي جسداً لا رأس له بكل ما لهذا التمثيل من مداليل والتي منها أن البشرية أضحت متخبطة عمياء يستحيل صلاحها حتى يعود رأسها.

وأما حياة أهدافها فهي أن الصالحين من شيعة الحسين عليه السلام يعيشون هذا الهم ويسعون بكل قواهم الى ربط الأمة برأسها، وهذا السعي هو السعي نحو تعميق فهمهم وارتباطهم والتزامهم بمفهوم ومصداق الإمامة الإلهية المعصومة، والسعي نحو انتشار وتعميق هذا الفهم والارتباط والالتزام بين الناس حتى يعم الأمة جميعاً أو المقدار اللازم المستدعي إلهيا للإذن المرجو لخروج الامام القائم عجل الله فرجه روحي فداه والذي على خروجه فقط يتوقف صلاح البشرية.

هذه هي قضية الله تعالى في أرضه أعني خلافته تعالى في الأرض، وهذا هو الهم الأساسي عند رسل الله تعالى من أولهم آدم عليه السلام الى خاتمتهم وسيدهم محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا هو الهم الأساسي عند أئمتنا من لدن أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام الى خاتمتهم القائم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا هو الهم الأساسي الذي يجب أن يعيشه كل مؤمن صالح منقاد لهؤلاء القادة الطاهرين الأبرار، وأما الهموم والقضايا الأخرى فهي مهما تعاظمت أهميتها في الحياة الدنيا الفانية أو تعاظمت نسبة حقّانيتها وقربها من الحق فلا تعدو أن تكون همّا ثانوياً وقضية ثانوية لأن كل هذه المشاكل الأخرى إنما نتجت من ثمرات الشجرة الخبيثة الملعونة أعني شجرة تغييب الامام المعصوم التي طالما هي موجودة طالما ستنتج مثل هذه الثمرات.

ومن هذا المنطلق شرع الرسول صلى الله عليه وآله في بيان قضية الحسين عليه السلام بلسانه ودموعه وعبراته وعباراته، واستمر على ذلك ائمتنا عليهم السلام والصالحون من أتباعهم، وتعاظم ذلك الأمر فور تحقق الفاجعة واستشهاد الامام الحسين عليه السلام، وما زالت هذه السيرة هي سيرة الأو لياء الصالحين من موالي أئمتنا الطاهرين حتى يومنا هذا.

ومن هذا المنطلق أيضاً تملكني أنا العبد الظالم لنفسه بذنوبه والجاني على قلبه بعيوبه رغبة

عارمة أن يكون لي في هذا النهر المقدس الجاري قطرة، فكتبت هذه الصفحات عسى أن يقبلها الرحمان فيدرجني بلطفه وبرّه وإكرامه في موالي الحسين عليه السلام وخدامه.

ولقد عمدت في هذه الصفحات الى شرح ما جرى بعد استشهاد الحسين عليه السلام من الأحداث التي تعد من آثار استشهاد الحسين عليه السلام وتوابعه، ولقد عمدت الى سرد الأحداث والأخبار دون التعرض لمصادرها أو رواتها نظراً لأن سائر هذه الأحداث والأخبار منقولة من مصادر مشهورة معروفة لدى المتتبعين، وإنما كان عملي هو جمعها وتصنيفها مبوّبة على أبواب.

وكان سبب تركيزي على هذه الجهة من جهات الحدث الكربلاتي المقدس ـ بعد قلّة تصنيف علمائنا رضوان الله عليهم فيها ـ هو أهميتها الرفيعة من حيث إمكانية انتقال القارىء من عظيم آثار الحدث ونتاتجه الى إدراك جوانب من عظمة وأهمية ذات الحدث.

هذا ولقد رأيت بعد التأمّل أن هذه الأحداث تنقسم إلى أقسام ستة، فقسّمت الكتاب على أساسها إلى ستة فصول:

١ ـ الفصل الأول: ما جرى على أجساد الشهداء وسمّيته بـ(أحوال الأجساد).

٢ ـ الفصل الثاني: ما جرى على النساء والذريّة، وسمّيته بـ(أحوال السبايا).

٣ ـ الفصل الثالث: ما جرى من أحزان ومآسي على الكون، وسمّيته بـ(حزن الكائنات).

٤ ـ الفصل الرابع: انتقاض ممالك الإسلام وخلافاتها، وسمّيته بـ(إنتقاض الممالك).

٥ ـ الفصل الخامس: إنتفاض الشيعة وتحركاتهم المتواصلة للإنتقام والتكفير، وسمّيته بـ(إنتفاضة الشيعة).

٦ ـ الفصل السادس: ثورة المختار الثقفي وقتله لأعداء الله وقتلة الحسين عليه السلام وسمّيته بـ(ثورة المختار والأخذ بالثأر) وأحداث هذا الفصل وان كانت تدخل في أحداث سابقة الا أنّي ارتأيت فصلها لعظيم أهميتها وكثرة احداثها.

ثم ختمت الكتاب بخاتمة بها يتم الكتاب الذي أرجو أن يقبله الله تعالى ويثيبني بكرمه خير الثواب وأن يغفر لي ولوالدي وولدي وإخواني المؤمنين يوم الحساب.

الفصل الأول

أحوال الأجساد الطاهرة

الباب الأول

الأجساد في كربلاء

بعد انقضاء المعركة ما كان من الجيش اليزيدي العاتي إلا أن أبرز ما أكنته قلوبهم من غلٍ وحقد ولؤم وخبث وحقارة على أهل بيت الطهارة، وذلك برز في الأفعال التالية:

١- فصل الرؤوس:

١ ـ في ذروة خاتمة معركة كربلاء كان الإمام الحسين بن علي عليه السلام صريعاً على أرض كربلاء يجود بنفسه ويناجي ربَّه، وإلى جانب منه كل جنوده وأصحابه شهداء صرعى مضرَّجين بدمائهم الزكية، وكان جيش يزيد بزعامة عمر بن سعد لعنهم الله تعالى قد استبدَّ بأرض المعركة حتى أحسَّ بنشوة النصر على آل بيت محمد صلى الله عليه وآله.

ظل الحسين عليه السلام صريعاً على الأرض وقتاً ما... حتى استطال أعداؤه عليه هذه اللحظات وبخلوا عليه بلحظات أخرى يستتم بها مفارقته الدنيا... عظم عليهم أن ينتظروا لحظات أخرى هي الوقت الكافي حتى تفارق روح الحسين عليه السلام جسده الصريع المصاب بثلاثمائة وبضعة وعشرين طعنة برمح أو ضربة بسيفٍ أو رميه بسهم، فكم عسى أن تطول لحظات مفارقة الروح لهذا الجسد...لكنهم قوم قد عُجنوا باللؤم والجبن والحقارة فاستعجلوا قطع رأسه مع أنه ما زال على رمق من الحياة... ما زال ينظر.... وربما ينطق بحروف... فقال عمر بن سعد لجلوازه شمر بن ذي الجوشن: إنزل واقطع رأس الحسين عليه السلام ، نزل، تقدم إليه، فلما بصر به الحسين عليه السلام، ذكر له أن جده الرسول صلى الله عليه وآله قد أخبره أن كلب أبقع يلغ في دماء آل محمد صلى الله عليه وآله وله شعر كشعر الكلاب والخنازير، غضب الشمر اللعين وجعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام حتى استتم اثنا عشر ضربة، وفي هذا الوقت بالذات أمر الله تعالى منادياً ينادي من بطنان العرش: ألا أيتها الأمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها لا وفَّقكم الله لأضحى ولا فطر. وضجَّت الملائكة إلى الله بالبكاء، وقالت: يا رب، هذا الحسين عليه السلام صفيك، وابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله، فأقام الله تعالى ظل القائم عجل الله فرجه، وقال: بهذا انتقم لهذا.

لحظات خطيرة على الكون فارتفعت في السماء غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها ريح حمراء لا ترى فيها عين ولا أثر حتى ظن القوم أن العذاب قد وقع، فلبثوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم ورأس الحسين عليه السلام مفصول عن جسده، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم عمدوا إلى جثث الشهداء أصحاب الحسين عليه السلام ففصلوا الرؤوس عن الأبدان حتى غدت الجثامين الطاهرة بلا رؤوس.

وكان عدد الشهداء من بطن فاطمة عليها السلام خاصة سبعة عشر نفساً، كما روى بعض أئمة العامة، ومنهم أبو القاسم الطبراني قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا عبد السلام بن عاصم الرازي، ثنا يحيى بن ضريس (حيلولة) وروى الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا أبو نعيم (حيلولة) وروى خليفة بن خياط، قال: حدثنا الحسن بن أبي عمرو، كلهم قالوا: حدثنا فطر بن خليفة قال: سمعت منذرا الثوري، قال: ابن الحنفية: قتل مع الحسين بن علي سبعة عشر كلهم ممن ارتكض في بطن فاطمة عليها السلام(١).

وروى الهيثمي مثله، ثم قال: رواه الطبراني باسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح(٢).

وروى علي بن محمد العلوي، حدثني شيخ الشرف، قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا ابن دينار، عن ابن عبدة، عن خليفة، عن الحسن بن أبي غرة، عن منذر الثوري، عن محمد بن الحنفية قال: قتل مع الحسين بن علي عليه السلام ستة عشر رجلا كل منهم قد ركض في بطن فاطمة عليهم السلام والرضوان(٣).

وقد ينبغي لنا هنا أن نذكر أن بعض أصحاب الحسين عليه السلام وصلوا كربلاء بعد فوات الأوان، فأصابهم من عظيم الكآبة والحزن والندم ما الله تعالى به عليم، ومنهم من أبى إلا اللحاق بسيده الحسين عليه السلام، ومن هؤلاء الهفهاف بن المهند الراسبي البصري، فقد روى الزبير بن الفضيل الرسان في رسالته في تعداد أصحاب الحسين رقم ١٠٧، قال: وخرج الهفهاف بن المهند الراسبي، من البصرة، حين سمع بخروج الحسين عليه السلام، فسار حتى انتهى إلى العسكر بعد قتله فدخل عسكر عمر بن سعد، ثم انتضى سيفه، وقال: يا أيها الجند المجند، أنا الهفهاف بن المهند، أبغي عيال محمد صلى الله عليه وآله، ثم شدَّ فيهم.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٧٩، المعجم الكبير ج٣ص١٠٣ح٢٨٠٥وج٣ص١١٩ح٢٨٥٥

(٢) مجمع الزوائد ج٩ص١٩٨

(٣) المجدي في أنساب الطالبين ص١٤

قال علي بن الحسين عليهما السلام: فما رأى الناس منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، فارسا - بعد علي بن أبي طالب عليه السلام - قتل بيده ما قتل، فتداعوا عليه خمسة نفر، فاحتوشوه، حتى قتلوه، رحمه الله تعالى.

٢_ اقتسام الرؤوس:

بعد ان فصلوا الرؤوس اقتسموها فيما بينهم لينالوا الجاتزة عليها، وكانت القسمة كما ما يلي:

أ _ قبيلة كندة وعلى رأسها قيس بن الأشعث ولها ثلاثة عشر رأسا.

ب _ قبيلة هوازن وعلى رأسها شمر بن ذي الجوشن ولها اثنا عشر رأساً، وقيل: عشرون، وقيل: اثنان وعشرون.

ج _ قبيلة تميم وعلى رأسها الحصين بن نمير ولها سبعة عشر رأساً، وقيل: تسعة عشر.

د - بنو أسد وعلى رأسها هلال الأعور ولها ستة عشر رأساً، وقيل: تسعة رؤوس، وقيل: ستة رؤوس.

هـ- بنو مذحج ولها سبعة رؤوس.

و - قبيلة الأزد وعلى رأسها عيهمة بن زهير ولها خمسة رؤوس.

ز - قبيلة ثقيف وعلى رأسها الوليد بن عمرو ولها اثنا عشر رأساً.

ح _- سائر الناس تقاسمت ثلاثة عشر رأساً وقيل: باقي الرؤوس.

ط - وأما رأس الحسين بن علي صلوات الله عليه فكان مع خولي بن يزيد الأصبحي، ويقال أن سنان بن أنس النخعي كان يحمي رأس الحسين ويشد على كل من يقترب منه كي يبقى من حصته لينال جائزته وأنه هو الذي أعطاه لخولي بن يزيد.

وكانت هذه الرؤوس منها ما يرفع على أطراف القناة والرماح كما هو حال رأس الحسين عليه السلام، ومنها ما يعلق في عنق الفرس كما هو حال رأس حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله تعالى عليه.

ي ــ وأما الحر بن يزيد الرياحي رضي الله عنه فقد منعت عشيرته بنو رياح قطع رأسه وأخذت جسده كاملاً ودفنته في حيِها.

٣- سلب الجثث

وقام أعداء الله بسلب جثث الشهداء كما سلبوا معسكر الحسين عليه السلام، وكانوا يأتون الى جسد الشهيد وينزعون ما عليه من درع أو خاتم أو رداء او نعل حتى يتركوا الأجساد الشريفة مجردة عارية ولم يراعوا أي حرمة، حتى أنهم لم يستثنوا من هذا العمل الشنيع جسد الامام الحسين عليه السلام وكان على هذا النحو:

١ ــ برنس الحسين عليه السلام: سلبه مالك بن اليسر وكان هذا البرنس من خزّ، وقد امتلأ من دماء الحسين عليه السلام.

٢ ــ سراويله عليه السلام: أخذها بحير بن عمرو الجرمي فصار زمنا مقعدا من رجليه.

٣ ــ سروال من حبرة كان الحسين عليه السلام قد مزّق هذا السروال ولبسه تحت ثيابه حتى لا يجرد ولكن أبجر بن كعب التميمي سلبه وترك الحسين عليه السلام مجرداً، فكانت يداه بعد ذلك تيبسان في الصيف كأنهما عودان ويترطبان في الشتاء فينضحان دما وقيحاً حتى مات وروي مثل ذلك في مالك بن اليسر الذي سلب البرنس.

٤ ــ قميصه عليه السلام: سلبه إسحاق بن حويه الحضرمي ولبسه فصار أبرص وامتعط شعره.

٥ ــ عمامته عليه السلام: سلبها أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي، وقيل: بل سلبها جابر بن يزيد الأودي فاعتم بها فصار معتوهاً وقيل صار مجذوماً.

٦ ــ درعه عليه السلام: سلبها مالك بن بشير الكندي فصار معتوهاً.

٧ - نعلاه عليه السلام: سلبها الأسود بن خالد.

٨ ــ خاتمه الشريف عليه السلام: سلبه بجدل بن سليم الكلبي، وقد قام هذا الكلبي بقطع إصبع الحسين عليه السلام ليتمكن من سلب الخاتم.

٩ ــ قطيفة الحسين عليه السلام: سلبها قيس بن الأشعث الكندى وهو أخو جعدة بنت الأشعث قاتلة الحسن عليه السلام.

١٠ _ درعه عليه السلام البتراء: سلبها عمر بن سعد، وهذه الدرع كانت هي الجائزة التي أخذها بعد مدة قاتل عمر بن سعد.

١١_ سيفه عليه السلام، وهو غير ذي الفقار، سلبه جميع بن الحلق الأزدي وقيل غيره.

١٢ _ ثوبه عليه السلام: سلبه أخ لإسحاق بن حويه الحضرمي.

١٣ _ قوسه عليه السلام، سلبه الرجيل بن خيثمة الجعفي.

١٤- وانتهب الناس ورساً كان في متاع الحسين عليه السلام فما تطيبت به امرأة إلا برصت.

١٥_ جماله عليه السلام: ونهبت جمال الحسين عليه السلام، وذكروا أن أبا الجنوب لعنه الله وهو عبد الرحمان بن زياد بن زهير بن خنساء بن كعب بن الحارث بن سعد بن ناجية بن مالك بن حريم بن جعفى بطن من جعفى شهد قتل الحسين عليه السلام وأخذ جملا من جماله، وبلغ من عظيم لؤمه ونصبه أنه كان يستقي الماء على هذا الجمل ويسميه حسينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٤- رضّ ضلوع الحسين عليه السلام وأصحابه:

ثم بعد ذلك جعلوا الجثث جميعاً على صعيد الأرض ونادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين عليه السلام فيوطىء الخيل ظهره ء فانتدب منهم عشرة هم:

١- اسحاق بن حويه.

٢- أخنس بن مرثد.

٣- حكيم بن الطفيل السنيسي.

٤- عمرو بن صبيح الصيداني.

٥- رجاء بن منقذ العبدي.

٦- سالم بن خيثمة الجعفي.

٧- وتجظ بن ناعم.

٨- صالح ين وهب الجعفي.

٩- هاني بن ثبيت الحضرمي.

١٠- أسيد بن مالك.

فقاموا كلهم فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضّوا ظهره وصدره، ثم أقبلوا جميعهم مفتخرين إلى أميرهم عبيد الله بن زياد في الكوفة يتقدمهم أسيد بن مالك فقال يرتجز:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الأسر

فقال عبيد الله بن زياد: من أنتم؟ فقالوا: نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين عليه السلام حتى طحنا جناجن صدره، طمعاً بجائزة عبيد الله بن زياد الذي أمر لهم بجائزة يسيرة.

قال أبو عمر الزاهد: نظرنا إلى هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زنا.

ولأنهم كانو جفاة مجرمين لا محل للرحمة في قلوبهم كانو يفعلون ذلك بمرأى من نساء الحسين عليه السلام وبناته كما شهدت بذلك فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام التي شاهدت الخيول تجول على جسد أبيها وأصحابه، وقد روى رضّ الخيول لجسد الحسين عليه السلام جماعة منهم علي بن أسباط.

لكن العلامة المجلسي وجماعة من العلماء رضوان الله عليهم استعظموا هذا الحدث الفظيع ومالوا إلى إنكاره وعملوا برواية رواها الكافي بسنده عن إدريس بن عبد الله الأودي أن القوم لما أرادوا أن يوطؤوه الخيل قدم أسد حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام فأقبلت الخيل فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد: فتنة لا تثيروها إنصرفوا فانصرفوا.

أقول: والذي أميل إليه هو صحة أخبار رضّ صدر الحسين عليه السلام وردّ هذه الرواية فإنها غير منسوبة إلى الإمام ولا مشهورة ولا تسوغها الإفهام فإنّ الأهوال التي جرت على الحسين عليه السلام وعترته أعظم من رضّ ضلوعه بحوافر الخيول وكل ذلك لم يمنعه الله تعالى بمعاجز قدرته، على أن أخبار رض صدر الحسين عليه السلام كثيرة كما تقدم.

ومن مصائب ذلك الزمن الأسود أن بعض هذه الخيول التي وطأت صدر الحسين عليه السلام وصلت إلى بلاد مصر فتبركوا بها فقلعوا نعالها من حوافرها وسمّروها على أبواب بيوتهم

تبركاً بها، ثم صار ذلك سنّة فصاروا يعملون نظيرها ويعلقونها على أبواب بيوتهم تبركاً، وما زالت هذه السنّة جارية إلى الآن إلا أن من يعملها لا يعلم ما هو أساس هذه السنّة.

٥- ترك أجساد الشهداء:

ثمّ إن أعداء الله تعالى بقوا في كربلاء إلى زوال يوم الحادي عشر من المحرم فجمعوا قتلاهم وصلوا عليهم ودفنوهم، ثم حملوا السبايا والأسارى وتركوا أجساد الشهداء الأبرار مجردة عارية بلا رؤوس مرملة بدمائها على تراب الأرض تحت أشعة الشمس تسفها الرياح زعموا لتأكلها الطير والعقبان ووحوش الفلوات، فسارت قافلة السبايا والأسارى وهم ينظرون هذا المنظر الفظيع، قال علي بن الحسين عليه السلام يصف هذا المنظر ووقعه على قلبه:

إنه لِما أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقُتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وأخوته وسائر أهله وحُملت حرمه ونساؤه على الاقتاب يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ويشتد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى عليها السلام فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وأخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرَّجين بدمائهم مرمّلين بالعراء مسلَّبين لا يُكفَّنون ولا يُوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.. الحديث.

وقد روى بعض العامة ومنهم يعقوب الفسوي بإسناده القوي عن شقيق بن سلمة، وذكر حديثاً وفيه كتاب عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية وفيه:... وقد قتلت حسينا رضي الله عنه وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرملين بالدماء، مسلوبين بالعراء، لا مكفَّنين، ولا موسَّدين، تسفوا عليهم الرياح، وتغزوهم الذئاب والسباع، وتنتابهم عرج الضباع، حتى أتاح لهم الله عز وجل بقوم لم يشركوا في دمائهم كفَّنوهم وأجنوهم، وبي والله وبهم جلست مجلسك[1].

٦- دفن الجثث:

وبقيت الجثث كذلك إلى اليوم الثاني عشر حتى جاء قوم من بني أسد من أهل الغاضرية وورد مدحهم في بعض الأخبار[2] فجمعوا الجثث الطواهر وصلّوا عليها ودفنوها كما هي عليه الآن.

(١) المعرفة والتاريخ ج١ص ٢٩١، أخبار الدولة العباسية ص٨٦، بحار الأنوار ج٤٥ص٣٢٣

(٢) وقد جاء في الخبر الذي روي عن زين العابدين عليه السلام يذكر كيفية دفن الحسين عليه السلام ومن معه من الشهداء الأبرار

، ويذكر أحوال القبر الشريف وصيرورته علما للدين ، وهو خبر كريم طويل أحببت ذكره بطوله لما فيه من الفوائد : روى في هامش كتاب كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه بإسناده عن نوح بن دراج ، قال : حدثني قدامة بن زائدة ، عن أبيه ، قال : قال علي بن الحسين (عليهما السلام) : بلغني يا زائدة انك تزور قبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أحيانا ، فقلت : ان ذلك لكما بلغك ، فقال لي : فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا ، فقلت : والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه ، فقال : والله إن ذلك لكذلك ، فقلت : والله إن ذلك لكذلك - يقولها ثلاثا وأقولها ثلاثا - فقال : أبشر ثم أبشر ، فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون : فإنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل أبي (عليه السلام) وقتل من كان معه من ولده واخوته وسائر أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت انظر إليهم صرعي ولم يواروا ، فعظم ذلك في صدري واشتد لما أري منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج ، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي ، فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي ، فقلت : وكيف لا أجزع وأهلع وقد أري سيدي وأخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضر جين بدمائهم ، مرملين بالعري ، مسلبين ، لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم أحد ، ولا يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر ، فقالت : لا يجزعنك ما ترى فوالله ان ذلك لعهد من رسول الله ﷺ إلى جدك وأبيك وعمك ، ولقد اخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة ، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون بهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء ، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه ، فلا يزداد أثره إلا ظهورا ، وأمره إلا علوا . فقلت : وما هذا العهد وما هذا الخبر ، فقالت : نعم حدثتني أم أيمن ان رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة ؈ في يوم من الأيام ، فعملت له حريرة وأتاه علي (عليه السلام) بطبق فيه تمر ، ثم قالت أم أيمن : فاتيتهم بعس فيه لبن وزبد ، فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله ﷺ وشربوا من ذلك اللبن ، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد ، ثم غسل رسول الله ﷺ يده وعلي يصب عليه الماء ، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ، ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظرا عرفنا به السرور في وجهه ، ثم رمق بطرفه نحو السماء مليا ، ثم وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ، ثم خر ساجدا وهو ينشج ، فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر ، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله ﷺ ، وهبناه ان نسأله ، حتى إذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة : ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك ، فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك ، فقال : يا أخي سررت بكم - وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه هاهنا : فقال : يا حبيبي - إني سررت بكم سرورا ما سررت مثله قط ، وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته فيكم إذ هبط عليَّ جبرئيل ؈ فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فاكمل لك النعمة وهنأك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة ، لا يفرق بينك وبينهم ، يُحْبَون كما تُحْبَى ، ويُعْطَون كما تُعطى ، حتى ترضى وفوق الرضا على بلاوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك ويزعمون أنهم من أمتك براء من الله ومنك ، خبطا خبطا ، وقتلا قتلا ، شتى مصارعهم ، نائية قبورهم ، خيرة من الله لهم ولك فيهم ، فاحمد الله عز وجل على خيرته وارض بقضائه ، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم. ثم قال لي جبرئيل : يا محمد ان أخاك مضطهد بعدك ، مغلوب على أمتك ، متعوب من أعدائك ، ثم مقتول بعدك ، يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقى البرية ، يكون نظير عاقر الناقة ، ببلد تكون إليه هجرته ، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده ، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم ، وان

سبطك هذا - وأومى بيده إلى الحسين (عليه السلام) - مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض يقال لها : كربلاء ، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته ، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة ، وإنها من بطحاء الجنة ، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها ، ومادت الجبال وكثر اضطرابها ، واصطفقت البحار بأمواجها ، وماجت السماوات بأهلها غضبا لك يا محمد ولذريتك ، واستعظاما لما يُنتهك من حرمتك ، ولشر ما تكافي به في ذريتك وعترتك ، ولا يبقى شئ من ذلك الا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين ، الذين هم حجة الله على خلقه بعدك . فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن : أني انا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع ، وانا أقدر فيه على الانتصار والانتقام ، وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر رسولي وصفيي ، وانتهك حرمته وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بيته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، فعند ذلك يضج كل شئ في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك ، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده ، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة ، وحلل من حلل الجنة وطيب من طيب الجنة ، فغسلوا جثثهم بذلك الماء والبسوها الحلل ، وحنطوها بذلك الطيب صلت الملائكة صفا صفا عليهم ، ثم يبعث الله قوما من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية ، فيوارون أجسامهم ويقيمون رسما لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء ، يكون علما لأهل الحق وسببا للمؤمنين إلى الفوز ، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة الف ملك في كل يوم وليلة ، ويصلون عليه ويسبحون الله عنده ، ويستغفرون الله لمن زاره ، ويكتبون أسماء من يأتيه زائرا من أمتك متقربا إلى الله تعالى واليك بذلك ، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم ، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله : هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء . فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من اثر ذلك الميسم نور تغشى منه الابصار يدل عليهم ويعرفون به ، و كأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل وعلي امامنا ، ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصي عددهم ، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق ، حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده ، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عز وجل ، وسيجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط ان يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا اثره ، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلا . ثم قال رسول الله ﷺ : فهذا أبكاني وأحزنني ، قالت زينب عليها السلام: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيت عليه اثر الموت منه ، قلت له : يا أبة حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت ان أسمعه منك ، فقال : يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن ، وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فصبرا صبرا ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم و شيعتكم ، ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر : ان إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحا فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته ، فيقول : يا معاشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة ، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم واغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناج ، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب ، انه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر ، قال زائده : ثم قال علي بن الحسين (عليهما السلام) بعد أن حدثني بهذا الحديث : خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولا لكان قليلا .أقول: تأمل كثيرا رحمك الله تعالى بقول زينب عليها السلام : (وينصبون بهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء (عليه السلام) لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والايام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهورا وأمره إلا علوا).ولقد أثبت تاريخنا الحاضر والقديم منذ وخلال أكثر من ألف وثلاث

وفي الخبر الذي رواه الكشي بسنده عن بعض أصحابنا عن الامام الرضا عليه السلام أنه قال له بعض الناس الذين هم من الواقفة على أبيه موسى الكاظم عليه السلام: إنّا روينا عن آبائك إن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله، فقال له الرضا عليه السلام: أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً أو غير إمام، فقال هذا الواقفي: كان إماماً، قال عليه السلام: فمن ولي أمره، قال: علي بن الحسين عليه السلام، قال عليه السلام: وأين كان علي بى الحسين عليه السلام كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد، قال الواقفي: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف، فقال الرضاعليه السلام: إن هذا الذي أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه فهو يمكّن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد ويلي أمر أبيه.

وكما ترى فإن الرضا عليه السلام في هذا الخبر قد قبل ما قاله الواقفي من أن علي بن الحسين عليه السلام هو الذي دفن أباه الحسين عليه السلام بل في كلام الرضا عليه السلام: ما هو كالتصريح بذلك.

وفي بعض الأخبار أنه لما وصل زين العابدين عليه السلام الى عرصة كربلاء يوم الثالث عشر من المحرم وجد هناك بني أسد وهم مجتمعون لدفن الأجساد الا إنهم متحيّرون لا يدرون ما يصنعون لأنهم عاجزون عن معرفة أصحاب الجثث لأنها بلا رؤوس، فأخبرهم عليه السلام بأمره وعرفهم بأسماء الأجساد وميّز لهم الهاشميين من الأصحاب فارتفع البكاء والعويل وسالت الدموع كل مسيل، ثم مشى زين العابدين عليه السلام الى جسدٍ... فاعتنقه وبكى بكاءً لم يبك مثله، واذا هو جسد أبيهعليه السلام.

فبسط كفيه تحت ظهره وقال: بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، صدق الله ورسوله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة الا بالله العظيم، ثم أنزله في قبره وحده وأبى أن يشاركه أحد من بني أسد، وقال لهم: إن معي من يعينني، ونزل معه في لحده ثم وضع خدَّه على منحره الشريف ثم قال: طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر فإن الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الليل فمسهَّد والحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم، وعليك مني السلام يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم بعد أن أنتهى من تسوية القبر كتب عليه:

هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً. ثم مشى إلى بدن عمه العباس بن علي عليه السلام فارتمى عليه يقبل منحره الشريف وهو يقول: على الدنيا بعدك العفا يا

مائة وخمسين سنة بعد هذا الخبر الكريم صحة ما ذكرته زينب عليها السلام ، وهذا مشهد الحسين في كربلاء بشموخه وخشوع ملايين الزائرين في حضرته شاهد صدق على ذلك، والحمد لله تعالى رب العالمين .

قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته، وفعل معه ما فعله مع أبيه فأنزله في لحده وحده. ثم أمرهم فحفروا حفرتين وضع في الأولى بني هاشم وفي الثانية بقية الأصحاب.

وفي رواية عن الباقرعليه السلام عن علي بن الحسينعليه السلام أن جون مولى أبي ذر الغفاري وهو أسود اللون عثروا عليه بعد عشرة أيام فوجدوه يفوح منه رائحة المسك أقول: وعلى هذا فيكون جون هو الوحيد الذي تأخر دفنه عشرة أيام ولعله تحقيقاً لدعاء الحسين عليه السلام بقوله: اللهم بيض وجهه وطيب ريحه، والله العالم.

٧- جسد مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة

من المعلوم لكل أحد أن مسلم بن عقيل صلوات الله عليه قد استشهد يوم التروية أو يوم عرفة قبل استشهاد الحسين عليه السلام بحوالي الشهر، وكان شأنه أن عبيد الله بن زياد أمر بكير بن حمران الاحمري فأخذ مسلم فاصعده على القصر فكان مسلم يكبر ويسبح ويستغفر، واشرف به على موضع الجرارين فقال مسلم: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا فضرب عنقه ورمى برأسه من أعلى القصر ثم اتبع جسده رأسه، ويروي الإسفرائيني أنهم ألقوه من أعلى القصر حيا قبل قطع رأسه فوقع على أم رأسه فمات ثم قطعوا رأسه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم أمر في نفس اليوم بسيد النخع هانى بن عروة المرادي وكان رجلا جليلا عمره تسعون عاما فسحبوه الى الكناسة فقتلوه وصلبوه هناك، وقيل ضربت عنقه في سوق المعزى والغنم.

ثم إنه لعنه أمر جلاوزته بربط الجسدين بحبال، ثم قاموا بجرها وسحبها على الأرض في الأسواق والسكك أمام الناس يتباهون ويعلنون نصر أميرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذا المشهد المهيب عرضه الشاعر عبد الله بن الزبير الاسدي، فقال:

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... الى هاني في السوق وابن عقيل

الى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوى من طمار قتيل

اصابهما أمر الامير فاصبحا ... احاديث من يسعى بكل سبيل

ترى جسد قد غير الموت لونه ... ونضح دم قد سال كل مسيل

وذكرت بعض الأخبار أنه لعنه الله تعالى أمر فصلب الجسدين الشريفين بالكناسة، وقال الموفق الخوارزمي الحنفي وابن الأعثم أن رجلا من الكوفة قال للحسين عليه السلام: والله يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ما خرجت من الكوفة حتى نظرت إلى مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة المذحجي قتيلين جميعا مصلوبين منكسين في سوق القصابين.

وفي بالي أنه تم نقلهما بعد حين فصلبهما منكوسين على طرفي باب مسجد الكوفة يسار المتوجه إلى القبلة، وبقيا مصلوبين على باب المسجد حتى خرج المختار فأنزلهما ودفنهما على جانبي مسجد الكوفة كل واحد على جانب وهو مزارهما اليوم.

٨- بعث رأس مسلم إلى يزيد

وقد اجتمعت الأخبار على أن عبيد الله بن زياد قد بعث برأس مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة إلى يزيد بن معاوية، وذكر البلاذري وغيره أن عمارة بن صلحب الازدي كان ممن خرج يريد نصرة مسلم فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به فأمر به فضربت عنقه في الازد، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانئ بن عروة المرادي إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس الثلاثة هانئ بن أبي حية الوادعي الهمداني والزبير بن الاروح التميمي أحد بني مالك بن سعد.

وتذكر الأخبار أن عبيد الله بن زياد كتب إلى يزيد:

أما بعد: فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه، اخبر أمير المؤمنين أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وإني جعلت عليهما المراصد والعيون، ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتى أخرجتهما وأمكن الله منهما، فقدمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الاروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمرهما فإن عندهما علما وورعا وصدقا، والسلام.

فلما وصلا إلى يزيد فرح فرحا عظيما وخلع عليهما الخلع السنية وكتب إلى ابن زياد:

أما بعد فإنك لم تعد أن كنت كما احب عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك، وسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيرا، وإنه

قد بلغني أن حسينا قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس واحبس على الظنة، واقتل على التهمة، واكتب إلي في كل يوم ما يحدث من خبر إن شاء الله تعالى.

وفي خبر آخر أنه كان في كتاب يزيد إليه: ولا تتوسد بوسادة ولا تشبع بزاد حتى تقتله وترسل إليَّ رأسه ورؤوس من معه.

الباب الثاني
الرؤوس في الكوفة

١- إرسال الرؤوس إلى الكوفة:

ثم إنّ عمر بن سعد استعجل إرسال رأس الحسين عليه السلام وبقية الرؤوس إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة فأرسلها عصر يوم عاشوراء نفسه مع بعض أصحابه وبقي هو في كربلاء مع بقية الجيش، وكأن عمر بن سعد كان يريد المبادرة لإرضاء أميره برؤية رأس الحسين عليه السلام ولم يكتف بمجرد تعجيل البشير بالخبر.

ولهذا فإنه بعث برأس الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي وبعث ببقية الرؤوس مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج.

وكان خولي بن يزيد حامل رأس الحسين عليه السلام رجلاً فاجراً جبّاراً كان اذا نزل ليستريح جعل يشرب ويتبجج بالرأس أمام أصحابه، ويروى أنه وصل إلى الكوفة ليلاً فوجد قصر الإمارة مغلقاً فأتى بالرأس إلى منزله على بعد فرسخ من الكوفة فدخل بالرأس الشريف على امرأته النوار الحضرمية، ويقال العيوف الانصارية،فآوى به إلى فراشها، فقالت له:ما الخبر؟ فقال لها: جئتك بالذهب، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار، فقالت له: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لا يجمع رأسي ورأسك وسادة أبدا، قالت النوار: فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار فما زلت والله أنظر إلى نور مثل العمود يسطع من الإجانة التي فيها رأس الحسين عليه السلام إلى السماء ورأيت طيوراً بيضاً ترفرف حولها وحول الرأس.

أقول: وهذا الخبر رواه أهل السنّة في كتبهم.

كما يظهر من بعض الاخبار المعتبرة أنّ رأس الحسين عليه السلام قد وصل إلى موضع قريب من مرقد أبيه علي عليه السلام وهذا الخبر يرويه المفضل يقول: جاز مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

بالقايم المايل في طريق الغري، فصلى عنده ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ قال: هذا موضع رأس جدي الحسين عليه السلام وضعوه ههنا، ويظهر في بعض الأخبار أن هذا كان اثناء مسيرة العودة من كربلاء إلى الكوفة.

أقول: الظاهر أن القايم المايل هو معروف الآن في مدينة النجف الأشرف وهو مشهور وأصبح مسجداً تقصده الناس للتبرك به ويسمى (مسجد الحنّانة)، ويروى عن الصادق عليه السلام في سبب تسميته بالقايم المايل فقال عليه السلام: إنه لما جازوا بسرير أمير المؤمنين عليه السلام انحنى أسفاً وحزناً على أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى أبو القاسم الطبراني من شيوخ العامة بإسناده عن أبي قبيل، قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما إحتزوا رأسه وقعدوا في أول مرحلة يشربون النبيذ يتحيون بالرأس فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب بسطر دم:

أترجوا أمة قتلت حسينا ... شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس ثم رجعوا.

وروى جماعة من محدثي العامة كالطبراني وابن عساكر وغيرهم أن هذا البيت من الشعر وجده المسلمون من أشياخ بني سليم في إحدى غزواتهم مكتوبا في إحدى كنائس النصارى في بلاد الروم، فسألوا أهلها: منذ كم وجدتم هذا الكتاب في هذه الكنيسة، فقالوا قبل أن يخرج نبيكم بستمئة عام، وفي بعض المتون ثلاث مائة عام.

ثم إن الرؤوس الطاهرة بقيت في الكوفة ولا يحدثنا المؤرخون عن مكان وضعها قبل مجيئ السبايا إلى الكوفة إلا أن الثابت أنّ الرؤوس الطاهرة قد وصلت إلى الكوفة قبل وصول السبايا ثم عادوا وأظهروها حين قدوم السبايا وذلك احتفالا بإدخال الرؤوس مع السبايا، كما سيأتي أن الرأس الشريف كان يتقدم قافلة السبايا حين دخولهم الكوفة وكان على رمح طويل قد لاحت شواربه والنور يخرج من فيه ساطعا إلى عنان السماء. وفي الخبر أن السبايا عند وصولهم إلى الكوفة فيما كانت أم كلثوم تخاطبهم فإذا بضجة قد ارتفعت فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد السبج (حجر شديد السواد) قد انتصل منها الخضاب ووجهه دارة قمر طالع والرمح تلعبُ بها يميناً وشمالاً، وهكذا استمروا يطوفون بالرأس الشريف في سكك وأزقة وشوارع الكوفة.

٢- وعند عبيد الله بن زياد:

وإيغالاً في الغي والبغي وإظهاراً للكبرياء والجبروت أمر عبيد الله بن زياد فوضع رأس الحسين عليه السلام أمامه في طست من ذهب في مجلسه في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً وأدخل السبايا فأجلسهم أمامه وجعل ينظر إلى رأس الحسين عليه السلام ويبتسَم ويضربه بقضيب في يده، يضرب ثناياه (أسنانه)، ويضرب أنف الحسين عليه السلام وعينه، ويطعن في فمه، ويقول: إنه كان حسن الثغر، ويقول أيضاً: لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله، ولم نسمع أحداً استنكر على عبيد الله هذا العمل الشنيع إلا ما نُقل عن زيد بن أرقم وهو شيخ كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يتمالك نفسه حين رأى هذا المنظر المفجع أن ينتحب باكياً، فقال له عبيد الله بن زياد: أبكى الله عينيك عدو الله، لولا أنك شيخ كبير قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فقال زيد: والله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما ما لا أحصيه يقبلهما، ثم خرج من المجلس رافعاً صوته بالبكاء وهو يقول: ملك عبدٌ حراً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة عليها السلام وأمّرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم ويستعبد أشراركم، رضيتم بالذل فبعداً لمن رضي.

ويروى أن زيد بن ارقم قام على باب المسجد، فقال: أفعلتموها، أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اللهم إني أستودعكهما وصالح المؤمنين.

ويروى أنَّ هذه المحادثة كانت بين زيد بن أرقم ويزيد بن معاوية في الشام والله العالم.

ويروى أيضا ان أنس بن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا قال لعبيد الله في هذا المجلس: أَمَ والله لأسوأنك، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل موضع قضيبك من فيه.

أقول: وهذا الكلام المروى عن أنس كلام حق إلا أنه فيه لين شديد لا يبلغ درجة الإعتراض ولا يتناسب مع حجم الجريمة.

ويروى أيضا أن عبيد الله بن زياد أرسل إلى أبي برزة الأسلمي، فقال له: كيف شأني وشأن حسين بن فاطمة، قال: الله أعلم، فما علمي بذلك، قال: إنما أسألك عن علمك (رأيك)، قال: أما إذا سألتني عن رأيي فإن علمي أن الحسين يشفع له جده محمد صلى الله عليه وآله، ويشفع لك زياد، فقال له: أخرج، لولا ما جعلت لك لضربت عنقك. ثم إن الرباب بن امرئ القيس الكلبية زوجة الحسين عليه السلام وهي أم سكينة لما رأت عبيد الله بن زياد يقرع بقضيبه رأس الحسين عليه السلام لم يمكنها أن تحتمل فقامت وألقت بنفسها وأخذت رأس الحسين عليه السلام ووضعته في حجرها

وقبّلته وشمّته وقالت:

واحسيناه فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الاعداء
غادروه بكربلا صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء

ويروى أنها قالت تندبه:

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلا قتيل غير مدفون
سبط البين جزاك الله صالحة عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعبا ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يعنى ويأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيّب بين الماء والطين

ثم إن ابن زياد أمر برأس الحسين عليه السلام فداروا به في سكك الكوفة كلها وفي نواحيها وفي قبائلها، ولما فرغوا أعاده إلى الكوفة ثم نصبه هو وبقية الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب، وهي أول رؤوس نصبت في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل صلوات الله عليهم.

ثم إن عبيد الله بن زياد طلب من يقوّر رأس الحسين عليه السلام ويصلحه، فلم يجسر أحد على ذلك، فجاء طارق بن المبارك فأجابه إليَ ذلك وأخذ رأس الحسين عليه السلام فقوّره وهيأه ثم نصبه بباب داره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الثالث

الرؤوس في الشام

١- الرؤوس في الشام:

ثم إن يزيد بن معاوية لعنه الله بعدما وصله البشير يبشره بقتل الحسين عليه السلام وأصحابه وسبي عياله أرسل إلى عبيد الله بن زياد يأمره بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه والسبايا والأسارى إلى الشام، فاستدعى ابن زياد أحد رجاله وهو مخفر بن ثعلبة العائذي فسلَّم إليه الرؤوس والنساء وأمره فسار بهم إلى الشام وقيل أنه كان مع الرؤوس الشريفة زحر بن قيس ومعه أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان.

فساروا برؤوس الشهداء وكان رأس الحسين عليه السلام في صندوق، وكان الطغاة كلما نزلوا إلى منزل أخرجوا الرأس من الصندوق وجعلوه على رأس رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل ثم أعادوه إلى الصندوق.

وكانو إذا نزلو للإستراحة يشربون الخمر ويتبجحون بالرأس فيما بينهم.

فقد روى الموفق الخوارزمي الحنفي بإسناده عن ابن لهيعة، قال: كنت أطوف بالبيت إذا أنا برجل يقول: اللهم اغفر لي، وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبد الله، إتق الله ولا تقل مثل هذا، فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار، وورق الأشجار، واستغفرت الله غفرها لك، فإنه غفور رحيم، فقال لي: تعالَ حتى أخبرك بقصتي، فأتيته، فقال: إعلم إنا كنا خمسين نفراً حين قُتل الحسين بن علي عليه السلام، وسُلّم إلينا رأسه لنحمله إلى يزيد بالشام، فكنا إذا أمسينا نزلنا وادياً ووضعنا الرأس في تابوت، وشربنا الخمور حوالي التابوت إلى الصباح، فشرب أصحابي ليلة حتى سكروا، ولم أشرب معهم، فلما جنَّ الليل سمعت رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت، فنزل آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل، ونبينا محمد (صلوات الله عليهم

أجمعين) ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة (وفي رواية أخرى: وقعقة السلاح مع جبرئيل وميكائيل وإسرافيل والكروبيين والروحانيين والمقربين)، فدنا جبرئيل من التابوت، فأخرج الرأس وقبله وضمه، ثم فعل بالأنبياء كذلك، ثم بكى النبي محمد صلى الله عليه وآله على رأس الحسين عليه السلام، فعزاه الأنبياء، (وفي رواية أخرى (فشكا النبي صلى الله عليه وآله إلى النبيين والملائكة عليهم السلام، وقال: قتلوا ولدي وقرة عيني، فكلهم قبَّل الرأس وضمه إلى صدره) وقال له جبرئيل: يا محمد، إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض، وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يا جبرئيل، فإن لهم معي موقفاً بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، قال: ثم صلوا عليه، ثم أتى قوم من الملائكة، فقالوا: إن الله تعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: شأنكم بهم، قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحربته ليضربني، فصحت الأمان الأمان، يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لي: إذهب، فلا غفر الله لك، قال: فلما أصبحت رأيت أصحابي جاثمين رماداً[١].

٢- الرؤوس تدخل الشام:

واستمروا كذلك في عتوهم وتمردهم إلى أن وصلوا الشام فدخلوها نهاراً من باب يقال له: باب ساعات، وقيل: باب توما.

ورأس الحسين عليه السلام يحمله فارس قد جعله على لواء منزوع السنان. ويروى هنا أن يزيد لعنه الله علم بوصول الرؤوس إلى أبواب دمشق، فخرج ليلتقيها – ولتلقي السبايا - كما نقله بعض المؤرخين أو لعله كان على قصره مشرفاً فرأى فأنشد يقول:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت … تلك الشموس على ربى جيرون
صاح الغراب فقلت صح أو لا تصح … فلقد قضيت من النبي ديوني

إن هذه الابيات كالأبيات الآتية التي قالها يزيد تدل على عداوة عظيمة وحقد كبير يكنه يزيد تجاه الرسول صلى الله عليه وآله.

كما تدل هذه الأبيات على أن وصول الرؤوس إلى باب دمشق كان في أول النهار عند شروق الشمس.

---

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ص٩٩ح١١

ثم استمر الموكب يسير فدخل أزقة دمشق وشوارعها وكانت الرؤوس بين السبايا إلا أنه اثناء السير في الشام دفع سهل بن سعد الساعدي الصحابي مبلغ أربع مائة دينار ليقدموا الرؤوس على السبايا فقدموها.

٣- رأس الحسين عليه السلام عند يزيد:

واستمر موكب السبايا والرؤوس يسير على هذه الهيئة الرهيبة وسط احتفالات وأهازيج أهالي الشام الفرحين، إلى أن انتهى الموكب إلى قصر يزيد بن معاوية فوضعوا رأس الحسين عليه السلام في حقة ودخلوا به على يزيد الذي كان جالساً على سريره وعلى رأسه تاج مكلّل بالدر والياقوت وحوله كثير من مشايخ قريش وسادات الناس.

ثم وضعوا الرؤوس الشريفة بين يدي يزيد ومنها رأس الحسين عليه السلام وضعوه على طبق من ذهب أمام يزيد، فجعل ينظر إليه ثم قال متباهياً: كيف رأيت يا حسين!!.

وقال مفتخراً:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواضب في أيماننا تقطر الدما

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة ... وأسيافنا يقطعن هاماً ومعصما

نفلّق هاماً من رجال أعزّةٍ ... علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وكان في هذا المجلس عبد الرحمن بن الحكم أو يحيى بن الحكم فقال مستغرباً:

لهامٌ بجنب الطف أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصا ... وبنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليست بذي نسل

فضربه يزيد على صدره، وقال له: أسكت، لا أم لك.

ثم جعل يضرب ثنايا الحسين عليه السلام بمخصرة (قضيب خيزران) وهو يقول:

يوم بيوم بدر، ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ولقالوا: يا يزيدَ لا تَشَل

فجزيناهم ببدرٍ مثلَها وأقمنا مثلَ بدر فاعتدل[١]

لعبَتْ هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

لستُ من خِندفٌ إن لم أنتقم من بني أحمدَ ما كان فعل

ويُروى أنه عندما قرع يزيد ثنايا الحسين عليه السلام احتج عليه أبو برزة الأسلمي وقال له: ويحك يا يزيد أتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة عليهما السلام!! أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام، ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعدَّ له جهنّم وساءت مصيرا، فغضب يزيد وأمرَ بإخراج أبي برزة فأخرجوه سحباً.

وروى الخوارزمي أن الذي رد على يزيد هو سمرة بن جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال ليزيد: قطع الله يدك يا يزيد، أتضرب ثنايا طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلهما ويلثم هاتين الشفتين، فقال له يزيد: لولا صحبتك لرسول الله صلى الله عليه وآله لضربت والله عنقك، فقال سمرة: ويلك تحفظ لي صحبتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تحفظ لابن رسول الله صلى الله عليه وآله بنوّته، فضجَّ الناس بالبكاء، وكادت أن تكون فتنة.

وقيل أن الذي احتج على يزيد هو زيد بن أرقم كما تقدم في مجلس عبيد الله، وهنا قامت زينب عليها السلام فتكلمت بكلامها الكريم الآتي سرده عند بيان أحوال السبايا.

٤- إستهتار يزيد برأس الحسين عليه السلام:

ثم إنه ما لبث يزيد لعنه الله تعالى أن أمر بنصب مائدة الطعام على رأس الحسين عليه السلام فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع[٢] (البيرة) ويقول: إشربوا فهذا شراب مبارك من بركته أنّا تناولناه ورأس عدونا بين أيدينا ومائدتنا منصوبة عليه، ونحن نأكل ونفوسنا ساكنة وقلوبنا مطمئنة.

ثم لما فرغوا من الطعام أمر برأس الحسين عليه السلام فوضعه في طست تحت سريره وبسط

---

(١) أبدله بعضهم:

قد قتلنا القِرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

وزاد بعضهم:

وكذلك الشيخ أوصاني به فاتبعت الشيخ فيما قد سأل.

(٢) في الخبر أن يزيد بن معاوية هو أول من اتخذ الفقاع ويظهر من هذا الخبر أن يزيد اخترعه لمناسبة الرأس.

عليه رقعة الشطرنج وجعل يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين وأباه وجده عليهم السلام ويستهزئ بهم ثم يتناول الفقاع ويصب فضلته على الطست. وكان هذا المشهد الرهيب من المشاهد ذات الوقع على قلوب أهل البيت عليهم السلام ولذا قال الإمام الرضا عليه السلام بعد ذكر هذا المشهد:

فمن كان من شيعتنا فليتورَّع عن شرب الفقاع فإنه شراب أعدائنا واللعب بالشطرنج ومن نظر إلى الفقاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام وليلعن يزيد وآل زياد يمحو الله بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم.

وروي عن زين العابدين عليه السلام ما يظهر أن يزيد لعنه الله قد اتخذ هذا الأمر (أي وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه ليشرب عليه في مجلسه) عادة يومية مدة الأفراح ليشفي غليله، وأن ذات يوم حضر رسول ملك الروم وكان من سادات الروم وعظمائهم فلما رأى ولعه بالرأس الشريف، قال: يا ملك العرب هذا رأس من؟ فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال الرومي: ومن أمه؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال النصراني: أفٍّ لك ولدينك، لي دين أحسن من دينك، إن أبي من حوافد داود عليه السلام – وبيني وبينه آباءٌ كثيرة - والنصارى يعظموني ويأخذون من تراب قدميّ تبركاً بأبي من حوافد داود عليه السلام، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما بينه وبين نبيكم إلا أم واحدة، فأي دين دينكم، ثم أخبر يزيد عن كنيسة تحج إليها النصارى من بقاع الأرض البعيدة لأنهم يقولون أن فيها حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام، ويروى في آخر الخبر أن هذا النصراني أسلم ووثب إلى رأس الحسين فضمه إلى صدره وجعل يبكي حتى قتله يزيد.

٥- والحكيم جالوت اليهودي

ويروى أنه دخل جالوت اليهودي على يزيد وهو في هذا الحال، وقد كان جالوت هو الحكيم الخاص ليزيد، فلما رأى الرأس الشريف وما عليه من البهاء والنور، قال: ما هذه الرأس؟، فقال له: رأس خارجي، فقال: وما اسمه؟ قال الحسين، فقال: لم قتلته؟ قال: أراد أن ياخذ الخلافة، فقال له: ويلك يا يزيد إنما هو أحق بالخلافة، أما تعلم أن بيني وبين النبي داود أربعين جدا، واليهود يعظمونني ويتبركون بي وأنتم بالأمس كان محمد فيكم نبيا كريما واليوم قتلتم أولاده وسبيتم حريمه ثم سحب سيفه وحمل على يزيد ليقتله، فحال بينهما الحاضرون، فدنا اليهودي من الرأس وقبلها، وقال: لعن الله قاتلك وخصمه جدك، يعز علي أن لا أكون أول شهيد استشهد بين يديك، ولكن إذا لقيت جدك فاقرءه مني السلام وأخبره أني على قوله أشهد ان لا اله الا الله، واشهد ان محمدا رسول الله، فقال له يزيد: والله لولا اني

احتاج اليك لأجل أمراضي لقتلتك شر قتلة، فقال: والله لا اداويك إلا بما يزيد أمراضك، فأمر بضرب عنقه.

٦ - منام هند زوجة يزيد

ويروى أن هند بنت عبد الله بن كريز زوجة يزيد وكانت قبلاً تحت الحسين بن علي عليه السلام قالت: لما أخذت مضجعي تلك الليلة رأيت في منامي كأن أبواب السماء قد فتحت والملائكة بأجمعهم قد نزلوا وهم يدخلون الى الرأس، ويقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله، فبينما أنا كذلك إذ نظرت الى سحابة قد نزلت من السماء وفيها رجال كثيرة وبينهما رجل قمري اللون فأقبل حتى دنا من رأس الحسين وانكب عليها، وهو يقول: السلام عليك يا ولدي، قتلوك ومن شرب الماء منعوك، أتراهم ما عرفوك، أنا جدك المصطفى، وهذا أبوك علي المرتضي، وهذا أخوك الحسن، وهذا عمك جعفر، وهكذا الى آخرهم، فعند ذلك ارتعت فانتبهت من نومي، فجاءت إلى يزيد ليلا فأخبرته منامها وهو منكس الرأس لا يتكلم.

٧ - وامرأة من جواري يزيد

وروى بعض المؤرخين عمن شهد ذلك المقام أنه قال: بينما نحن واقفون عند يزيد وإذا بامرأة لم أر أحسن منها، وهي ترفل في أذيالها ولم تزل مقبلة حتى دخلت على يزيد وقالت له: ما هذا الرأس؟ قال: رأس الحسين، فقالت له: والله يعز على جده وأبيه وأمه وأهله، والله لقد رأيت الساعة وأنا نائمة كأن أبواب السماء فتحت وهبط منها خمس ملوك بأيديهم كلاليب من النار وهم يقولون: قد أمرنا الله الجبار بحرق هذه الدار، فالتفت يزيد إليها وقال: ويلك أنت في ملكي ونعمتي وتقولين هذا الكلام، والله لأقتلنك شرَّ قتلة، فقالت: وما الذي ينجني من ذلك؟ قال: ترقين المنبر وتسبين عليا وأولاده عليهم السلام، فقالت: أفعل ذلك، فأمر بجمع الناس فجمعت، وقال لها: قومي إلى المنبر وافعلي ما أمرتك به، فقامت على قدميها ورقت المنبر، وقالت: يا معشر الأنس، إعلموا ان يزيد يأمرني أن أسبب عليا واولاده، وهو الساقي على الحوض، ولواء الحمد بيده، وولداه سيدا شباب أهل الجنة، ألا فاسمعوا ما أقول لكم: ألا لعنة الله ولعنة اللاعنين على يزيد وعلى كل ساع في قتل الحسين عليه السلام، وصلوات الله على علي وأولاده وشيعتهم منذ خلق الله الدنيا الى يوم القيامة، عليها أحيا وعليها أموت وعليها أبعث إن شاء الله، فغضب يزيد من كلامها وقال: من يكفيني شرها؟ فقال رجل من النصارى: أنا أكفيك شرها فقام وضربها بسيفه فماتت.

٨ - صلب رأس الحسين عليه السلام:

وبقي علينا أن نذكر أن يزيد لعنه الله قد أمر بعد ذلك أن يصلب رأس الحسين عليه السلام على باب داره ثلاثة أيام، فخرجت زوجته هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز في بعض هذه الأيام، فشقَّت الستر وهي حاسرة فوثبت إلى يزيد في مجلس عام، فقالت: يا يزيد أرأس ابن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله مصلوب على فناء بابي. فوثب إليها يزيد فغطّاها ولعن ابن زياد.

ثم أمر يزيد لعنه الله فنصبوا رأس الحسين عليه السلام على باب مسجد دمشق وعلى باب دمشق. ومن عجائب الدهر وهوان الدنيا على الله أن هذا الموضع أعني باب مسجد دمشق وهو المسمّى باب جيرون هو نفس الموضع الذي نصب عليه قبل دهر طويل رأس يحيى بن زكريا صلوات الله على نبينا وآله وعليه السلام.

فإن هذا المسجد كان للصابئة ثم صار لليونان ثم صار لليهود في أيام يحيى بن زكريا عليه السلام حيث قتلوه وقطعوا رأسه ثم نصبوه على باب هذا المسجد الذي نصب عليه رأس الحسين عليه السلام وفي هذا عبرة عظيمة لمن يعتبر ليعلم أن الله بالغ أمره قد جعل لكل شيئ قدرا.

٩ - توبة مجرم

روى الإسفرائيني وهو من مؤرخي العامة عن أحمد البابي، عن سليمان بن مهران الاعمش وهو أحد أعاظم أئمة أهل السنة، قال: التجأت الى البيت الحرام فبينما أنا أطوف وإذا برجل في الطواف يقول: اللهم اغفر لي ولا أراك تفعل، فقلت له: يا عبد الله ما لي أراك في مثل هذا المكان تقول هذا الكلام، وأنت في محل يغفر الله لمن دخله ومن دخله كان آمنا؟ قال: فقصتي عجيبة، فقلت: أخبرني بها، فقال: دعني، فقلت: أقسمت عليك بالله العظيم أن تخبرني، فقال: أقسمت علي بقسم عظيم فخذ بيدي فأخذت بيده فإذا هو أعمى، ثم خرجنا الى شعب من شعاب مكة وجلسنا فيه، فقال لي: أي شعب هذا؟ فقلت: هذا شعب علي المرتضى، فَقال: والله لَا أجلس في شعب والد رجل كنت فَي قتل ولده، فنهضتَ وأخذت بيده وخرجنا الى الأبطح وجلسنا هناك، فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سليمان بنِ مهران الأعمش، فقال لي: إعلم أني كنت من أصحاب يزيد وكنت من جلسائه، فلما أُتي برأس الحسين أمر بوضعها في طشت من اللجين، فوضعت، ثم وضعت الطشت بما فيه بين يديه، فجعل ينكت ثناياه بقضيب كان بيده ويقول: اشتفيت فيك وفي أبيك غير أن أباك علي غالب أبي بأهل العراق فظفر به، ثم إن أهل العراق خدعوك وأخرجوك فظفرت بك، فالحمد لله الذي أمكنني منك،

ولم يزل على هذا الحال مدة من الأيام، فلما عظم ذلك على الناس خشي على نفسه فجمعهم وقال: يا قوم أتظنون أني قتلت الحسين، فوالله ما قتله إلا عاملي ابن زياد، ثم دعا برأس الحسين فغسلها وطيبها وجعلها في صندوق، وغلق عليها وقال: دعوها في قصري واجعلوا حولها السرادق، وقصد بذلك كفّ ألسنة الناس عنه، ثم جعل خارج السرادق خمسين رجلا ووكلني بهم، وكان إذا أتى الليل يرسل لهم طعاما وخمرا فيأكل أصحابي ويشربون، وأنا لا آكل ولا أشرب، ثم ينامون ولا أنام أنا حزنا على الحسين، فبينما أنا ذات ليلة قد استلقيت على ظهري وأنا متفكر في ذلك، وإذا بسحابة عظيمه سمعت فيها دويا كدوي النحل، وإذا بخفقان أجنحة الملائكه حتى نزلوا الى الأرض ورأيت ملكا عظيما قد نزل وبيده بسط مكللة بالدر والياقوت ففرشها، ثم نزل خمسة ملائكة وبأيديهم كراسي من النور فوضعوها على البسط، ثم نادى مناد: إنزل يا آدم يا أبا البشر، فإذا برجل من أبهج الرجال وجها وأكثرهم هيبة، وعليه حلة من حلل الجنة، وقد نزل من الهواء وأقبل على الرأس وسلم عليها، وقال: عشت سعيدا وقتلت شهيدا عطشان حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، والويل له غدا من النار، ثم جلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابه أخرى أعظم من الأولى، فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلت الى الأرض، ثم نادى مناد: إنزل يا نوح يا نبي الله، فنزل وإذا هو رجل تعلوه سمرة وهو أحسن الناس هيبة، وعليه حلة من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس، وقال مقالة آدم وجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابة عظيمة فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا الى الارض، ثم نادى مناد: إنزل يا موسى يا كليم الله، فنزل وأقبل على الرأس وقال مقالة نوح وجلس على كرسى من تلك الكراسي، ثم جات سحابة عظيمة فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا الى الأرض ثم نادى مناد: إنزل يا عيسى فنزل وإذا هو رجل حسن الوجه تعلوه شقرة، وعليه حلة من حلل الجنة، فأقبل على الرأس وقال مقالة موسى ثم جلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابة أعظم من تلك السحائب ولها دوي كدوي الرعد القاصف، وسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلت الى الأرض، ثم نادى مناد: إنزل يا أبا القاسم، يا أول، يا آخر، يا ماحي، يا عاقب، يا حاشر، يا طاهر، يا مزمل، يا مدثر، يا طه، يا أحمد، إنزل يا محمد، فنزل المصطفى عليه الصلاة والسلام وعليه حلل من حلل الجنة، وعن يمينه صف من الملائكة لا يحصيهم إلا الله، وعن يساره علي المرتضى وولده الحسن وفاطمة الزهراء، فاقبل النبي على الرأس الشريفة وأخذها وضمها الى صدره وبكى بكاء شديدا، وقال: يا حبيبي يا حسين عشت سعيدا وقتلت شهيدا عطشانا حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني، ولا غفر لقاتلك، والويل له غدا من النار، ثم دفعها الى علي المرتضى

فأخذها وضمها الى صدره وبكى بكاء شديدا وقال مقالة النبي، ثم دفعها الى فاطمة الزهراء، فاخذتها وضمتها الى صدرها وبكت بكاء شديدا وقالت مقالة علي، ثم دفعتها الى الحسن فأخذها وضمها الى صدره وبكى بكاء شديدا وقال مقالة فاطمة رضى الله عنهم اجمعين.

ثم ان آدم أقبل على النبي ﷺوقال له: السلام عليك أيها الولد الصالح عظم الله أجرك وقوّى صبرك وأحسن الله عزاءك، ثم أقبل نوح وقال مقالته، ثم أقبل موسى وقال مقالته، ثم أقبل عيسى وقال مقالته، ثم قال لهم النبيﷺ يا آدم ويا نوح ويا موسى ويا عيسى إشهدوا على ما ترون من فعل هؤلاء القوم بأولادي ثم بكى. فبينما هو كذلك إذ أقبل الملك والموكل بسماء الدنيا وقال: السلام عليك أيها النبي الكريم، إعلم أن الله أمرني بالطاعة لك فإن أمرتني ان أهلك القوم جميعا أطبقت عليهم السماوات حتى لا يبقى منهم أحد جزاء بما فعلوا، فقال له النبي: مهلا، وإذا بملك ثان وبيده حربة عظيمة ولها شعبة بالمشرق وشعبة بالمغرب، وقال: السلام عليك أيها النبي الكريم قد قطع قلبي بكاؤك، إعلم أني الملك الموكل بالبحار وأعلم ان الله أمرني بالطاعة لك، قال: فان أمرتني ان أهلك هؤلاء القوم أطبقت عليهم البحار جزاء بما فعلوا فقال له: مهلا، وإذا بنور قد ملأ ما بين السماء والارض، وإذا الملائكة قد أحاطت به، وقالوا: يا محمد العلي الاعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك: إخفض صوتك، فقد بكى لبكائك أهل السموات، وقد أرسلنا إليك الله نمتثل امرك، فقال: من الله بدئ السلام وإليه يعود السلام فمن انتم؟ فقال احدهما: إني ملك الشمس ان أمرتني ان أحرقهم فعلت، وقال الاخر: أنا ملك الجبال إن أمرتني أن أطبق عليهم الجبال فعلت، فقال لهم رسول الله ﷺ: جزاكم الله تعالى خيرا، دعوهم ان لهم موقفا أكون أنا وإياهم فيه بين يدي الله عز وجل فيحكم بيننا بالحق وهو أحكم الحاكمين، فعند ذلك قال جميع من حضر من الأنبياء والملائكة: جزاك الله خيرا يا محمد عن أمتك ما أرحمك بهم وأرأفك عليهم! وهذا كله يا سليمان رايته بعيني وسمعته بأذني وأنا يقظان بحالة الصحة الكاملة، وما ذكرته لأحد غيرك، بل أصبحت هاربا من الدنيا خائفا وجلا من الله عز وجل لصحبتي ليزيد، وأنا على البكاء والنحيب حتى ذهبت عيناي، وما أدري ما عاقبة أمري إن كان الله تعالى يمن علي من فضله ويغفر لي، أم يؤاخذني، فعند ذلك بكى سليمان، وقال: لعل الله تعالى يمنّ عليك بفضله، ثم مشى معه الى ان أتوا الطواف على حالتهم الأولى وصار الرجل يدعو بدعائه الاول.

الباب الرابع
حوادث مع الرأس الشريف

١- البلدان التي وصلها رأس الحسين عليه السلام:

من المعلوم ان الأمويين قد أطافوا برأس الحسين عليه السلام ومعه بقية رؤوس الشهداء والسبايا والأسارى من آل محمد صلى الله عليه وآله من الكوفة في العراق إلى دمشق الشام عاصمة الأمويين، وبالتالي فلا بد أن الرأس الشريف قد سار بالطريق المتعارف الذي كان يربط بين الكوفة ودمشق، كما لا ريب أنه قد مرَّ بالمدن التي كانت تمتد على طول الطريق، ومن أهم هذه البلدان: تكريت ونصيبين وقنّسرين وحلب وحماه وبعلبك ثم دمشق الشام.

ولكن يبقى احتمال أن يكونوا قد أطافوا بالرأس الشريف في مدن أخرى تقع خارج هذا الطريق، ولقد سمعنا مشايخنا يتناقلون أن الأمويين قد أطافوا بالرأس الشريف ومعه بقية الرؤوس في أنحاء العالم الإسلامي أعني في أنحاء الشام ومصر والحجاز حتى وصلوا بالرأس إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا المعنى التناقل همساً لم أجده منصوصا عليه في كتب المؤرخين ولكني وجدت نصاً قد يؤيد هذا المعنى وهو ما عن تاريخ البلاذري من أنه لما وافى رأس الحسين عليه السلام المدينة سمعت الواعية من كل جانب فقال مروان بن الحكم:

ضربت دوسر[1] فيهم ضربة ... أثبتت أوتاد ملك فاستقر

ثم أخذ مروان بن الحكم ينكت وجه الحسين عليه السلام بقضيب ويقول:

يا حبذا بردك في اليدين ... ولونك الأحمر في الخدين

كأنه بات بمجسدين ... شفيت منك النفس يا حسين

---

(١) دوسر كتيبة من كتائب النعمان بن المنذر ذكرها هنا كناية عن الجيش القوي الجبار.

وهذا النص يدل على وصول الرأس الشريف إلى مدينة الرسول ﷺ قبل عودة السبايا ومعهم علي بن الحسين عليه السلام إلى مدينة جدهم ﷺ، إذ من المعلوم أنهم عندما عادوا إلى المدينة المنورة كانو قد استعادوا حريتهم ولم يكن معهم رأس الحسين عليه السلام، ولو كان معهم لكان في عز ومكرمة وغير مسموح لأحد أن ينكته بقضيب.

٢ - مدفن الرأس الشريف:

ليس لنا نصوص مؤكدة تحدد لنا بالتأكيد أين مدفن الرأس الشريف، والاحتمالات في هذا المجال متعددة:

الاحتمال الأول: أنه دفن في كربلاء وأنه أعيد ضم الرأس إلى البدن، وهذا الاحتمال مشهور جداً ويدل علّيه خبر رواه الصدوق في الأمالي بإسناده عن فاطمة بنت علي عليه السلام انها قالت: أنّ علي بن الحسين عليه السلام ردّ رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

وعن ابن نما الحلّي أن هذا الاحتمال هو المعوّل عليه عند الإمامية، وعن ابن طاووس أنه عليه عمل الإمامية، وعن جماعة من المؤرّخين من العامّة والخاصة أن ردّ الرأس إلى جسده كان في العشرين من صفر من نفس العام، ولهذا الحدث كانت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام.

وفي خبر آخر رواه ابن طاووس أن أحد خاصة غلمان يزيد كان من الشيعة وممّن يوالي الحسين عليه السلام فاشترى رأس الحسين عليه السلام بمائة ألف دينار وردّه إلى كربلاء وما زال بعدها يلبس السواد صائم النهار قائم الليل ويفطر على خبز الشعير ويعمل الزنانير كل يوم بخمسمائة درهم يأكل منه ويتصدّق بالباقي على فقراء الشيعة ولا يأكل من مال يزيد شيئاً، كل ذلك ويزيد لا يعلم بحاله بل كان لعنه الله مشغوفاً بحب هذا الغلام ولا يقدر أن يفارقه ولا يغضبه أبداً.

الإحتمال الثاني: إنه دفن في النجف الأشرف إلى جانب والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جنب رأسه الشريف، ويدل على هذا الإحتمال خبر رواه جعفر بن قولويه القمي في كامل الزيارات عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: إن الرأس قد رد إلى الكوفة فأمر الملعون عبيد الله بن زياد بإخراجه عنها حتى لا يفتتن به أهل الكوفة فصيّره الله عند أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا الخبر لم يوضح لنا كيف صار الرأس إلى أمير المؤمنين إلا أن ذلك قد أوضحه خبر آخر يرويه كامل الزيارات أيضاً ويقول فيه أن الصادق عليه السلام كان عند قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام يزوره، فقال لابنه اسماعيل: قم فسلّم على جدّك الحسين بن علي عليه السلام، فقال له أحد أصحابه: جعلت فداك أليس الحسين عليه السلام بكربلاء؟، فقال عليه السلام: نعم، ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام.

الإحتمال الثالث: إنه دفن في دمشق وهذا خبر نقله ابن نما عن منصور بن جمهور أن يزيد لعنه الله جعل الرأس الشريف في جؤنة حمراء وجعلها في خزانته فلما فتحت بعد زوال ملكه أخذوا الرأس ولفوه بثوب ثم دفنوه في دمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق. ولعل الذي دفنه بعد يزيد هو الأموي سليمان بن عبد الملك بن مروان وادعى بعد ذلك انه رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يبرُّه ويلطفه.

ويظهر أن الرأس الشريف قد أصبح مركزاً مشهوراً يتعبد فيه العباد وذلك قبل زمن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، إذ يروى الصفّار في كتاب البصائر خبراً عن إحدى معجزات الإمام الجواد عليه السلام أنه جاء إلى رجل شامي كان يتعبد عند رأس الحسين بن علي عليه السلام في الشام فأخذه بلمح البصر من الشام إلى الكوفة ثم منها إلى مكة ثم ردّه إلى موضعه، ولعل هذا المركز هو المركز الموجود في عصرنا هذا، وهو مزار معروف في دمشق الشام في الجهة الشمالية الشرقية من الباحة المكشوفة من المسجد الكبير المعروف بالمسجد الأموي، كما يحتمل أن هذا المزار هو موقع نصب الرأس الشريف والله العالم.

الإحتمال الرابع: أنه دفن في مصر وهذا زعم يزعمه أهل مصر قديما وحديثا، ولهم هناك مقام يزورونه ويتبرّكون به ويزعمون أن فيه رأس الحسين عليه السلام، وذكر بعضهم أن أصل هذا المزار أن الخليفة الفاطمي بمصر أرسل إلى عسقلان —وهي بين مصر والشام- فاستخرج رأساً قال انه رأس الحسين عليه السلام فجاء به ودفنه في مصر.

وقد أنكر جماعة هذا الإحتمال إنكارا شديداً، قال ابن تيمية في كتابه (رأس الحسين (عليه السلام)) متحدثاً عن مشهد الرأس في مصر: فإنه باتفاق الناس: أن هذا المشهد بني عام بضع وأربعين وخمسمائة، وأنه نقل من مشهد بعسقلان! وأن ذلك المشهد - بعسقلان - كان قد أحدث بعد التسعين وأربعمائة، فأصل هذا المشهد القاهري هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة، وهذا بعد مقتله بقريب من خمسمائه سنة، وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل

العلم، على اختلاف أصنافهم - كأهل الحديث، ومصنفي أخبار القاهره، ومصنفي التواريخ، وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة، وهذا بينهم مشهور متواتر، سواء قيل: إن إضافته إلى الحسين صدق أو كذب - لم يتنازعوا أنه نقل من عسقلان في أواخر الدولة العبيدية[١].

وقال ابن تيمية أيضاً في كتابه المذكور: إن الذين جمعوا أخبار الحسين ومقتله - مثل أبي بكر بن أبي الدنيا، وأبي القاسم البغوي وغيرهما - لم يذكر أحد منهم أن الرأس حمل إلى عسقلان، ولا إلى القاهرة، وقد ذكر نحو ذلك أبو الخطاب بن دحية في كتابه الملقب بالعلم المشهور في فضائل الأيام والشهور،! ذكر أن الذين صنفوا في مقتل الحسين أجمعوا على أن الرأس لم يغترب، وذكر هذا بعد أن ذكر أن المشهد الذي بالقاهرة كذب مختلق: وأنه لا أصل له، وبسط القول في ذلك[٢].

ثم قال: وما زال الناس في مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهري من المكذوبات المختلقات، ويذكرون ذلك في المصنفات، حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك. فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية في كتابه (العلم المشهور) في هذا المشهد فصلا مع ما ذكره في مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة، ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالإجماع، وبين أنه نقل من عسقلان في آخر الدولة العبيدية، ثم قال: فقد حدثني طائفة من الثقات، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد، وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي، وطائفة عن الشيخ أبي محمد بن القسطلاني، وطائفة عن الشيخ أبي عبد الله محمد القرطبي، صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسني، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الديريني - كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه، وحدثني عن بعضهم عدد كثير، كل يحدثني عمن حدثه من هؤلاء: أنه كان ينكر أمر هذا المشهد ويقول: إنه كذب، وأنه ليس فيه الحسين ولا رأسه. والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: إن فيه نصرانيا، بل القرطبي والقسطلاني ذكروا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتهما. وبينا فيها أنه كذب، كما ذكره أبو الخطاب بن دحية، وابن دحية هو الذي بنى له الكامل دار الحديث الكاملية، وعنه أخذ أبو عمرو ابن الصلاح ونحوه كثيرا مما أخذوه من ضبط الأسماء واللغات، وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه، بل هذا إجماع من هؤلاء، ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد عليه في مثل هذا الباب أعلم وأدين من هؤلاء ونحوهم، فإذا كانوا متفقين على أن هذا كذب ومين: علم أن الله قد برأ منه الحسين[٣].

(١) رأس الحسين (ع) ص١٨٧

(٢) رأس الحسين ص١٩٧

(٣) رأس الحسين (ع) ص٢١١

الإحتمال الخامس: أنه في البقيع في مدينة الرسول ﷺ وأن الذي دفنه هناك هو عمرو بن سعيد الأموي، وهذا خبر منقول عن الحافظ أبي العلا الهمداني الذي رواه بإسناده عن مشايخه ان يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إليّ ثم أمر عمرو فدفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء عليها السلام.

وهذا قول مشهور عند العامة، ونقل عن محمد بن سعد، وأيَّده ابن كثير، وقال ابن تيمية: أن الذي ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين أن الرأس حمل إلى المدينة ودفن عند أخيه[١].

الإحتمال السادس: انه مدفون بظهر الكوفة دون قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا الاحتمال ورد فيه رواية عن الكليني رحمه الله رواها في الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام.

الإحتمال السابع: أنه مدفون بعسقلان، وقد كان له مزار هناك ثم نقل إلى مصر، ولا أعلم الآن وجود مقام هناك، ولم أسمع به، وكأنه اندثر، ولعله الذي نقل إلى مصر، والله العالم.

وقد أنكر البعض هذا الإحتمال، قال ابن تيمية وهو من مشاهير قدماء النواصب، قال في كتابه (رأس الحسين (عليه السلام)) يتحدث عن مشهد الرأس في عسقلان: قول القائل أن ذلك الذي بعسقلان هو مبني على رأس الحسين رضي الله عنه، قول بلا حجة أصلا، فإن هذا لم ينقله أحد من أهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا لا من أهل الحديث، ولا من علماء الأخبار والتواريخ، ولا من العلماء المصنفين في النسب: نسب قريش أو نسب بني هاشم ونحوه، وذلك المشهد العسقلاني أحدث في آخر المائة الخامسة، لم يكن قديما، ولا كان هناك مكان قبله، أو نحوه مضاف إلى الحسين، ولا حجر منقوش ولا نحوه مما يقال، إنه علامة على ذلك[٢].

الإحتمال الثامن: أنه مدفون بحلب، ويظهر أنه كان له مقام يزار فيه زمن ابن تيمية، فقد قال: كما أن الناس لم يكونوا ينتابون الأماكن التي تضاف إلى الرأس في هذا الوقت، كموضع بحلب[٣].

الإحتمال التاسع: أنه مدفون بباب توما في دمشق، فقد روى عبد الصمد بن سعيد

(١) رأس الحسين ص١٩٧

(٢) رأس الحسين (ع) ص١٨٧

(٣) رأس الحسين عليه السلام ص٢٠٩

القاضي: حدثنا سليمان بن عبد الحميد البهرائي: سمعت أبا أمية الكلاعي قال: سمعت أبا كرب قال: كنت فيمن توثب على الوليد بن يزيد بدمشق، فأخذت سفطا، وقلت: فيه غنائي، فركبت فرسي، وخرجت به من باب توما، قال: ففتحته، فإذا فيه رأس مكتوب عليه. هذا رأس الحسين بن علي، فحفرت له بسيفي، فدفنته.

أقول: الظاهر أن المقام الذي في حلب هو الذي يقال له اليوم (مقام النقطة)، وهو مقام وضع رأس الحسين عليه السلام حينما حطّ القوم رحالهم في حلب، ويروى أنه وقع هناك نقطة من دم الرأس الشريف، والله العالم.

تنبيه: يجب أن يعلم المسلم الناظر في كتابي هذ أن كل ما يُنسب لأهل البيت عليهم السلام من مقام وغيره فهو شريف جليل صدقت النسبة أم لم تصدق، ويكفيه جلالة وشرف أنه يحيى فيه أمرهم عليهم السلام وكثرة ما يُذكر فيه من الحق فإن الأمكنة تشرف وتقدس بذلك، ويدل على ما نقوله كثرة العجائب التي يظهرها الله تعالى في هذه المقامات الكريمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

استنتاج:

والذي أميل إليه هو الاحتمال الثاني أي أن الرأس الشريف دفن في النجف الأشرف إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام وذلك استناداً إلى الأخبار الواردة عن المعصوم عليه السلام والتي هي أولى بالإتباع من بقية الاحتمالات غير المستندة إلى مثل هذه الأخبار، ولا أستبعد بل ربما يكون قريباً جداً أن يكون أركان النظام الأموي برئاسة يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد قد تعمدوا إخفاء الحقيقة وتمويهها على الناس فبعثوا برؤوس متعددة إلى أماكن متعددة فكانت كل فرقة وصل إليها رأس تتخيل أنه رأس الحسين عليه السلام ولأجل ذلك تعددت الأقوال في موضع دفن الرأس.

٣ - معجزات الرأس الشريف:

لقد نقل المؤرخون عن الرأس الشريف معجزات عديدة منها:

المعجزة الأولى: روي عن زيد بن أرقم أنه قال: مُرَّ برأس الحسين عليه السلام عليَّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ فوقف – والله – شعري، وقلت: والله يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله رأسك أعجب وأعجب.

المعجزة الثانية: وروي عن المنهال بن عمرو أنه قال: أنا والله رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾، فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي.

المعجزة الثالثة: نصبوا رأس الحسين عليه السلام في موضع الصيارفة وكانت الناس في أعمالها ولغطها وضوضائها فتنحنح الرأس عالياً فاتجهت إليه الأنظار مندهشة فشرع الرأس الشريف يقرأ سورة الكهف إلى قوله ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ وروي هذا الخبر عن أبي مخنف عن الشعبي.

المعجزة الرابعة: ونصبوا الرأس أيضاً على شجرة فاجتمع أناس فسمعوه يقرأ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾.

المعجزة الخامسة: سمع سلمة بن كهيل أحد فقهاء العامة الرأس وهو على قناة يقرأ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

المعجزة السادسة: روي عن ابن وكيدة أنه سمع الرأس الشريف يقرأ سورة الكهف، فتردد أن يكون القراءة من الرأس الشريف فالتفت الرأس إليه يخاطبه: يا بن وكيدة أما علمت أنا معشر الأئمة أحياء عند ربهم يرزقون، فعندما سمع ذلك عزم على أخذ الرأس الشريف ودفنه، فخاطبه ثانية وقال: يا بن وكيدة، ليس إلى ذلك سبيل إن سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييري على الرمح، فذرهم يعملون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون.

المعجزة السابعة: وفي مجلس يزيد عندما احتج عليه رسول ملك الروم وأمر بقتله نطق الرأس بصوت رفيع: لا حول ولا قوة إلا بالله.

المعجزة الثامنة: وفي الأخبار الواردة إنهم لمّا وصلوا برأس الحسين عليه السلام مع السبايا إلى الجبل غربي مدينة حلب قطرت من الرأس الشريف قطرة دم، فعمر هناك مشهد سمي بمشهد النقطة. وفي خبر آخر إنهم وضعوا الرأس على صخرة فسقطت منه قطرة دم على الصخرة فكانت هذه النقطة تغلي كل سنة يوم عاشوراء فيجتمع الناس هناك فيقيمون المأتم على الحسين عليه السلام ويكثر العويل والبكاء حولها وإستمر هذا الأمر إلى أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي أمر بنقل الحجر فلم يرِ له أثر بعد ذلك فبنوا محل الحجر قبة سموها (النقطة).

أقول: ولقد أخبرني بعض أهل المنطقة هناك بوجود المسجد إلى الآن ويسمى (مسجد النقطة).

المعجزة التاسعة: روى الطبري وابن الأثير وهما من علماء العامة عن هشام عن أبيه عن النوار بنت مالك زوجة خولي بن يزيد الذي جاء برأس الحسين عليه السلام إلى بيته. قالت: فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار وجلست انظر إلى الرأس، قالت: فوالله ما زلت انظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة (التي فيها رأس الحسين عليه السلام) ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها.

المعجزة العاشرة: وروى ابن طاووس عن محمد بن النجار شيخ محدثي العامة في بغداد في ترجمة علي بن نصر الشبوكي أنه لما قتل الحسين عليه السلام وحملوا برأسه جلسوا يشربون ويجيء يعضهم بعضاً بالرأس، فخرجت يد وكتبت بقلم الحديد على الحائط:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

قال: فلما سمعوا بذلك تركوا الرأس وانهزموا.

أقول: وهذا الخبر رواه من علماء السنة أبو عبد الله الحافظ والبلاذري في أنساب الأشراف.

المعجزة الحادية عشرة: وروي أنه لما حمل الرأس إلى الشام جنَّ عليهم الليل فنزلوا عند رجل من اليهود فلما شربوا وسكروا قالوا: عندنا رأس الحسين عليه السلام، وأروه لليهودي وهو في الصندوق ويسطع منه النور نحو السماء، فتعجب اليهودي فاستعار الرأس وخاطبه قائلاً: اشفع لي عند جدّك، فأنطق الله الرأس، فقال: إنما شفاعتي للمحمديين، ولست بمحمدي، ثم إن اليهودي استوصى بالرأس وجعل يتلهف أنه لم يلحق بالرسول صلى الله عليه وآله فنطق الرأس بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع، قال ذلك ثلاث مرات، فأسلم اليهودي.

المعجزة الثانية عشرة: وروي أنهم أقاموا في طريقهم على دير للنصارى والظاهر أنه في مدينة قنسرين، وفي الليل رأى راهب الدير نوراً ساطعاً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فنزل الراهب إلى القوم وسألهم عن الرأس فعرَّفوه انه رأس الحسين بن فاطمة بنت نبيهم صلى الله عليه وآله، فقال: تباً لكم، والله لو كان لعيسى ابن مريم ابن لحملناه على أحداقنا، ثم إنه بذل لهم عشرة آلاف درهم حتى أعاروه الرأس إلى حين رحيلهم، فأخذه وغسَّله ونظّفه، وحشاه بمسك وكافور ثم وضعه في حجره ولم يزل ينوح ويبكي حتى طلبوا الرأس، فقال الراهب

يخاطب الرأس: يا رأس، والله لا أملك إلا نفسي، فإذا كان غداً فاشهد لي عند جدّك ثم أسلم الراهب وصار مع القافلة في خدمة أهل البيت عليهم السلام، ثم تحولت دنانير الراهب إلى خزف مكتوب عليها من جانب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وفي الجانب الآخر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وفي خبر آخر رواه النطري في الخصائص أن الراهب عندما أدخل الرأس الشريف إلى صومعته سمع صوتاً ولم يرَ شخصاً يقول: طوبى لك وطوبى لمن عرف حرمته، فرفع الراهب رأسه وقال: يا رب بحق عيسى تأمر هذا الرأس بالتكلم معي، فتكلم الرأس وقال: أنا ابن محمد المصطفى، وأنا ابن علي المرتضى، وأنا ابن فاطمة الزهراء، أنا المقتول بكربلاء، أنا المظلوم، أنا العطشان، وسكت، فوضع الراهب وجهه على وجه الحسين عليه السلام وطلب شفاعته يوم القيامة، فتكلم الرأس وقال: ارجع إلى دين جدي محمد صلى الله عليه وآله، فأسلم الراهب وتشهد الشهادتين، فضمن له الشفاعة.

واعلم أن أخبار معجزات الرأس الشريف كثيرة رواها رواة المسلمين من الفريقين السنة والشيعة معاً فلا يجوز للمسلم الإعتراض على هذه الأخبار وردّها لمجرد الاستغراب، فإن مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه والإطافة برؤوسهم ونسائهم وأطفالهم من بلد إلى بلد والناس مستبشرون فرحون خطب عظيم يفوق المألوف والتصور، فمن القريب إلى العقول أن ترافقه أحداث أعجازية تفوق المألوف والتصور ليلتفت الناس إلى عظيم الجرم الذي اجترموه وفادح الخطأ الذي ارتكبوه، بل العجب أن لا يحصل عند هذا الحدث الهائل شيئ في الأرض ولا في السماء.

٤- رؤوس العباس وعلي الأكبر وحبيب بن مظاهر

ثم إن من الإحتمالات القوية أن يكون رأس العباس بن علي (عليهما السلام) كما رأس علي الأكبر بن الحسين (عليهما السلام) ورأس حبيب بن مظاهر وربما معها أيضا بعض رؤوس الشهداء رضوان الله تعالى عليهم قد دفنت في دمشق الشام في الجبانة الشهيرة المعروفة بمقابر باب الصغير، وهي من أقدم جبانات المسلمين دفن فيها بلال الصحابي أيام عمر بن الخطاب، قال السيد محسن الأمين في أعيانه: رأيت بعد سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهدا وضع فوق بابه صخرة كتب عليها ما صورته:

هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي بن الحسين الأكبر ورأس حبيب بن مظاهر ثم أنه بعد ذلك بسنين هدم هذا المشهد وأعيد بناؤه وأزيلت هذه الصخرة وبني ضريح داخل

المشهد ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكن الحقيقة أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعا على بابه كما مر.

أقول: وقرب هذا المشهد مشهد آخر لأهل البيت عليهم السلام، هو مشهد يقال أن فيه قبر سكينة بنت الحسين سيد الشهداء (عليه السلام) في مقبرة باب الصغير كان لها قبة خاصة مشهورة قديما وكانت مزارا يتبرك به، وقرب قبتها قبة أخرى يقال أن فيها قبر بريهة بنت الحسن بن علي (عليهما السلام)، وهما قرب قبة الصحابي بلال، وقد ذكر ذلك المؤرخون القدماء، وروى ابن عساكر الدمشقي في تاريخ مدينة دمشق، قال:

قال ابن الأكفاني: أراني الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير.. إلى أن قال: وأراني أيضا قبر بريهة ابنة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قبة وقبر سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب في قبة.

أقول: أبو محمد ابن الكتاني من الأعلام المشاهير توفي سنة ٤٦٦ من الهجرة.

ويقال أن في هذه المقابر قبر آخر هو لزينب بنت مولانا زين العابدين عليه السلام، وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات أن محمد بن يونس الساوجي الزاهد شيخ الطائفة القرندلية قريبا من سنة ٦٠٠ هجرية حصل له زهد وفراغ عن الدنيا فأقام بمقبرة باب الصغير وبقي مديدة في قبة زينب بنت زين العابدين(عليه السلام).

ولا يبعد أن يكون القبر الشريف المنسوب إلى سكينة هو بعينه ينسب إلى زينب بنت زين العابدين (عليهم السلام).

الفصل الثاني

أحوال السبايا

الباب الأول

آل محمد ﷺ في أيدي الأعداء

١ - حصان الحسين عليه السلام

يروي المؤرخون من الخاصة والعامة ومنهم أبو إسحاق الإسفرائيني والخوارزمي الحنفي أن بعد مقتل الحسين عليه السلام جعل جواد الحسين عليه السلام يهمهم ويتخطى للقتلى في المعركة قتيلا بعد قتيل حتى وقف على الجسد الشريف فوجده بلا رأس، فجعل يدور حول ناصيته ويتمرغ في دمه فلما نظر إليه عمر بن سعد قال للقوم: ويلكم ائتوني به، فركبوا خلفه وكان من جياد خيل رسول الله ﷺ، قال الإسفرائيني: والأصح انه الميمون، فلما أحس الميمون بذلك جعل يمانع عن نفسه ويلطم بيديه ويضرب برجليه حتى قتل منهم ستة وعشرين فارسا وتسعة من الخيل، فصاح عمر بن سعد: ويلكم اتركوه لأنظر ما يصنع فبعدوا عنه فلما رأى الناس تفرقت عنه أمن ورجع الى الجسد الشريف وجعل يمرغ وجهه ويقلبه بين عينيه ويصهل حتى ملأ البرية من صهيله، ثم قصد الى خيمة النساء فلما سمعن صهيله أقبلت زينب على سكينة (عليهما السلام)، وقالت: قد جاء الماء فاخرجي إليه لتشربي، فخرجت فوجدت السرج خاليا والجواد يصهل وينعي، فصاحت: واقتيلاه، واغريباه، واحسيناه، هذا الحسين بين العداء مسلوب العمامة والرداء، بدنه بالأرض ورأسه منقطعة واليوم يصير ماله وعياله بين العدا، أواه من نار البلايا غريبا لا يرتجي، واجريحا لا يداوى، ثم التفتت الى الميمون فرأته يبكى ويصهل فانشدت:

فويلك يا ميمون فارجع بسرعة — وخبر عن السبط الشريف هدى العلا
أين تركت السبط ميمون قل لنا — وأين الذي قد كان للخطب حاملا
أميمون تغدر بالحسين وما لنا — كفيل وللحمل الثقيل تحملا
أميمون ضيعت الحسين وجئتنا — تحمحم في خيماتنا ثم تصهلا

أميمون اسقيت الحسين حمامه وبين الأعادي في دماء تجندلا
أميمون هلا قد فديت جنابه ولكن قضاء الله أصبح منزلا
أميمون أشفيت العدا من ولينا وألقيته بين الأعادي مجندلا

قال عبد الله بن قيس: رأيت الجواد رجع من عند الحريم وحمل على القوم حتى وصل الى الجسد الشريف فحعل يودعه ويمرغ ناصيته فوق أقدامه ويصهل، ثم قصد القرات وغاص فيه ولم ير له خبر بعد ذلك، ويقال أنه يخرج مع المهدي ﷺ، والله العالم.

٢ - الغارة على النساء وسلبهم:

ما إن انتهوا من قتل الحسين ﷺوسلبه حتى غارت رعاع الجيش اليزيدي الملعون رئيسهم ومرؤوسهم على خيام آل محمد ﷺ فأضرموا فيها النيران، وروي أن عمر بن سعد هو أول من طعن في سرادق الحسين ﷺ، وشرعوا ينهبون ويسرقون دون رعاية حق أو حرمة لرسول الله ﷺ ولم يكتفوا بالخيام بل تسابقوا على سلب نساء وأطفال آل محمدﷺ ما عليهم من حلي وحلل وثياب، ولم يكن لهؤلاء النساء والأطفال لواذ من هؤلاء الأعداء سوى الصحراء والبكاء.

١- ذكرت فاطمة الصغرى بنت الحسين ﷺ إنهم دخلوا عليها وهي جارية صغيرة في فسطاطها وفي رجليها خلخالان من ذهب فجعل رجل يفضّهما من رجليها وهو يبكي، فقالت له: ما يبكيك يا عدو الله؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب بنت رسول الله ﷺ، فقالت له: لا تسلبني، فقال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه.

٢- ودخلوا على أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وأخت الحسين ﷺ فأفضوا إلى قرط كان في أذنها فأخذوه وخرموا لها أذنها.

٣- رأت فاطمة الصغرى بنت الحسين ﷺ رجلاً على ظهر جواده ففرت منه فتبعها فضربها بكعب الرمح بين كتفيها فسقطت على وجهها فخرم أذنها وأخذ قرطها ومقنعتها.

٤- وذكر الاخنس بن زيد فقال: جررتُ نطعاً من تحت علي بن الحسين ﷺ وهو عليل حتى كببته على وجهه، وخرمتُ أذني صفيّة بنت الحسين ﷺ لقرطين كانا في أذنيها.

٥- وقال أبجر بن كعب أخذت قناع زينب ﷺ من رأسها وقرطيها من أذنيها فجذبتها حتى

خرمتُ أذنيها، فقالت له زينب عليها السلام قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله تعالى بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

أقول: وقد استجاب الله تعالى دعاء زينب عليها السلام وتحقق ذلك في أيام المختار كما سيأتي بيانه في محله.

٦- ويروي المؤرخون عن زينب عليها السلام أنها قالت: كنا في ذلك الوقت جلوسا في الخيام إذ دخل علينا رجالا وفيهم رجل أزرق العيون، فأخذ كل ما كان في خيمتنا التي كنا مجتمعين فيها ثم نظر الى علي بن الحسين وهو مطروح على قطعة من الأديم فجذبها من تحته ورماه على الأرض، ثم أخذ قناعي من رأسي ونظر إلى قرط كان في أذني فعالجه وقرضه بأسنانه فخرم أذني ونزعه وجعل الدم يسيل على ثيابي، وهو مع ذلك يبكي ثم نظر إلى خلخال كان في رجلي فاطمة الصغرى فجعل يعالجهما حتى كسرهما وأخرج الخلخال منهما، فقالت له: تسلبنا وأنت تبكي؟!!، فقال: أبكي لما حل بكم يا أهل البيت، قالت زينب: فخنقتني العبرة مع وجع أذني وبكاء فاطمة، فقلت: له قطع الله يديك ورجليك وأذاقك الله النار في الدنيا قبل الآخرة، قال الراوي: فما كان إلا قليل حتى ظهر المختار بن عبد الله الثقفي طالبا بثار الحسين فوقع في يده ذلك الرجل وهو خولي بن يزيد الاصبحي.

٣- كشف ستور حرم الرسول صلى الله عليه وآله:

ولم يكتف أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله بنهب ما في المعسكر بل عمدوا إلى نساء الرسول صلى الله عليه وآله فسلبوا ما عليهن من مقانع ولباس حتى كشفوا رؤوسهن وهذا شيء إدًا تكاد السماوات يتفطَّرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًا إلا إنهم فعلوه ولم يبالوا ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

ولم يكن هذا بسبب اضطراب الأمور واختلاط الحابل بالنابل بل كان عملاً مقصوداً وحرمة للرسول صلى الله عليه وآله تعمدوا انتهاكها طمعا في النهبة واستخفافا بالحرمة، إذ تقول الأخبار إنهم أقبلوا حتى أحدقوا بالخيام ومعهم شمر بن ذي الجوشن فأمرهم بدخول الخيام ونهبها وسلب بزّات النساء فدخل الاعداء وفعلوا ما أمروا به.

قال الراوي: وأقبلوا حتى أحدقوا بالخيام ومعهم شمر بن ذي الجوشن، فقال: أدخلوا فاسلبوا بزاتهن، فدخل القوم فأخذوا كل ما كان بالخيم حتى أفضوا إلى قرط كان في أذن أم كلثوم أخت الحسين عليه السلام فأخذوه وخرموا أذنها.

والظاهر أن نهب متاع وبزات نساء النبوة استمر حتى جاء عمر بن سعد إلى الخيام فاستفظع هذا الأمر الفظيع، فقال: ألا لا يدخلن أحد بيوت هذه النسوة، ومن أخذ من متاعهم شيئا فليرده، قال الراوي: والله ما ردَّ واحد منهم شيئا غير أنهم كفّوا، وإليك بعض الأخبار التفصيلية عن هتك حرمات النبي ﷺ، وما أفظعها من أخبار نذكرها مستسلمين لمشيئة الجبار:

١ـ روى عن حميد بن مسلم قال: خرجت زينب بنت علي وقرطاها يجولان في أذنيها وهي تقول: ليت السماء أطبقت على الأرض، يا ابن سعد أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه، فجعلت دموعه تسيل على خديه ولحيته فصرف وجهه عنها.

٢ـ وجاء في زيارة الناحية الشهيرة: فلما رأين النساء جوادك مخزيا، ونظرن سرجك عليه ملويا، برزن من الخدور، ناشرات الشعور على الخدود لاطمات، الوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذللات، والى مصرعك مبادرات ـ

أقول: فيكون خروجهن بهذا النحو هو قهر لهن بعد دخول الأعداء إلى خيامهن وسلب بزاتهن، لا اختيارا منهن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣ـ وعن صاحب المناقب ومحمد بن أبي طالب قال:...... حتى كانت المرأة لتنازع ثوبها على ظهرها حتى تُغلب عليه.

٤ـ وفي خبر آخر إنهم انتهبوا كل شيئ حتى الملاحف عن ظهور النساء.

٥ـ ونقل العلاّمة المجلسي في البحار عن بعض الكتب إن فاطمة الصغرى عليها السلام كانت واقفة بباب الخيمة تنظر إلى أبيها عليه السلام وأصحابه مجزّرين كالأضاحي والخيول على أجسادهم تجول فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء فلما قصدها فرّت منهزمة فتبعها فذهلت خشية منه، فضربها بكعب الرمح بين كتفيها فسقطت على وجهها فخرم أذنها وأخذ قرطها ومقنعتها (المقنعة هي ستار الرأس): وترك الدماء تسيل على خدها ورأسها تصهره الشمس وغشي عليها، قالت فاطمة: وإذا بعمتي زينب عليها السلام عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل، فقمت وقلت: يا عمتاه هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظار، فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك، فرأيت رأسها مكشوفة ومتنها قد اسود من الضرب.

٦ـ ولقد استمرت نساء الرسالة هكذا مكشوفات الأستار قد هتكت حرمتهن طوال يوم

عاشوراء واليوم الذي يليه حتى وصلوا مشارف الكوفة، إذ يروي السيد: أن ابن سعد سار بالسبي فلما قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن فأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت: من أي الأسارى أنتن؟ فقلن: نحن أسارى آل محمد ﷺ: فنزلت من سطحها وجمعت ملاء وأزر ومقانع فأعطتهن فتغطين... ومن الواضح أن المقانع تستر الرأس، والأزر تستر ما تحت السرة، والملاء ما توضع على الرأس إلى أسفل الجسد مما يعني أن بنات الرسالة كن يفتقدن هذه الألبسة او كانت عليهن ممزقات إلى حين أعطتهن إياها هذه المرأة الكوفية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٧_ ومع هذه الثياب التي وصلتهم فإن بنات الرسالة بقين مكشوفات الوجوه طوال مدة السبي حتى رجعن من الشام كما سيأتي.

٤_ إحراق الخيام:

ثم بعد أن سلبوا خيام آل الرسول ﷺ وما فيها وسلب ما على أبدان الشهداء وما على ظهور النساء أخرجوا نساء الرسول ﷺ من الخيام وأشعلوا فيها النيران فخرجن نساء الرسول ﷺ حواسر مسلبات حافيات باكيات والنيران تأكل خيامهن.

٥_ السبايا تودِّع حماتها:

جاءت النسوة إلى أجساد القتلى ويا له من منظر إذ نظرن إلى إخوتهن وأبنائهن وآباءهن أجساداً بلا رؤوس، مقطَّعة الاوصال، مرمَّلة بالدماء، معفَّرة بالتراب، مجرّدة عارية، تلفحها الرياح وحرارة الشمس، قد طحنتها حوافر الخيول، فصحن بأعلى أصواتهن ولطمن وجوههن وصاحت زينب عليها السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين وهي واضعة يديها على رأسها: يا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتّلة، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء، يا محمداه هذا حسين بالعراء، تسفي عليه ريح الصبا، قتيل أولاد البغايا، واحزناه واكرباه، اليوم مات جدي رسول الله ﷺ، يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذريّة المصطفى ﷺ يساقون سوق السبايا.

ثم بكت وقالت: والله على كل شئ شهيد وحفيظ، ثم إنها أخذت بيد فاطمة الصغرى بنت الحسين، وهو كان يحبها حبا شديدا فجعلت تمرغ خدها وشعرها في منحر أبيها وهي تنادي: واأبتاه يعز علي والله أن أناديك وتخيبني.

وفي رواية أخرى أنها عليها السلام نادت: يا محمداه بناتك سبايا، وذريّتك مقتّلة تسفي عليهم ريح الصبا، هذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحى عسكره يوم الإثنين نهبا، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء... فأبكى صوتها هذا كل جلمود، ثم وقعت على جسد أخيها الحسين عليه السلام وبسطت يديها تحت بدنه المقدّس ورفعته نحو السماء ونادت نداءها الرباني التاريخي المشهور: إلهي تقبل منّا هذا القربان.

وأما سكينة بنت الحسين عليه السلام فأقبلت على جسد أبيها واعتنقته فأغمي عليها فسمعت صوتاً يخرج من عنق الحسين عليه السلام:

شيعتي ما إن شربتم ريَّ عذبٍ فاذكروني
أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

فقامت مرعوبة قد قرحت مآقيها وهي تلطم على خديها.

وتفانت النسوة في عناق وضم أجساد أحبائهن حتى جاء الملعون زحر بن قيس فصاح بهن فلم يقمن، فأخذ سوطه وشرع يضربهن واجتمع الناس عليهن فأقمنهن.

٦_ سوق النساء:

قالت فاطمة الصغرى: كنت واقفة بباب الخيمة وأنا انظر إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا... فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة وهن يصحن: واجداه، وا أبتاه، وا علياه، وا قلّة ناصراه، وا حسيناه، اما من مجير يجيرنا أما من زائد يزود عنا...

٧_ ضرب النساء:

وما تورعوا عن ضرب نساء آل محمد صلى الله عليه وآله وكان أكثرهن ضرباً العقيلة زينب بنت علي عليه السلام، قالت فاطمة الصغرى في حديثها عن زينب عليها السلام..... فرأيت رأسها مكشوفة ومتنها قد اسود من الضرب.

بل وصل بهم الأمر حداً أن يصيح بينهم الصائح: لا تبقوا من أهل هذا البيت باقية ولا

تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً، وعندما وصلوا إلى خيمة علي بن الحسين عليه السلام ووجدوه مريضاً على فراشه ينوء بنفسه جرّد الشمر اللعين سيفه يريد قتله مدّعياً أن ابن زياد أمره بقتل أولاد الحسين عليه السلام!!! وما ردّه إلا تدخل بعض من حوله ممن لم يرتض قتل الصغار!!.

ففي بعض الأخبار أن علي بن الحسين عليهما السلام كان مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضا نائما على فراشه، فلما قتل الحسين عليه السلام قال شمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا، فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله أنقتل فتى حدثا مريضا لم يقاتل، وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض، قال علي بن الحسين: فغيبني رجل منهم وأكرم نزلي واختصني وجعل يبكي كلما خرج ودخل حتى كنت أقول إن يكن عند أحد من الناس خير ووفاء فعند هذا إلى أن نادى منادي بن زياد ألا من وجد علي بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم قال فدخل والله علي وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول أخاف فأخرجني والله إليهم مربوطا حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليها.

٨_ جمع النساء:

ثم بعد انتهاء السلب والغارة دخل عمر بن سعد على النساء والأطفال فصحن في وجهه وبكين فأمر أصحابه أن لا يدخل أحد عليهن وأن لا يتعرضوا لعلي بن الحسين عليه السلام، وسألته النسوة أن يسترجعن ما أخذ منهن ليستترن به: فقال: من أخذ من متاعهم شيئاً فليردَّه، فما ردوا شيئاً.

وكان جميع نساء آل محمد صلى الله عليه وآله — وعددهن عشرون امرأة — سالمات إلا ما حكي عن شهربانويه امرأة الحسين عليه السلام من أنها أتلفت نفسها في نهر الفرات، وأما الذكور فلم يبق منهم إلا اثنا عشر ذكراً كلهم أطفال لم يبلغوا الحلم وكان أكبرهم علي بن الحسين عليه السلام الذي كان قد راهق الحلم، ويقال أنه كان في الثانية والعشرين وكان معه ابنه محمد الباقر عليه السلام، وكان عمره سنتان وشهور، وممن سلم من الذكور أيضاً زيد بن الحسن عليه السلام، وعمرو بن الحسن عليه السلام، وكان عمره أحد عشر عاماً، والحسن بن الحسن المثنى الذي قاتل مع عمه الحسين عليه السلام وقتل رجالاً حتى أصابته الجراحات وقطعت يده اليمنى، ويقال أن الذي أنقذه من القتل هو خاله أسماء بن خارجه الفزاري لأن أم الحسن المثنى هي خولة بنت منظور بن زيان الفزارية من قبيلة بني فزارة.

٩_ قصة ولدي مسلم بن عقيل

وممن بقي من عترة آل محمد صلى الله عليه وآله طفلان صغيران من ولد مسلم بن عقيل، وكان من قصتهما ما يشهد لعظيم استهتار هذه الأمة الظالمة بدماء آل محمد صلى الله عليه وآله، وكان من خبرهما ما رواه شيخنا الصدوق بإسناده عن شيخ لأهل الكوفة، قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام أسر من معسكره غلامان صغيران، فأتي بهما عبيد الله بن زياد، فدعا سجانا له، فقال: خذ هذين الغلامين إليك، فمن طيّب الطعام فلا تطعمهما، ومن البارد فلا تسقهما، وضيّق عليهما سجنهما، وكان الغلامان يصومان النهار، فإذا جنّهما الليل أتيا بقرصين من شعير وكوز من الماء القراح، فلما طال بالغلامين المكث حتى صارا في السنة، قال أحدهما لصاحبه: يا أخي، قد طال بنا مكثنا، ويوشك أن تفنى أعمارنا وتبلى أبداننا، فإذا جاء الشيخ فأعلمه مكاننا، وتقرب إليه بمحمد صلى الله عليه وآله لعله يوسع علينا في طعامنا، ويزيد في شرابنا، فلما جنّهما الليل أقبل الشيخ إليهما بقرصين من شعير وكوز من الماء القراح، فقال له الغلام الصغير: يا شيخ، أتعرف محمدا؟ قال: فكيف لا أعرف محمدا وهو نبيي! قال: أفتعرف جعفر بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف جعفرا، وقد أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء! قال: أفتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف عليا، وهو ابن عم نبيي وأخو نبيي! قال له: يا شيخ، فنحن من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله، ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب، بيدك أسارى، من طيب الطعام لا تطعمنا، ومن بارد الشراب لا تسقينا، وقد ضيّقت علينا سجننا، فانكب الشيخ على أقدامهما يقبّلهما، ويقول: نفسي لنفسكما الفداء، ووجهي لوجهكما الوقاء، يا عترة نبي الله المصطفى، هذا باب السجن بين يديكما مفتوح، فخذا أي طريق شئتما، فلما جنهما الليل أتاهما بقرصين من شعير وكوز من الماء القراح ووقفهما على الطريق، وقال لهما: سيرا - يا حبيبي - الليل، واكمنا النهار حتى يجعل الله عز وجل لكما من أمركما فرجا ومخرجا. ففعل الغلامان ذلك. فلما جنهما الليل، انتهيا إلى عجوز على باب، فقالا لها: يا عجوز، إنا غلامان صغيران غريبان حدثان غير خبيرين بالطريق، وهذا الليل قد جننا أضيفينا سواد ليلتنا هذه، فإذا أصبحنا لزمنا الطريق. فقالت لهما: فمن أنتما يا حبيبي، فقد شممت الروائح كلها، فما شممت رائحة أطيب من رائحتكما، فقالا لها: يا عجوز، نحن من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل، قالت العجوز: يا حبيبي، إن لي ختنا فاسقا، قد شهد الواقعة مع عبيد الله بن زياد، أتخوف أن يصيبكما هاهنا فيقتلكما. قالا: سواد ليلتنا هذه، فإذا أصبحنا لزمنا الطريق. فقالت: سأتيكما بطعام، ثم أتتهما بطعام فأكلا وشربا. فلما ولجا الفراش، قال الصغير للكبير: يا أخي، إنا نرجو أن نكون قد أمنّا ليلتنا هذه،

فتعال حتى أعانقك وتعانقني وأشم رائحتك وتشم رائحتي قبل أن يفرق الموت بيننا. ففعل الغلامان ذلك، واعتنقا وناما. فلما كان في بعض الليل أقبل ختن العجوز الفاسق حتى قرع الباب قرعا خفيفا، فقالت العجوز: من هذا؟ قال: أنا فلان. قالت: ما الذي أطرقك هذه الساعة، وليس هذا لك بوقت؟ قال: ويحك افتحي الباب قبل أن يطير عقلي وتنشق مرارتي في جوفي، جهد البلاء قد نزل بي. قالت: ويحك ما الذي نزل بك؟ قال: هرب غلامان صغيران من عسكر عبيد الله بن زياد، فنادى الأمير في معسكره: من جاء برأس واحد منهما فله ألف درهم، ومن جاء برأسيهما فله ألفا درهم، فقد أتعبت وتعبت ولم يصل في يدي شئ. فقالت العجوز: يا ختني، احذر أن يكون محمدﷺ خصمك في يوم القيامة. قال لها: ويحك إن الدنيا محرص عليها. فقالت: وما تصنع بالدنيا، وليس معها آخرة؟ قال: إني لأراك تحامين عنهما، كأن عندك من طلب الأمير شيئا، فقومي فإن الأمير يدعوك. قالت: وما يصنع الأمير بي، وإنما أنا عجوز في هذه البرية؟ قال: إنما لي طلب، افتحي لي الباب حتى أريح وأستريح، فإذا أصبحت بكرت في أي الطريق آخذ في طلبهما. ففتحت له الباب، وأتته بطعام وشراب فأكل وشرب. فلما كان في بعض الليل سمع غطيط الغلامين في جوف البيت، فأقبل يهيج كما يهيج البعير الهائج، ويخور كما يخور الثور، ويلمس بكفه جدار البيت حتى وقعت يده على جنب الغلام الصغير، فقال له: من هذا؟ قال: أما أنا فصاحب المنزل، فمن أنتما؟ فأقبل الصغير يحرك الكبير ويقول: قم يا حبيبي، فقد والله وقعنا فيما كنا نحاذره. قال لهما: من أنتما؟ قالا له: يا شيخ، إن نحن صدقناك فلنا الأمان؟ قال: نعم. قالا: أمان الله وأمان رسوله، وذمة الله وذمة رسوله؟ قال: نعم. قالا: ومحمد بن عبد الله على ذلك من الشاهدين؟ قال: نعم. قالا: والله على ما نقول وكيل وشهيد؟ قال: نعم. قالا له: يا شيخ، فنحن من عترة نبيك محمد ﷺ، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل. فقال لهما: من الموت هربتما، وإلى الموت وقعتما، الحمد لله الذي أظفرني بكما. فقام إلى الغلامين فشد أكتافهما، فبات الغلامان ليلتهما مكتفين. فلما انفجر عمود الصبح، دعا غلاما له أسود، يقال له: فليح، فقال: خذ هذين الغلامين، فانطلق بهما إلى شاطئ الفرات، واضرب عنقيهما، وائتني برأسيهما لأنطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفي درهم. فحمل الغلام السيف، ومشى أمام الغلامين، فما مضى إلا غير بعيد حتى قال أحد الغلامين: يا أسود، ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله ﷺ! قال: إن مولاي قد أمرني بقتلكما، فمن أنتما؟ قالا له: يا أسود، نحن من عترة نبيك محمد ﷺ، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل: أضافتنا عجوزكم هذه، ويريد مولاك قتلنا. فانكب الأسود على أقدامهما يقبلهما ويقول: نفسي لنفسكما الفداء، ووجهي لوجهكما الوقاء، يا عترة نبي الله المصطفى، والله لا يكون محمد ﷺ خصمي في القيامة.

ثم عدا فرمى بالسيف من يده ناحية، وطرح نفسه في الفرات، وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاه: يا غلام عصيتني! فقال: يا مولاي، إنما أطعتك ما دمت لا تعصي الله، فإذا عصيت الله فأنا منك بريئ في الدنيا والآخرة. فدعا ابنه، فقال: يا بني، إنما أجمع الدنيا حلالها وحرامها لك، والدنيا محرص عليها، فخذ هذين الغلامين إليك، فانطلق بهما إلى شاطئ الفرات، فاضرب عنقيهما وائتني برأسيهما، لأنطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد وآخذ جائزة ألفي درهم. فأخذ الغلام السيف، ومشى أمام الغلامين، فما مضى إلا غير بعيد حتى قال أحد الغلامين: يا شاب، ما أخوفني على شبابك هذا من نار جهنم! فقال: يا حبيبي، فمن أنتما؟ قالا: من عترة نبيك محمد ﷺ، يريد والدك قتلنا. فانكب الغلام على أقدامهما يقبلهما، وهو يقول لهما مقالة الأسود، ورمى بالسيف ناحية وطرح نفسه في الفرات وعبر، فصاح به أبوه: يا بني عصيتني! قال: لان أطيع الله وأعصيك أحب إلي من أن أعصي الله وأطيعك. قال الشيخ: لا يلي قتلكما أحد غيري، وأخذ السيف ومشى أمامهما، فلما صار إلى شاطئ الفرات سل السيف من جفنه، فلما نظر الغلامان إلى السيف مسلولا اغرورقت أعينهما، وقالا له: يا شيخ، انطلق بنا إلى السوق واستمتع بأثماننا، ولا ترد أن يكون محمد خصمك في القيامة غدا. فقال: لا، ولكن أقتلكما وأذهب برأسيكما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفي درهم. فقالا له: يا شيخ، أما تحفظ قرابتنا من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما لكما من رسول الله قرابة. قالا له: يا شيخ، فائت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره. قال: ما إلى ذلك سبيل إلا التقرب إليه بدمكما. قالا له: يا شيخ، أما ترحم صغر سننا؟ قال: ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئا. قالا: يا شيخ إن كان ولا بد، فدعنا نصلي ركعات. قال: فصليا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة. فصلى الغلامان أربع ركعات، ثم رفعا طرفيهما إلى السماء فناديا: يا حي يا حليم يا أحكم الحاكمين، أحكم بيننا وبينه بالحق. فقام إلى الاكبر فضرب عنقه، وأخذ برأسه ووضعه في المخلاة، وأقبل الغلام الصغير يتمرغ في دم أخيه، وهو يقول: حتى ألقى رسول الله ﷺ، وأنا مختضب بدم أخي. فقال: لا عليك سوف ألحقك بأخيك، ثم قام إلى الغلام الصغير فضرب عنقه، وأخذ رأسه ووضعه في المخلاة، ورمى ببدنيهما في الماء، وهما يقطران دما. ومر حتى أتى بهما عبيد الله بن زياد وهو قاعد على كرسي له، وبيده قضيب خيزران، فوضع الرأسين بين يديه، فلما نظر إليهما قام ثم قعد ثم قام ثم قعد ثلاثا، ثم قال: الويل لك، أين ظفرت بهما؟ قال: أضافتهما عجوز لنا. قال: فما عرفت لهما حق الضيافة؟ قال: لا. قال: فأي شئ قالا لك؟ قال: قالا: يا شيخ، اذهب بنا إلى السوق فبعنا وانتفع بأثماننا فلا ترد أن يكون محمد ﷺ خصمك في القيامة. قال: فأي شئ قلت لهما؟ قال: قلت: لا، ولكن أقتلكما وأنطلق برأسيكما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفي درهم. قال: فأي شئ قالا لك؟

قال: قالا: ائت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره. قال: فأي شئ قلت؟ قال: قلت: ليس إلى ذلك سبيل إلا التقرب إليه بدمكما. قال: أفلا جئتني بهما حيين، فكنت أضعف لك الجائزة، وأجعلها أربعة آلاف درهم؟ قال: ما رأيت إلى ذلك سبيلا إلا التقرب إليك بدمهما. قال: فأي شئ قالا لك أيضا؟ قال: قال لي: يا شيخ، احفظ قرابتنا من رسول الله. قال: فأي شئ قلت لهما. قال: قلت: ما لكما من رسول الله قرابة. قال: ويلك، فأي شئ قالا لك أيضا؟ قال: قالا: يا شيخ، ارحم صغر سننا. قال: فما رحمتهما؟ قال: قلت: ما جعل الله لكما من الرحمة في قلبي شيئا. قال: ويلك، فأي شئ قالا لك أيضا؟ قال: قالا: دعنا نصلي ركعات. فقلت: فصليا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة، فصلى الغلامان أربع ركعات. قال: فأي شئ قالا في آخر صلاتهما؟ قال: رفعا طرفيهما إلى السماء، وقالا: يا حي يا حليم، يا أحكم الحاكمين، أحكم بيننا وبينه بالحق. قال عبيد الله بن زياد: فإن أحكم الحاكمين قد حكم بينكم، من للفاسق؟ قال: فانتدب له رجل من أهل الشام، فقال: أنا له. قال: فانطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين، فاضرب عنقه، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما وعجل برأسه، ففعل الرجل ذلك، وجاء برأسه فنصبه على قناة، فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة وهم يقولون: هذا قاتل ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1].

١٠- قصة ولدي جعفر الطيار

هذا وقد روى الرواة قصة قريبة من القصة المتقدمة بل تكاد تكون عينها إلا أنهم زعموا أن الولدين هما من ولد جعفر الطيار، رواها الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين عليه السلام بإسناد قوي عن إمام أهل السنة محمد بن يحيى الذهلي، قال: لما قتل الحسين عليه السلام بكربلاء هرب غلامان من عسكر عبيد الله بن زياد أحدهما يقال له: إبراهيم، والآخر يقال له محمد، من ولد جعفر الطيار في الجنة فإذا هما بامرأة تستقي فنظرت إلى الغلامين، وإلى حسنهما وجمالهما، فقالت لهما: من أنتما؟ فقالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنة، هربنا من عسكر عبيد الله بن زياد فقالت المرأة: إن زوجي في عسكر عبيد الله بن زياد، ولولا أني أخشى أن يجيئ الليلة لأضفتكما وأحسنت ضيافتكما، فقالا لها: أيتها المرأة انطلقي بنا فنرجو أن لا يأتي زوجك الليلة، فانطلقت المرأة والغلامان حتى انتهيا بهما إلى منزلها فأتتهما بطعام، فقالا: مالنا في الطعام من حاجة، ائتنا بمصلى نقضي نوافلنا فأتتهما بمصلى، فصليا فانطلقا إلى مضجعهما فقال الاصغر للاكبر: يا أخي ويا ابن امي التزمني واستنشق من رائحتي فاني أظن أنها آخر ليلتي، لانصبح بعدها وساق الحديث نحوا مما مر إلى أن قال: ثم هز السيف وضرب عنق

(١) أمالي الصدوق مجلس ١٩ص١٤٣ح١٤٥ .٢

الاكبر ورمى ببدنه الفرات، فقال الاصغر: سألتك بالله أن تتركني حتى أتمرغ بدم أخي ساعة، قال: وما ينفعك ذلك؟ قال: هكذا أحب، فتمرغ بدم أخيه إبراهيم ساعة، ثم قال له: قم فلم يقم فوضع السيف على قفاه، فضرب عنقه من قبل القفا ورمى ببدنه إلى الفرات، فكان بدن الاول على وجه الفرات ساعة، حتى قذف الثاني فأقبل بدن الاول راجعا يشق الماء شقا حتى التزم بدن أخيه، ومضيا في الماء، وسمع هذا الملعون صوتا من بينهما وهما في الماء: رب تعلم وترى ما فعل بنا هذا الملعون، فاستوف لنا حقنا منه يوم القيامة ثم قال: فدعا عبيد الله بغلام له أسود يقال له: نادر. فقال له: يا نادر دونك هذا الشيخ شد كتفيه فانطلق به الموضع الذي قتل الغلامين فيه، فاضرب عنقه، وسلبه لك، ولك عشرة آلاف درهم، وأنت حر لوجه الله، فانطلق الغلام به إلى الموضع الذي ضرب أعناقهما فيه، فقال له: يا نادر لابد لك من قتلي؟ قال: فضرب عنقه فرمى بجيفته إلى الماء، فلم يقبله الماء، ورمى به إلى الشط وأمر عبيد الله بن زياد أن يحرق بالنار، ففعل به ذلك وصار إلى عذاب الله[1].

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج٢ص٥٤ح٢٧ ، بحار الأنوار ج٤٥ص١٠٥

الباب الثاني
آل محمد ﷺ في الكوفة

١- السبايا من كربلاء إلى الكوفة:

قد عرفت أنه تم تسيير الرؤوس إلى الكوفة في نفس اليوم العاشر إلا أن السبايا والأسارى قد بقوا في عرصة كربلاء إلى زوال اليوم الحادي عشر فجمعوهن وكن عشرين امرأة وأحد عشر طفلاً ذكراً معهم علي بن الحسين عليه السلام وهو الوحيد[١] من ولد الحسين عليه السلام، وفيهم عمر وزيد والحسن أولاد الحسن المجتبى عليه السلام، ثم أركبوهم على أحلاس أقتاب[٢] فقط بغير وطاء مكشوفين لا شيء يسترهم من حر الشمس أو قرّ البرد أو غبار الطريق أو كعب رمح أو سوط جلاد أو أعين النظّارة، ونساء الرسالة على هذا الحال الفظيع الذي ذكرناه مكشوفات الستر منتهكات الحرمة مُستَذَلاّت حزينات باكياتٍ معولات، وقد وصفهن في زيارة الناحية بما يفجع القلوب فقال: وسُبي أهلُك كالعبيد، وصُفّدوا في الحديد، فوق أقتاب المطيّات، تلفح وجوههن حرُّ الهاجرات، يُساقون في البراريَ والفلَوات، أيديهم مغلولةٌ إلى الأعناق، يُطاف بهم في الأسواق، فالويل للعصاة الفسّاق. نعم هكذا سار بهن عمر بن سعد مع بقية جيشه العاتي، سار بهن على هذا النحو طوال الطريق من كربلاء إلى الكوفة وهو طريق يمتد يومين في تلك الأيام.

ويمكننا هنا أن نتخيل عبيد الله بن زياد وهو يبعث رجاله لينتشروا في ساحات الكوفة وأزقتها ودواوين قبائلها وأحيائها القريبة والبعيدة ويخبرونهم بفرح واستبشار بقتل الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه وسبي نسائه وعترته ويحددون لهم مكان وساعة وصول قطار السبايا والأسارى، ويأمرونهم بإظهار الفرح والسرور!!، ولهذا فقد عُطّلت الأسواق وأُغلقت الدكاكين واجتمع الناس خلقاً كثيراً حلقاً حلقاً على مداخل الكوفةَ للنظر إلى هذا الموكب الرهيب موكب السبايا والأسارى من آل محمد ﷺ.

---

(١) وذكر بعض المؤرخين أنه نجى للحسين عليه السلام ذكر آخر وهو عمر بن الحسين عليه السلام وكان عمره أربع سنوات.

(٢) أحلاس اقتاب: أي كساء يوضع على ظهر البعير صغير على قدر سنام البعير فقط.

٢- السبايا يدخلون الكوفة:

وبالفعل وصل موكب السبايا إلى مداخل الكوفة وهناك امرأة من الكوفيات كان ما زال فيها بعض الغيرة فاستعظمت منظر نساء آل محمدﷺ، فقامت فجمعت أزراً ومقانع فأعطتهن للسبايا المكشوفات فلبسن وتغطين بها.

وصل الموكب إلى مدخل الكوفة باب بني خزيمة، ووقفوا هناك ساعة من النهار، ثم دخل موكب آل محمد ﷺ إلى الكوفة وهم على أربعين شقة تُحمل على أربعين جملاً فيها أولاد محمد ﷺ ونساؤه على أقتاب بغير وطاء بنحو مهين لا يكاد يحتمله عقل مسلم.

تحيط بهم الجنود من كل جانب، والبوقات تضرب، والرايات تخفق فوقهم، يتقدمهم رأس الحسينعليه السلام على رمح طويل، ومن خلفه السبايا وهم مكبَّلين بالحبال، وأول السبايا خلف الرأس الشريف أم كلثوم عليها برقع خز أدكن وهي تنادي: يا أهل الكوفة نحن والله سبايا الحسين عليه السلام، غضُّوا أبصاركم عن النظر إلينا، معاشر الناس أما تستحيون من الله ورسولهﷺ تنظرون إلى حريم نبيِّكم وحريم علي المرتضى وفاطمة الزهراءعليها السلام.

يروى عن مسلم الجصاص، قال: كنت في ذلك اليوم دعيت لأجصص دار ابن زياد فبينما أنا اشتغل وإذا بالأصوات وقد رفعت في جوانب الكوفة، فسألت خادما عن ذلك فقالت: ستأتي إلينا رأس خارجي، فقلت: ما اسم صاحبها، فقال لي: الحسين، فلما سمعت ذلك تركتها حتى خرجت من القصر، فرأيت أهل الكوفة لابسين الثياب الفاخرة وهم يرتقبون رأس الحسين عند دخولها، وبعد قليل اقبلت الجمال عليها حريم الحسين والشهداء وهم بغير وطاء ولا غطاء!!! .

وعلي بن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء أيضاً وأوداجه [1] تشخب دماً ويده مغلولة إلى عنقه، وفي عنقه الجامعة، وهو يبكي ويقول:

يا أمّة السوء لا سقيا لِربعِكُم	يا أمّةً لم تُراعِ جدَّنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا	يوم القيامة ما كنتم تقولونا

(١) أقول: والسبب في أن أوداجه تشخب دماً هو حديد الجامعة وهي طوق حديدي حول العنق مربوط بسلاسل ممتدة إلى طوقين لليدين وطوقين للرجلين، ولم يكن الحديد في تلك الايام ناعماً بل كان خشنا كان يبقى له زوايا وحراشف تحف بالعنق مما يؤدي إلا إدماء العنق وكذلك اليدين والرجلين.

تسيِّرونا على الأقتاب عارية ... كأننا لم نشيِّد فيكُمُ دينا
بني أمية ما هذا الوقوفُ على ... تلك المصائبِ لا تلبُّون داعينا
تصفِّقون علينا كفَّكم فرحاً ... وأنتم في فجاج الأرض تسبونا
أليس جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ويلكُمُ ... أهدى البريّة من سبل المضلينا
يا وقعة الطف قد أورثتني حزناً ... والله يهتك أستار المسيئينا

فجعل أهل الكوفة ينظرون إلى هذا المنظر العظيم وهم ينوحون ويبكون، والنساء يندبن مشققات الجيوب، فقال علي بن الحسين عليه السلام بلسان ضعيف قد أنهكه المرض والتعب: أينوحون ويبكون من أجلنا!! فمن قتلنا غيرهم.

واستمر هذا الموكب المحمدي يسير في أزقة الكوفة وأهل الكوفة ينظرون ويبكون وجعلوا يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم وربما في مواضع أخرى تصيح زينب عليها السلام وتقول: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام، وتأخذ ذلك من أيدي الأطفال ومن أفواههم وترمي به إلى الأرض، وهكذا حتى انتهى موكب السبايا والأسارى إلى إحدى ساحات الكوفة واستقر هناك، ولا أظن إلا ان هذه الساحة هي المسجد الاعظم «مسجد الكوفة» حيث مركز الكوفة وقصر الإمارة.

وفي الساحة كان اجتماع الناس إجتماعاً عظيماً ووقع كلام بين السبايا والأسارى مع أهل الكوفة، ولعل أول المتكلمين مع الناس هي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام فإنها عندما رأت أهل الكوفة بهذا النحو توجهت نحوهم وخطبت فيهم خطبتها النورانية التاريخية.

٣- خطاب زينب عليها السلام في أهل الكوفة:

قال حذيم [١] بن بشير الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي عليه السلام يومئذ ولم أر والله خفرة أنطق منها، كأنما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس ثم قالت:

الحمد لله والصلاة على أبي محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين الطاهرين الأخيار، أما بعد:

(١) قد اختلف المصنفون في تصحيف اسمه اختلافاً كبيراً.

يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون! فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنَّة، إنما مثلكم كمثلِ التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف وملق الإماء وغمز الأعداء كمرعى على دمنة (مجمع الأوساخ) أو كفضة على مَلحودة (ميتة في اللحد)، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون، أي والله فابكوا كثيراً واضحكو قليلا، فلقد ذهبتم بعارها (وشنارها) وشنآنها ولن ترحضوها (تغسلوها) بغسلٍ بعدها أبدا، وأنّى ترَحضون قتل سليل خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكمً، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقا، فلقد خاب السعي، وتبًّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، لقد جئتم بها صلعاء عنقاء (داهية) خرقاء شوهاء كطلاع (ملء) الأرض وملاء السماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل فإنه لا تحفزه البدار ولا يخاف فوت الثار وإن ربكم لبالمرصاد، ثم أنشأت تقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم — ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي ومكرمتي — منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت — لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
إني لأخشى عليكم أن يحل بكم — مثل العذاب الذي أودى على إرم

وعندما وصلت زينب عليها السلام في خطبتها إلى هذا المقطع ضجَّ الناس.

قال الراوي بشير الأسدي: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون قد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي وقد اخضلّت لحيته بالبكاء ويده مرفوعة إلى السماء وهو يقول بأبي أنتم وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يبزى.

فقال لها زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: يا عمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمةٌ غير معلَّمة، فاهمةٌ غير مفهَّمة، إن البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدهر، فسكتت.

بيان: الصلف هو من يمدح نفسه بما ليس فيه، والنطف هو من يقذف غيره بالفجور، وملق الإماء هو تذلل الأذلاء الذين هم في نهاية الضعف والخور والعجز، والغمز هو الطعن والأذى بالقول والإشارة، والمدرة زعيم القوم، وقد فسرنا بعض الكلمات أثناء سرد الخطبة.

٤- خطاب أم كلثوم:

وكذلك تكلمت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، مع جمع أهل الكوفة فقالت لهم:

صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالُكم وتبكينا نساؤكم!! فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

وكان من كلامها معهم أيضاً رافعة صوتها بالبكاء:

يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسُحقاً، ويلكم أتدرون أي دواه دهتكم، وأي وزر على ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتموها، وأي كريمة اصبتموها، وأي صبية سلبتموها، وأي أموال انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبي صلى الله عليه وآله، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون، ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لأمكم ستُجزون ناراً حرُّها يتوقدُ

سفكتم دماءً حرَّم اللهُ سفكَها وحرَّمَها القرآنُ ثم محمدُ

ألا فأبشروا بالنار إنكم غداً لفي سقرٍ حقاً يقيناً تُخلّدوا

إني لأبكي في حياتي على أخي على خير من بعد النبي سيولدُ

بدمع غزير مستهل مكفكف على الخد مني ذائباً ليس يجمد

وفي هذا الحال ضجَّ الناس بالبكاء والحنين والنوح، ونشر نساء أهل الكوفة شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعين بالويل

والثبور، وبكى الرجال ونتفوا لحاهم، فلم يُرَ باك وباكية أكثر من ذلك اليوم.

٥- خطاب فاطمة الصغرى[1]:

وقامت أيضاً فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام فقالت:

الحمد لله عددَ الرمل والحصى وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن ولده ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا ترات، اللّهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام المسلوب حقُه المقتول بغير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله تعالى فيه معاشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته حتى قبضته إليك محمود النقيبة طيّب العريكة معروف المناقب مشهور المذاهب، لم يأخذه اللّهم فيك لومة لائم ولا عذل عاذل، هديته رب للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كثيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنا أهل البيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته في الأرض لبلاده ولعباده، أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممن خلق تفضيلاً بيّناً فكذبتمونا وكفّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك أو كابل كما قتلَتم جدَّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم، قرَّت بذلك عيونُكم، وفرِحت قلوبُكم، افتراء منكم على الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور.

---

(١) عندما جاء الحسن بن الحسن عليه السلام إلى عمه الإمام الحسين عليه السلام ليخطب إحدى بناته قال له الحسين عليه السلام: إني أختار لك فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وفي الجمال تشبه الحور العين.

تباً لكم فانتظروا اللعنة والعذاب وكأنه قد حلَّ بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بما كسبتم ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم، وأية نفس نزعت إلى قتالنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا، تبغون محاربتنا، قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطُبع على أفئدتكم، وخُتم على سمعكم وبصركم، وسَوَّل لكم الشيطانُ وأملا لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لَا تهتدون.

تبّاً لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسول الله ﷺ قبَلكم، وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي وبنيه عترة النبيَ الطاهرين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخرُكم، فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي — بسيوف هندية ورماحِ

وسبينا نساءَهم سبيَ تركٍ — ونطحناهم فأيُّ نطاحِ

بفيك أيها القائل الكثكث و(لك) الأثلب، افتخرتَ بقتل قوم زكّاهم الله وطهَّرهم وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقعِ كما أقعى أبوك، وإنما لكل امرئ ما قدمت يداه، حسدتمونا – ويلاً لكم – على ما فضلنا الله عليكم.

فما ذنبنا أن جاش دهراً بحورُنا — وبحرُك ساجٍ لا يواري الدعامصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

هنا بعد هذا الكلام الذي يفجّر الصمَّ الصلاب ارتفعت أصوات أهل الكوفة بالبكاء، وقالوا: حسبك يا ابنة الطيبين، فقَد أحرقتِ قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا. فسكتت عليها السلام.

بيان: الكثكث هو التراب الدقيق، والأثلب هو الحجر الدقيق، والدعامصا جمع دعموص وهو دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء، أي أن ماؤهم ضحلة لا تطمر الحشرات.

٦- خطاب زين العابدين عليه السلام:

ثم قام علي بن الحسين عليه السلام في الناس قائماً فأومأ إليهم أن اسكتوا، فسكتوا، فحمد الله

وأثنى عليه وذكر النبي وصلى عليه، ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بنِ علي بن أبي طالِب عليه السلام، أنا ابنِ المذبوح بشطِّ الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسُلب نعيمه، وانتهب ماله، وسُبيَ عياله، انا ابن من قُتل صبراً، وكفى بذلك فخراً، أيها الناس ناشدَتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخَدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه، فتبّاً لما قدَّمتم لأنفسكم، وسوأةً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي.

فارتفعت هنا أصوات أهل الكوفة من كل ناحية يقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون، فقال لهم علي بن الحسين عليه السلام: رحم الله امرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة.

وهنا ثارت النخوة مجدداً على لسان أهل الكوفة فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد ونبرأ ممَّن ظلمك وظلمنا.

فقال لهم عليه السلام: هيهات هيهات أيها الغَدَرَة المَكَرَة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل، كلا وربِّ الراقصات فإن الجرح لمّا يندمل، قُتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه ولم يَنسني ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهاتي، (لحمة في أقصى الفم)، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه يجري فَي فراش صدري، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا، ثم قال:

لا غرو إن قتل الحسين وشيخه ... قد كان خيراً من حسين وأكرما

فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي ... أُصيب حسين كان ذلك أعظما

قتيل بشط النهر روحي فداؤه ... جزاء الذي أرداه نار جهنما

٧- إحضار الرؤوس:

وفي إحدى هذه الخطابات وبالتحديد أثناء خطاب أم كلثوم بنت علي عليه السلام حدث خطبٌ جليل أثار ضجة الحشود وأدّى إلى انشغالهم عن خطاب أم كلثوم وأشاحوا بأبصارهم إلى جهة أخرى حيث الخطب الجلل، ألا وهو إحضار قافلة رماح مرفوعة عليها في أعاليها رؤوس

الشهداء الأبرار يقدمهم رأس الحسين عليه السلام أشبه وجه بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله، رأس يشع نوراً كأنه قمرٌ طالع، والرماح تلعب بالرؤوس وبرأس الحسين عليه السلام وتلوح بها يميناً وشمالاً احتفالاً وامتهاناً، وكان هذا منظراً رهيباً عظيم الثقل على قلب زينب الكبرى عليها السلام التي نظرت إلى هاتيك الرؤوس فلاح لها رأس أخيها عليه السلام فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى خرج الدم غزيراً من تحت قناعها، وأومأت إلى رأس أخيها بخرقة بيدها وقالت:

يا هلالاً لما استتم كمالا ... غاله خسفة فأبدا غروبا
ما توهمت يا شقيق فؤادي ... كان هذا مقدّراً مكتوبا
يا أخي فاطم الصغيرة كلِّمها ... فقد كاد قلبُها ان يذوبا
يا أخي قلبك الشفيق علينا ... ما له قد قسا وصار صليبا
يا أخي لو ترى علياً لدى الأسر ... مع اليتم لا يطيق وجوبا
كلما أوجعوه بالضرب ناداك ... بذل يفيض دمعاً سكوبا
يا أخي ضُمَّه إليك وقرِّبه ... وسكِّن فؤاده المرعوبا
ما أذلَّ اليتيم حين ينادي ... بأبيه ولا يراه مجيبا

أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بعين الله تعالى دماؤهم ودموعهم وعبراتهم، وسيعلم الذين ظلموا آل محمد وذريتهم وشيعتهم أي منقلب ينقلبون.

٨- السبايا إلى السجن:

وهكذا مضت الساعات ونساءُ آل محمد صلى الله عليه وآله وأطفاله بين يدي الجلاوزة، تصيح بوجوههم وتقرعهم بالرماح تحت أنظار حشود أهل الكوفة.

وبعد هذه الساعات التاريخية المهولة جاء أمر الأمير عبيد الله بن زياد بسوق نساء وأطفال محمد صلى الله عليه وآله إلى السجن، فجيئ بعلي بن الحسين عليه السلام فغلّوه من جديد وحُمل مع النسوة إلى السجن، فما يمر بزقاق من أزقة الكوفة إلا وكان مليئاً بالرجال والنساء ينظرون ويبكون ويضربون وجوههم.

واستمر العتاة الظلمة يسوقون آل محمدﷺ على هذا الحال حتى أودعوهم في سجن وأطبقوه عليهم، وهذا السجن هو دار يقع إلى جانب مسجد الكوفة، وعندما أدخلت زينب بنت علي عليها السلام إلى هذا السجن قالت كلمتها المعبِّرة: لا تدخل علينا عربية إلا أم ولد أو مملوكة فإنهن سبين كما سبينا!.

٩- السبايا عند ابن زياد:

وفي نفس هذا اليوم أو في اليوم التالي جلس الأمير عبيد الله بن زياد في قصر الإمارة وأمر بفتح باب القصر، وأذن للناس إذناً عاماً كما هي عادة الأمراء في الأيام المشهودة أو الأعياد والأفراح، فجاءت السادات ومشايخ القبائل وأعيان المصر وجموع المتملّقين فجلسوا مجالسهم، ثم أمر الأمير ابن زياد برأس الحسين عليه السلام فوضعوه بين يديه، ولكيَ يتم المنظر ويشفي حقده الدفين أمر أن يدخلوا عليه في هذا المجلس نساء محمد ﷺ وصبيانه، فأُدخلوا على هذه الحال وفيهن امرأة جليلة عليها أرذل ثيابها متنكرة، فمضت حتى جلست ناحية وحفَّت بها إماؤها، وقد لفتت بجلالتها نظر عبيد الله بن زياد فلم يعرفها، فقال: من هي التي انحازت وجلست ناحية ومعها نساؤها، وهو يوجه السؤال إلى هذه السيدة الجليلة، ولكنها لم تجبه، فأعاد السؤال ثانية فلم تجبه، فأعاد السؤال ثالثة فلم تجبه، فقالت له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول اللهﷺ،فأقبل عليها وقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت زينب عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمدﷺ، وطهّرنا من الرجس تطهيرا، إنّما يُفتَضَح الفاسق ويُكَذَّب الفاجر، وهو غيرنا، فقال ابن زياد: كيف رأيتِ صنعَ الله بأخيك وأهلِ بيتك،فقالت: ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتلَ فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصَم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك امك يا بن مرجانة.

ولما سمع ذلك عبيد الله بن مرجانة هذه الإهانة وهو الأمير المتغطرس الفرح والمنتشي بنصره غضب حتى كأنه همَّ بزينبعليها السلام، فقال عمرو بن حريث: إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فاستحى ان كان يستحي، ثم قال لزينب عليها السلام: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك.

فقالت زينبعليها السلام: لعمري لقد قتلتَ كهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا

شفاؤك فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد: هذه سجَّاعة، ولعمري كان أبوك سجَّاعا شاعراً.

فقالت عليها السلام: يابن زياد ما للمرأة والسجاعة. وقالت أيضاً: إن لي عن السجاعة لشغلا.

وتوجه ابن زياد (لعنه الله) فقال: أيكن أم كلثوم بنت الحسين عليه السلام، فقالت: ما تريد مني يا عدو الله، فقال لها: الحمد لله الذي قتل رجالكم، فكيف ترون ما فعل بكم؟ فقالت: يا بن زياد، لئن قرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطالما قرت عين جده صلى الله عليه وآله به، وكان يقبله ويلثم شفتيه ويضعه على عاتقه. يا ابن زياد، أعد لجده جوابا، فإنه خصمك غدا، فقال لها: قبحكم الله، فقالت: إنما يقبح الفاسق والكاذب، وانت الكاذب والفاسق فابشر بالنار، فضحك من قولها وقال: ان صرت الى النار في الاخرة فقد بلغت مرادي وما أؤمله، فقالت: يا ويلك قد أرويت الأرض من دم أهل البيت، فقال لها: أنت سجَّاعة مثل أبيك، ولولا أنك امرأة لضربت عنقك.

١٠- موقف زين العابدين عليه السلام:

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: من هذا، فقيل له: علي بن الحسين عليه السلام فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين عليه السلام، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: قد كان لي أخٌ يسمى علي بن الحسين عليه السلام قتله الناس، فقال ابن زياد: بل قتله الله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لما تمت في منامها، فقال ابن زياد: ولك جرأة على جوابي، اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فلما سمعت عمته زينب عليها السلام هذا الكلام وثبت على ابن أخيها فتعلقت به واعتنقته وقالت لابن زياد: يابن زياد حسبك من دمائنا، والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه. فقال علي عليه السلام لعمته: اسكتي يا عمة حتى أكلمه، ثم أقبل على ابن زياد فقال له: أبالقتل تهددني يا ابن زياد، أما علمت أن القتلَ لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة.

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال: عجباً للرحم والله إني لأظنها ودّت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به.

ثم ان ابن زياد أمر بردهم إلى السجن وبعث رجاله إلى نواحي الكوفة والعراق يبشرون بقتل الحسين عليه السلام.

الباب الثالث

آل محمد ﷺ في شام الأعداء

١- أوامر يزيد بن معاوية:

وكان ابن زياد لعنه الله قد بعث الرسول الى مولاه يزيد بن معاوية خليفة المسلمين!! ليبشره بقتل الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وسبي نساء وذرية محمد ﷺ، وهذا الرسول هو زحر بن قيس الذي جد السير حتى دخل على يزيد، فقال يزيد له: ويلك، ما وراءك وما عندك؟ فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي عليه السلام في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا اليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلو على حكم الأمير عبيد الله أو القتال، فاختاروا القتال على الإستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويهربون منا بالآكام والحفر لواذا كما لاذ الحمام من الصقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفَّرة، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح، زوَّارهم الرخم والعِقبان.

ثم بعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بإنفاذ الرؤوس والسبايا والأسارى إليه.

أقول: لقد كذب هذا الرسول الفاجر ما لاذوا ولا عاذوا ولا فر أحد من أصحاب الحسين عليه السلام، كيف وهو يشهد أنهم إختاروا القتال، وأنباء شجاعتهم وتفانيهم في القتال أوضح وأشهر من أن تنكر، ولقد بالغ هذا الرسول الكاذب في زمن حسم المعركه فلقد دامت إلى ما بعد الزوال بساعة، وقتلوا منهم الكثير، وأما ما قاله من أن زوار قبر الحسين عليه السلام هم الرخم والعقبان، فلعمري لو أنه يأتي ساعة لرأى زوّار قبر الحسين عليه السلام، ولعلم أنهم هم الزوار اليوم، ولرأى قبره الحقير وقبور أسياده الفجرة قد طمسهم الزمان، ولعلم الفرق بين أهل الحق وأهل الباطل، وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون.

ثم إنه يروى أنه كان في أهل الكوفة من يوصل الأخبار خفية إلى ثقل آل محمدﷺ وهم في السجن، وذلك أنه أثناء ذهاب الرسول زحر بن قيس إلى يزيد بن معاوية كتبت رقعة وربطت بحجر ورميت في السجن الذي فيه آل محمد ﷺ وفيها مكتوب: خرج البريد إلى يزيد بأمركم في يوم كذا ويعود في يوم كذا، فإذا سمعتم التكبير فأوصوا وإلا فهو الامان، فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا، ثم جاء البريد ولم يسمع التكبير.

٢ – السبايا في الطريق إلى الشام:

امتثل ابن زياد أمر يزيد بن معاويه فبعث بالرؤوس مع زحر بن قيس والسبايا والأسارى مع مخفر بن ثعلبة العائذي ومعه شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي التميمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي وجماعة آخرون، وأمرهم أن يشهروا الرؤوس والسبايا في كل بلد، فجدّوا السير حتى التقوا بالرؤوس في بعض المنازل واتحد الموكبان.

فساروا بالرؤوس وسبابا وأسارى آل محمد ﷺ كما يسار بسبايا الكفار، وهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء مكشوفات الوجوه يتصفح وجوههن أهل الأقطار، والقريب والبعيد، بل ذكر بعض المؤرخين أن نساء آل محمد ﷺ كن في الطريق من الكوفة إلى الشام مهتوكات الأستار مكشوفات الوجوه والشعور، وهذا أمر لو صح ًكان رهيباً وعملاً شنيعاً أقدم عليه ابن زياد عامدا متعمداً لأنك علمت أن السبايا كنَّ تسترّن وتقنّعن في الكوفة.

وفي الأسارى كان زين العابدين عليه السلام مغلولاً في عنقه بجامعة من حديد أوداجه تشخب الدم، صامتاً لا يكلم أحداً من القوم طوال الطريق من الكوفة إلى الشام ولا حتى كلمة واحدة.

٣- السبايا في الليلة الأولى من المسير

ساروا بالسبايا على هذا النحو إلى أن وصلوا الى أول منزلة فنزلوا بها فسمعوا أم كلثوم تقول:

ماتت رجالي وأفنى الدهر ساداتي ... وزادني حسرات بعد حسرات

مال اللئام علينا بعد ما علموا ... انا الشريفات ابناء الشريفات

وحملونا على الأقتاب عارية ... كانا بينهم من عهر قيمات
صعب عليك رسول الله ما صنعوا ... بأهل بيتك يا خير البريات
كفاكموا برسول الله خصمكموا ... وقد هداكم الى سبل الهدايات

٤- السبايا في جرجرايا[1]

ثم استمرت القافلة مجدًّة مسرعة حتى وصلوا ثاني منزلة وهي بلدة يقال لها: جرجرايا، وهي من بلاد النهروانات بين بغداد وواسط كانت تقع شرقي بغداد، ثم خربت مع ما خرب من البلاد، فنزلوا ووضعوا الرؤوس والسبايا بينهم ثم جلسوا يشربون الخمر فبينما هم كذلك إذ سمعوا هاتفا يقول:

أيها القاطعون رأس حسين ... أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل من في السماء يبكي عليه ... من نبي مقرب ورسول
قد لُعنتم على لسان محمد ... في الكتاب المبين والإنجيل

ففزعوا من ذلك فزعا عظيما وتركوا الخمر وباتوا تلك الليلة فلما حملوا وساروا فبينما هم سائرون إذ سمعوا هاتفا يقول:

ألا أيها الغادرون إن أمامكم ... قام سؤال والرسول سؤول
وفيه رسول الله فيكم مخاصم ... وفاطمة الزهراء وهي بتول
وان عليا في الخصام مؤيَّد ... له الحق فيما يدعي ويقول
فماذا تردون الجواب عليهم ... وليس الى رد الجواب سبيل
ولا يرتجى في ذلك اليوم شافع ... سوى خصمكم والشَّرح فيه يطول
ومن يكن المختار والله خصمه ... فان له نار الجحيم تؤول
فانهم سفن النجاة لمغرف ... ونجح وهذا بالنجاح كفيل

(١) في المطبوعة (جرايا) وهو تصحيف.

مناقبهم بين الورى مستنيرة | لها غرر محجولة وحجول
مناقب وحي الله اثبتها لهم | بما قام منهم شاهد ودليل

٥- السبايا في تكريت:

لم أجد نصاً يحدّد بدقة الطريق التي مرً عليها نساء وذرية آل محمد ﷺ وهم سبايا وأسارى عندما نقلوهَم من الكوفة إلى الشام، إلا أن الظاهر من الأخبار والتواريخ المتفرقة أنهم انتقلوا من بعد جرجرايا يتبعون الطريق المحاذي للنهر الكبير فوصلوا إلى تكريت وفي هذه المدينة نشرت الأعلام وخرج أهل تكريت يستقبلون الموكب بالفرح والسرور.

٦- السبايا في الموصل

ثم استمرت القافلة إلى أن أقبلوا على مدينة الموصل فكتبوا إلى حاكمها: تلقانا فان معنا رأس خارجي، فلما وصله الكتاب أمر بنشر الاعلام وضرب الطبول، فعند ذلك قال لهم رجل منهم: يا قوم والله ليس بخارجي وإنما هو رأس الحسين عليه السلام، فلما سمعوا ذلك غضبوا غضبا شديدا وتحالفوا بأنهم يقتلونهم ويخلصون الرأس من أيديهم، فلما وصل الخبر إلى جنود القافلة أعرضوا عن دخول الموصل وارتحلوا من طريق اخر. وكان هذا موقفا كريما يحفظ لأهل الموصل.

٧- السبايا بين الموصل ونصيبين

ثم سارت قافلة سبايا آل محمد ﷺ من نواحي الموصل متجة نحو نصيبين ولم أجد نصوصا تحدد المحطات التي نزلتها قافلة أهل البيت صلوات الله عليهم، ومن ثم فالظاهر الذي لا محيص عنه أن هذه القافلة مرت بطريق القوافل المتعارف في تلك الأيام وهِو طريق يبلغ مسيرِة ستة أيام للقوافل السائرة في تلك الأيام، ويمر بعد الموصل ببلدة الدَولَعية، ثم مرق، ثم برقعيد وبينها وبين نصيبين أكثر من عشرة فراسخ، وبرقعيد بلدة ما لبثت أن أصبحت خرابا، ثم وصلوا بلدة سنجار وبينها وبين نصيبين تسعة فراسخ، ثم بلدة مفهوم وهي المرحلة الأخيرة قرب نصيبين.

٨- السبايا في نصيبين:

ثم استمرت القافلة حتى وصلت إلى مدينة نصيبين وفيها (مشهد النقطة)، يقال انه وقع فيه

نقطة من دم رأس الحسين ﷺ كما يوجد (مشهد الرأس) يقال أنه عُلّق هناك لما عبروا به.

٩- السبايا بين نصيبين وحلب:

ثم الثابت أن القافلة انطلقت إلى مدينة حلب ولكن لم أجد نصوصاً تصرّح ببيان المحطات الواقعة بين نصيبين، وحلب ومن ثم فالظاهر أن طريق القافلة كان هو الطريق المتعارف.

١٠- السبايا في حلب:

ثم وصلت القافلة قريبا من حلب، فكتبوا الى صاحب حلب: تلقانا فان معنا رأس خارجي، فلما وصله الكتاب فرح فرحا شديدا وأمر بنشر الأعلام وأخذ قومه وخرجوا لمقابلتهم من نحو ثلاثة أميال وأنزلهم عنده وأقاموا ثلاثة أيام وأكرمهم غاية الإكرام.

وأقاموا في جبل غربي مدينة حلب فقطرت هناك من الرأس الشريف قطرة دم، فعمّروا هناك مشهداً عرف بـ (مشهد النقطة).

ووصلوا قريباً من حلب من جهة الغرب أيضاً وهناك جيء بنساء الحسين ﷺ، ففرح أهل ذلك الحي وأظهروا السرور فدعت عليهم زينب بنت علي ﷺ، وفي ذلك المكان أيضاً أسقطت إحدى زوجات الحسين ﷺ حملها وكان اسمه (المحسن)، فبنوا مشهداً يقال له (مشهد السقط)، ويقال له أيضاً (مشهد الطرح)، ويقال له أيضاً (مشهد الدكة).

١١- السبايا قرب قنَّسرين

ذكر بعضهم أن القافلة قافلة السبايا انطلقت من حلب فمرّت على مدينة قنسرين وهي على مرحلة يوم من حلب [1]، وهناك أسلم الراهب النصراني في القصة المشهورة، وقد تقدم ذكرها، إلا أن الظاهر أن القافلة لم تدخل قنسرين ذاتها وإنما مرت قريبا منها حيث يذكر بعض المؤرخين أنهم لما وصلوا قنسرين وبلغ أهلها خبرهم أغلقوا الابواب في وجوههم وقالوا: لا يمرون في بلدنا، فأذعنوا ومضوا مرتحلين.

١٢- السبايا في معرة النعمان وكفر طاب

ثم استمرت القافلة سائرة فوصلوا مدينة النعمان وهي على مسيرة يومين من حلب فاستقبلوهم وذبحوا لهم الذبائح ثم ارتحلو الى كفر طاب فأغلقوا في وجوههم الابواب.

(١) وذكر في المراصد أن مدينة قنسرين قد اندثرت وكانت عامرة آهلة فلما غلب الروم على حلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة خاف أهل قنسرين وجلوا عنها وتفرقوا في البلاد ولم يبق بها الا خان تنزله القوافل

١٣- ثورة أهل سيراز[1]

ثم ارتحلت القافلة الى مدينة سيراز، فلما وصلوها تقلد أهلها بالسيوف وركبوا القنطرة فلما وصلوا إليهم قال لهم خولي: لا تفعلوا ذلك يا أهل سيراز، فلم يلتفتوا إليه بل حملوا عليها وقاتلوهم حتى قتلوا منهم ستة وثمانين فارسا، وقُتل منهم خمسة رجال، فعند ذلك قالت أم كلثوم عليها السلام: ما يقال لهذه المدينة؟ فقالوا: شيراز، فقَالت: أعذب الله ماءها، وأرخص أسعارها، ورفع أيدي الظالمين عنها، قال الراوي: فلما رأى خولي هذه الفعال من أهل شيراز أمر قومه بالرحيل الى طريق اخر فارتحلوا إلى حماة.

١٤- السبايا في حماة:

ثم وصلوا إلى مدينة حماة فعرف أهلها بشأن السبايا والرؤوس فأنفوا لذلك ورفضوا استقبالهم وأغلقوا أبواب المدينة في وجوههم، فقالت أم كلثوم عليها السلام: ما اسم هذه المدينة، فقالوا: حماه، فقالت عليها السلام: حماها الله من كل ظالم. فاضطرت القافلة إلى البقاء خارج مدينة حماه بالقرب منها، وهناك مسجد يُقال له مسجد الحسين عليه السلام، ويقال أن فيه حجر وضع عليه رأس الحسين عليه السلام.

١٥- السبابا في حمص

ثم سارت القافلة المهيبة إلى أن وصلوا مدينة حمص فكتبوا إلى حاكمها: أن تلقانا فإن معنا رأس خارجي، فلما وصله الكتاب أمر بنصب الأعلام وخرج ولاقاهم وأكرمهم غاية الإكرام.

١٦- السبايا في خندق الطعام

ثم سارت القافلة إلى منطقة سماها الإسفرائيني بـ(خندق الطعام)، ولا أعلم موضعها الآن، وكيفكان فقد كان لها موقف شريف كبعض القرى التي سبقتها إذ يروي أن أهلها أغلقوا الأبواب ورفضوا استقبالهم، فارتحلوا عنها باتجاه مدينة جوسية.

١٧- السبايا قرب جوسيه

ثم بلغت القافلة الحزينة مدينة جوسيه وكان حاكمها محبا لأهل البيت عليهم السلام فذكر بعض

(١) في المصدر الذي نقلت عنه (شيراز) وهو خطأ حتما فإن شيراز من مدن فارس، ولم أعرف الإسم الصحيح لهذا الموضع، كما لم أعرف موضع هذه البلدة، والله العالم.

من حضر ذلك اليوم بجوسية ان حاكمها جرَّد أربعة الاف فارس وأمرهم أن يقاتلوا الجنود ويأخذوا الرؤوس والأسارى منهم، فلما أحس الجنود بذلك أعرضوا عن مدينة جوسية مرتحلين صوب مدينة بعلبك.

١٨- السبايا في بعلبك:

ثم ساروا إلى مدينة بعلبك فلما قربوا منها كتبوا إلى أمير بعلبك فأمر بالرايات فنشرت وخرج الناس والصبيان يتلقون قافلة سبايا آل محمد ﷺ على نحو من ستة أميال من بعلبك، فلما رأتهم أم كلثوم بنت علي عليها السلام على هذا النحو قالت لهم: أباد الله كثرتكم، وسلَّط عليكم من يقتلكم.

١٩- صومعة الراهب

ذكر بعضهم أن القافلة ارتحلت من بعلبك آخر النهار فأدركهم المساء عند صومعة راهب في الطريق فنزلوا عندها واسندوا الرؤوس عليها، فلما جن الليل سمع الراهب دويا كدوي النحل فعلم انه تسبيح ملائكة فأرخى رأسه من الصومعة فرأى قناديل مدلاة من السماء الى الأرض وسمع زين العابدين عليه السلام يبكي ويقول:

هذا الزمان فما تفنى عجائبه ... عن الكرام ولا تهدا مصائبه

فليت شعري الى كم ذا يحاربنا ... بصرفه والى كم ذا نحاربه

يسري بنا فوق أعياس بلا وطأ ... وسائق العيس يحمي عنه غاربه

كأننا من أسارى الروم بينهمو ... كأن ما قاله المختار كاذبه

كفرتمو برسول الله ويحكمو ... يا أمة السوء ما هذي مذاهبه

فلما سمع الراهب ذلك خرج من صومعته وأقبل على القوم وقال: من أميركم؟ فأشاروا الى خولي، فقال له: انت الأمير؟ فقال: نعم، فقال: هذه رأس من، فقال: رأس خارجي، فقال: ما اسمه؟، قال الحسين: فقال: ومن أمُّه؟ فقال: فاطمة بنت محمد، فلما سمع ذلك خر مغشيا عليه، فلما أفاق، قال: صدقت الأخبار، لأنهم قالوا في هذا الشهر يقتل نبي أو وصي نبي، ثم قال: يا أمير أعطني الرأس حتى أعطِّرها وأردها لك، فقال: ادفع الجائزة، فقال: وما الجائزة؟ قال: عشرة آلاف درهم، فدفعها له، فأمر بإعطاء الرأس له، فلما نظره انكب على وجهه يقبِّله،

ويقول: لعن الله قاتلك، يعز علي أن لا أكون أول شهيد استشهد بين يديك، ولكن إذا لقيت جدَّك فاقرءه مني السلام، وأخبره أني على قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم ضمخها بالمسك والطيب وردها لهم، ثم إن خولّي أراد أن يعطي قومه مما أخذه من الراهب فوجدها حجارة مكتوبا عليها ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾، فرماها وقال: يا قوم اكتموا هذا الأمر لأنه عار علينا، ثم كتب الى يزيد كتابا يقول فيه: نهنئ أمير المؤمنين ونعلمه أن معنا رأس عدوك الحسين وحريمه وأطفاله، ونحن قريب من دمشق فاخرج لنا وتلقانا. ثم سارت القافلة إلى دمشق.

٢٠- السبايا على باب الشام:

ولما قربت قافلة سبايا وأسارى آل محمد ﷺ من مدينة دمشق انضم موكب الرؤوس إلى موكب السبايا حتى صار الموكبان موكباً واحداً، والرؤوس الشريفة مرفوعة على أعلام بين محامل النساء والأطفال.

وأمر يزيد جيشه فعبَّأه مائة وعشرين راية فانضموا إلى الموكب للإحتفال بإدخال رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، وأمرهم أن يدخلوا من باب جيرون، ومنه يسيروا إلى باب توما، وأمر المنادي أن ينادي في الناس للخروج والإحتفال.

وصل الموكب إلى باب جيرون مع مشرق الشمس ومنه دخلوا دمشق ثم وصلوا إلى باب توما حيث ازدحم الناس ازدحاماً عظيماً فرحا واستبشارا بمشاهدة الموكب، فلم يستطع الموكب أن يدخل من باب توما، فعدلوا إلى باب الكراديس، فلم يتمكنوا من الدخول منه أيضا للإزدحام العظيم، فجازوه إلى باب الساعات فوقفوا عنده ثلاث ساعات في إزدحام شديد.

٢١- السبايا يدخلون الشام:

فلما أراد الموكب أن يدخل دمشق على هذه الصورة صباح النهار والنساء مكشفات الوجوه مهتوكات الأستار دنت أم كلثوم من شمر بن ذي الجوشن فقالت له: لي إليك حاجة، فقال: ما حاجتك، فقالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة وتقدَّم إليهم أن يُخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّونا عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذا الحال.

ولكن الشمر لا ينضح إلا بما في جوفه من الغي والبغي والكفر والحقد واللؤم فما كان منه في جواب أم كلثوم إلا التأكيد على هذه الصفة فأمر أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل، ودخل دمشق وسلك بهم بين النظارة.

هكذا كانت صورة الموكب الرهيب وهو يدخل الشام، علي بن الحسين عليه السلام مغلول بالجامعة، غُلَّت يداه إلى عنقه، وعنقه في طوق الحديد، وهو على بعير بغير وطاء يتقدم النساء، وهم خلفه على البغال، والجميع مقرنون بعضهم إلى بعض بالحبال، ورأس الحسين بن علي عليه السلام على علم بين المحامل، وكذلك بقية الرؤوس الشريفة، ولعل أعداد البغال أو الجمال التي تحمل الأسارى والسبايا أربعون أو يزيدون، يحيط بهم من كل جانب على طول القافلة فرسان غلاظ طغاة يحملون الرماح كلما دمعت عين أحد من السبايا والأسارى أو صدر منه صوت قرعوا رأسه بالرمح، هكذا دخلت قافلة السبايا سور دمشق، وما أن دخلوها حتى صاح الصائح في دمشق: يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون!! .

ثم أقبلت الرايات تدخل دمشق يتلو بعضها بعضاً، ومن بينها فارس بيده رمح طويل عليه رأس الحسين عليه السلام، وجهه أشبه بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتهلل نوراً كأنه البدر الطالع، وحوله نساء آل محمد صلى الله عليه وآله، أقربهم إليه أم كلثوم وهي تنادي: واأخاه واسيداه، وامحمداه، واعليّاه، وسكينة بنت الحسين عليه السلام تنادي: يا أخي، يا خالي، يا أبي، يا جدي، يا جدتي، وا محمداه، واعلياه، واحسيناه، واعباساه، هلكت عصابه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله على يدي أبي سفيان وعتبة.

وعلي بن الحسين عليه السلام إذ نظر إلى الناس وإجتماعهم على بغضهم وإزدحامهم فرحاً بكى بكاءً شديداً، فقال:

أُقاد ذليلاً في دمشق كأنني ... من الزنج عبد غاب عنه نصيره

وجدي رسول الله في كل مشهد ... وشيخي أمير المؤمنين وزيره

فيا ليت لم أنظر دمشق ولم أكن ... يزيداً في البلاد أسيره

وهكذا لا تسمع في هذه القافلة إلا صائحة تصيح: وامحمداه، واعلياه، واحسناه، واحسيناه، لو رأيتم ما حلَّ بنا من الأعداء، أو صائحة تصيح: يا رسول الله، بناتك أسارى كأنهن بعض اليهود والنصارى، وأخرى تنوح بصوت شجي يقرع القلوب على الرضيع وعلى المذبوح من القفا، المهتوك الخبا، العريان بلا ردا، واحزناه لما نالنا أهل البيت، فعند الله نحتسب مصيبتنا.

ويروى أنه كان في الجموع المحتشدة نصراني كشف الله عن سمعه، فسمع رأس الحسين عليه السلام وهو يقرأ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، فأسلم هذا النصراني وتشهد الشهادتين ثم انتضى سيفه وشدّ به على القوم وهو يبكي، فقتل منهم جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه.

وعندما سمعت أم كلثوم هذه الضجَّة سألت عما حدث فأخبروها فقالت: واعجباه، النصارى يحتشمون لدين الإسلام، وأمّة محمد صلى الله عليه وآله الذين يزعمون أنهم على دين محمد صلى الله عليه وآله يقتلون أولاده ويسبون حريمه!!.

٢٢- عيد الشام:

في أول يوم من شهر صفر وصلت قافلة سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله إلى مدخل دمشق، وهي مدينة مزهوة فرحاً وفخراً بالنصر، روي عن سهل بن سعد الساعدي وهو أحد الصحابة الذين صاحبوا النبي صلى الله عليه وآله أنه قال يصف أهل الشام ساعة دخول السبايا عليهم، فقال:

خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لا نرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا قوم لكم بالشام عيد لا نعرفه نحن، قالوا: يا شيخ نراك أعرابياً، فقلت: أنا سهل بن سعد قد رأيت محمداً صلى الله عليه وآله، قالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها، قلت: ولم ذاك! ؟، قالوا: هذا رأس الحسين عليه السلام عترة محمد صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق، فقلت: واعجباه يهدى رأس الحسين عليه السلام والناس فرحون، قلت، من أي باب يدخل، فأشاروا إلى باب يقال له باب ساعات، قال: فبينما أنا كذلك حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان عليه رأس أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا أنا من ورائه رأيت نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولاهم، فقلت: يا جارية من أنت؟ فقالت: أنا سكينة بنت الحسين عليه السلام، فقلت لها: ألك حاجة إليَّ، فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك صلى الله عليه وآله، وسمعت حديثه، قالت: يا سهل بن سعد قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس، فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربع مائة دينار، قال: ما هي، قلت: تقدم الرأس أمام الحرم ففعل ذلك، فدفعت إليه ما وعدته.

وفي خبر آخر عن سهل بن سعد يصف حال أهل الشام وحال قافلة السبايا بنحو ما

تقدم ويزيد فيه: أنه رأى عجائزاً طعنوا في السن أخذتهم الحمية والعصبية الفاجرة كغيرهم من أهل الشام، فشرعوا يرمون هذا الموكب المقدس بالحجارة وتعمَّد بعضهم أن يرمي بالحجارة رأس الحسينعليه السلام، وعندما أراد سهل أن يتكلم مع القافلة اقترب منها حتى تعلق بقائمة المحمل ونادى بأعلى صوته - حتى يتمكنوا من سماعه وسط الضوضاء - السلام عليكم يا آل بيت محمد ورحمة الله وبركاته، فقالت أم كلثوم بنت علي عليه السلام: من أنت أيها الرجل، لم يسلّم علينا أحد غيرك مثل سلامك منذ قتل أخي وسيدي الحسينعليه السلام.

أقول: كلام أم كلثوم يزيد في القلب حسرة حيث يبيّن لنا أنهم على مرِّ الأيام والأسابيع التي أطافوا بها في معظم بلاد وقرى المسلمين لم يلقوا بأحد من أهل الخيرَ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم هذا هو حال مدينة دمشق حين دخلها أطفال ونساء محمدصلى الله عليه وآله، مدينة مزهوة بالنصر فرحة مستبشرة، أهلها يلعبون بالدفوف، ويضربون الطبول، هيئوا أنفسهم ونظفوا أطفالهم وألبسوهم وأخرجوهم لرؤية نساء وأطفال محمدصلى الله عليه وآله شعثا غبرا يُساقون في أزقة هذه المدينة مكشوفات الوجوه يتصفحهن الغريب والبعيد، واستمروا يسوقونهم كذلك من باب دمشق إلى أن وصلوا إلى المسجد الأعظم في دمشق، فحطت القافلة هناك، وهناك أنزلوا نساء وأطفال محمد صلى الله عليه وآله على درج باب هذا المسجد كما هي عادتهم في إنزال سبايا الكفار الذين يغنمونهم في الحروب.

وكان أطفال ونساء محمد صلى الله عليه وآله من أحسن الناس وجهاً وفضلاً كأنّ وجوههن الأقمار المنيرة، وكان أهل الشام الجفاة الطغاة ينظرون إلى هذا النوع الغريب من السبايا ويقولون: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، وربما يسألوهن من أنتم؟ فتقول سكينة بنت الحسين عليه السلام: نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله.

ففي الخبر الصحيح عن مولانا جعفر بن محمد الصادقعليه السلام، قال: لما قُدم على يزيد بذراري الحسينعليه السلام أدخل بهن نهارا مكشوفات وجوههن، فقال أهل الشام الجَفاة: ما رأينا سبيا أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين: نحن سبايا آل محمد.

٢٣- السبايا على درج المسجد:

كانت عادتهم في تلك الأيام ان يأتوا بسبايا الكفار ويقيمونهم على درج المسجد الأعظم ويتركونهم هناك إلى حين تستريح القافلة ثم يأتي الأمر بمصيرهم، وغالبا ما يتم بيعهم.

وهذا ما فعلوه مع سبايا آل محمدﷺ، فأقاموا عترة محمدﷺ على درج المسجد الأعظم في دمشق ينتظرون بهم أمر يزيد بن معاوية.

وعلى هذا الدرج بالذات جرت محادثة معبِّرة لا بأس برواياتها.

تقول الرواية أن شيخاً من شيوخ الشام تقدم من هؤلاء السبايا وفيهم علي بن الحسينعليه السلام، وهو فتى شاب، فقال الشيخ له: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم، ثم شرع يشتمهم ولم يأل جهداً، وعلي بن الحسينعليه السلام يسمع كلامه حتى انقضى، فقال له: يا شيخ أما قرأت كتاب الله عز وجل، فقال الشيخ: نعم، فقال عليه السلام: أما قرأت هذه الاية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، قال الشيخ: بلى، فقال عليه السلام: فنحن أولئك، ثم قال له: أما قرأت ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، قال: بلى، قال عليه السلام: فنحن هم، ثم قال له: فهل قرأت هذه الآية ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، فقال الشيخ: بلى، فقال عليه السلام: فنحن ذو القربى، ثم قال له: أما قرأت هذه الاية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، قال الشامي: بلى، فقالعليه السلام: فنحن هم، فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، ثم قال لعلي بن الحسين عليه السلام: بالله إنكم هم؟، فقال عليه السلام: تالله إنا لنحن هم من غير شك، وحق جدنا رسول الله ﷺ إنا لنحن هم، فبكى الشيخ ورمى عمامته ورفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد ﷺ من جن وإنس، ثم قال: هل لي من توبة؟، فقال عليه السلام: نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمدﷺ، وممن قتل أهل بيت محمدﷺ، ولقد قرأت القران منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم. ويقال أن يزيد سمع بهذه المحادثة فأمر بهذا الشيخ فقتل.

٢٤- السبايا عند يزيد:

ثم إنهم ساقوا سبايا آل محمد ﷺ إلى يزيد بن معاوية وهم مقرونون بالحبال، فالحبل في عنق علي بن الحسين عليه السلام ومن عنقه إلى زينب، ومنها إلى أم كلثوم، يقودهم اللئيم الشرير مخفّرة بن ثعلبة العائذي، فما أن وصل بهم إلى باب يزيد رفع صوته ليسمع يزيد بن معاوية، فقال: هذا مخفّر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين بالفجرة اللئام، وفي خبر آخر أنه قال عن رأس الحسين عليه السلام: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم!!!!

فلما سمعه علي بن الحسين عليه السلام قال: ما ولدت أمّ مخفّر أشرُّ وألأم، ولكن قبح الله ابن مرجانة، ويقال أن هذه الكلمة التي قالها علي بن الحسين عليه السلام هي أول كلمة سمعها منه القوم من حين خروجه من الكوفة.

أما يزيد بن معاوية أمير مؤمنين ذلك الزمان الأسود فقد كان جالساً على سريره، وعلى رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش ورؤساء الناس،فأمرهم فأدخلوا عليه نساء وأطفال محمد صلى الله عليه وآله علَّه يشفي غليله من محمدصلى الله عليه وآله، وكانوا إثنا عشر ذكراً مغلَّلين، وعشرين امرأة من نساء آل محمدصلى الله عليه وآله، وهم مقرنون في الحبال، أدخلوهم جميعاً حتى وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال، وهو على حاله من المجد والأبَّهة، فأراد يزيد لعنه الله أن يصغّر من قدر الحسين بن علي عليه السلام وعياله، فقال لهم: أخلطتم أنفسكم بعبيد أهل العراق، ما علمتَ بخروج أبي عبد الله عليه السلام حين خرج ولا بقتله حين قُتِل.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام وهو مغلول: أنشدك الله يا يزيد، ما ظنك برسول اللهصلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه الحالة، ثم قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: يا يزيد، يا يزيد، بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا!! فبكى الناس، وبكى أهل الدار حتى علت الأصوات، ثم قال علي بن الحسين عليه السلام ثانية: يا يزيد أتأذن لي في الكلام، فقال يزيد: قل، ولا تقل هجراً، فقال علي بن الحسين عليه السلام: لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآني في الغل، فقال يزيد لمن حوله: حلّوه، فقطعواالحبال، ثم اجلسوا السبايا خلف يزيد لئلا ينظرن إلى رأس الحسين عليه السلام وهو موضوع أمامه.

ثم ذهب لعنه الله يقرع رأس الحسينعليه السلام بمخصرة في يده ويقول الأشعار التي ذكرناها سابقاً عند التعرض لما جرى على رأس الحسين عليه السلام ومما قال:

نفلّق هاماً من رجال أعزة　　　علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم إلتفت إلى النعمان بن بشير الأنصاري وقال: الحمد لله الذي قتله، فقال النعمان: قد كان أمير المؤمنين معاوية يكره قتله، فقال يزيد: قد كان ذلك قبل أن يخرج لو خرج على أمير المؤمنين لقتله.

٢٥- إستقبال نساء آل يزيد:

وكان من أعظم المواقف تعاطفاً مع نساء وأسارى آل محمدصلى الله عليه وآله موقفاً عاطفياً جياشاً

وقفته نساء آل يزيد نفسه، فإنهن لم يستطعن أن يتحملن هذا المشهد الرهيب، فقد ذكر المؤرخون أنه عندما أدخلت نساء آل محمد ﷺ بالصورة التي ذكرناها كأنهن سبايا الكفار لم يبق أحد من نساء آل معاوية ولا آل أبي سفيان إلا إستقبلتهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام وألقين ما عليهن من الثياب والحلي، وكان في جملة النساء الموجودات في دار يزيد إمرأة هاشمية فجعلت تندب على الحسين عليه السلام، وتنادي: واحبيباه، يا سيد أهل بيتاه، يا بن محمداه، يا ربيع الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد الأدعياء، نادت وندبت حتى أبكت كل من سمعها، ولعل أعظم المواقف إنفعالاً وتأثيرا هو موقف هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز زوجة يزيد التي لم تتمالك نفسها حتى قامت وشقّت الستر وهي حاسرة ووثبت إلى يزيد وهو في المجلس العام وقد قدمنا ذكرها عند التعرض لأحوال رأس الحسين عليه السلام.

٢٦- خطاب زينب عليها السلام عند يزيد:

وكانت السيدة الكبرى زينب بنت علي عليه السلام في النساء المنتحين في مجلس يزيد خلفه بحيث لا يرون رأس الحسين عليه السلام الموضوع في طست من ذهب أمام يزيد، فقامت النساء تتطاولن للنظر إلى وجه الحسين عليه السلام، فلما رأته سكينة وفاطمة صرخن بالبكاء، وأما زينب عليها السلام فإنها لما رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام فلم تتمالك أن رفعت بيدها ثم أهوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يفجع القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله ﷺ، يا بن مكة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يا بن بنت المصطفى ﷺ.

يقول الراوي الذي روى هذا الخبر: إنها أبكت - والله - كل من كان في المجلس، ويزيد ساكت.

ثم قامت زينب عليها السلام فقالت:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على جدي سيد المرسلين، صدق الله كذلك يقول ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾، أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك على الله كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكُنا وسلطانُنا، مهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾، أمن العدل يا ابن الطلقاء

تخديرك حرائرك وإمائك وسوقُك بنات رسول الله ﷺ سبايا، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريبِ والبعيد، والدنيء والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمِي، وكيف يُرتَجى مراقبة من لفظ فوه أكبادَ الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء، وكيف يُستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

وأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك!! وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم، فلتردنَّ وشيكا موردهم ولتودّنّ أنك شللت وبكمت ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمتهِ حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، حسبك بالله حاكماً، وبمحمد ﷺ خصيماً، وبجبرائيل ظهيرا، وسيعلم من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جندا.

ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك، وإني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكبر توبيخك، لكنَّ العيون عبرى، والصدور حرَّى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسلِ وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدَّمتَ، وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكا وعليه المعوَّل، فكد كيدك، واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لن تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدركَ أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيُك إلا فَنَد، وأيامُك إلا عَدَد، وجمعُك إلا بَدَد، يوم ينادي المناد: ألا لعنه الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

٢٧- محنة فاطمة بنت الحسين عليها السلام[1]:

وفي أثناء جلوس نساء وأطفال محمد صلى الله عليه وآله بين يدي يزيد لعنه الله تعالى جرى على فاطمة بنت الحسين عليها السلام حدث مخيف أرعدت له فرائصها ووجب عنده قلبها الفارغ إلا من نور الله تعالى، وإليك تفاصيل الحدث.

قالت فاطمة بنت الحسين عليها السلام: ولما جلسنا بين يدي يزيد رقَّ لنا فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية -يعنيني- وكنت جارية وضيئة، فأرعدت وظننت أن ذلك جائز لهم فأخذت بثياب عمتي زينب عليها السلام، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقلت لعمتي: أوتمت وأستخدم!! .

فقالت عمتي للشامي: كذبت والله ولؤمت، والله ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد، وقال: كذبت والله إن ذلك لي لو شئت أن أفعل لفعلت.

فقالت: كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها.

فاستطار يزيد غضبا، وقال: إياي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب عليها السلام: بدين الله ودين جدي ودين أبي ودين أخي إهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً، فقال يزيد لعنه الله تعالى: كذبت يا عدوة الله، فقالت له زينب عليها السلام: أنت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك، فكأنه استحيا وسكت.

فعاد الشامي يقول ليزيد: هب لي هذه الجارية، فقال له يزيد: اعزب، وَهَبَ اللهُ لك حتفا قاضيا.

أقول: ويروى أن أم كلثوم شتمت الشامي، وقالت له: أسكت يا لكع الرجال، قطع الله لسانك، وأعمى عينيك وأيبس يديك، وجعل النار مثواك، إن أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الأدعياء.

---

(١) ويروى أن هذا الحديث جرى مع فاطمة بنت محمد عليها السلام

فقال الشامي يسأل يزيد عن هذه الجارية التي يطلبها: من هذه الجارية؟، فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال الشامي مستغرباً: الحسين بن فاطمة عليها السلام وعلي بن أبي طالب عليه السلام؟؟!، فقال يزيد: نعم، فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك وتسبي ذريته!! والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم، فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، فأمر بضرب عنقه فضربت.

ويروى أن الله تعالى استجاب دعاء أم كلثوم في هذا الشامي فقالت: الحمد لله الذي عجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فهذا جزاء من يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢٨- موقف سكينة ومنامها

ثم إن سكينه تقدمت الى يزيد وقالت: إعلم أني رايت البارحة في نومي قصرا من لؤلؤة بيضاء وله أربعة أبواب، وعلى كل باب خدم لا يُحصون، فبينما أنا أنظر إليها وإذا قد انفتح باب منها وخرج منه خمس رجال وخمس بسوة، يتقدمهم غلام لهم، فتقدمت للغلام وقلت: لمن هذا القصر؟ فقال: للحسين عليه السلام، فقلت: ومن هؤلاء الذين معك؟ فقال: ومن أنت؟ فقلت: أنا سكينة، فقال: يا سكينة هذا آدم عليه السلام، وهذا نوح عليه السلام، وهذا إبراهيم عليه السلام، وهذا موسى وعيسى عليهما السلام، فبينما أنا أنظر إليهم وإذا برجل قد أقبل وهو متغير اللون وله نور ساطع وهو مغتم يميل كالمرأة الثكلى قابض على لحيته باكيا حزينا، فقلت للغلام: من هذا الرجل الذي هو متلبس بالأحزان؟ فقال: ألا تعرفيه؟ فقلت: لا، فقال: هذا جدك، فقلت: والله لأشكون له ما حلَّ بِنا، ثم دنوت منه ولزمت صدره وأنا شاهقة بالبكاء فضمني الى صدره وبكى حتى أُغميَ عليه، ثم قال لي: لا تخافي يا بنتاه، فقلت: يا جدي قتلوا الحسين عليه السلام وأُخوتي وأعمامي وأولاد أخواتي وبني عمي ورجالنا وسُبينا وحُملنا الى يزيد لعنه الله مهتَّكات ينظر إلينا البار والفاجر، ثم بكيت بكاء عظيما، فقال صلى الله عليه وآله: أسكَتي يا سكينة فقد أبكيت الملائكة، ثم أخذ بيدي وأدخلني القصر مع الخمس نسوة التي رأيتهن، وبينهن امراة عظيمة الخلقة ناشرة شعرها وعِليها ثياب سود ومعها قميص ملطخ بدم وهي تقوم ساعة وتقعد أخرى، فقلت للغلام: من هؤلاء النسوة؟ فقال: هذه حواء، وهذه مريم، وهذه آسية، وهذه جدتك خديجة، فقلت: والتي معها القميص؟ فقال: هذه فاطمة عليها السلام، فدنوت منها وقلت لها: قد قتل الحسين عليه السلام وأخوتي وأعمامي وجميع عشيرتنا وحُملنا أسارى الى يزيد، فعند ذلك ضمتني الى صدرها وبكت وبكت معها النسوة، ثم قالت: يا أمي حواء وأمي خديجة ويا أخوتي انظرن الى هؤلاء القوم وفعلتهم بأولادي بعدي، ثم صرخت صرخة عظيمة حتى ظننت أن

القصر قد انطبق ثم نادت: واولداه، واثمرة فؤاده، ثم قالت لي: يا سكينة صبرا جميلا، يا ابنتي لو رأيت ما صار إليه الحسين من النعيم والكرامات لاشتاقت عينك إليه، ولو رأى يزيد ما أَعدَّ الله له من العذاب الاليم والنار الحامية والسعير لذابت نفسه ونسي يومه، إذا وضع في أطباقها ونهشته حياتها، وهذا قميص الحسين عليه السلام معي لا يفارقني حتى آتي به إليه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾، وعند تمام الآية انتبهت، فحار يزيد من كلامها وقال: أنتم أهل البيت قد خصصتم بالحكمة كبيركم وصغيركم وذكركم وأنثاكم.

٢٩- كلام زين العابدين عليه السلام مع يزيد:

ثم إن يزيد بن معاوية توجه إلى علي بن الحسين عليه السلام، فقال له:

يا علي الحمد لله الذي قتل أباك، فقال علي عليه السلام: قتل أبي الناس، فقال يزيد: الحمد لله الذي قتله فكفانية، فقال عليه السلام: على من قتل أبي لعنة الله، أفتراني لعنت الله عز وجل، فغضب هنا يزيد وأمر بضرب عنق علي بن الحسين عليه السلام: فشاور يزيد من كان حاضرا من جلسائه وأعوانه في أمر علي بن الحسين عليه السلام فأشاروا عليه بقتله، فقال زين العابدين عليه السلام: يا يزيد لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون عليه حين شاورهم بموسى وهارون، فإنهم قالوا له: أرجه وأخاه، ولا يقتل أولاد الأنبياء وأبناءهم إلا الأدعياء، وقال له أيضا: إن عزمت على قتلي وكان بينك وبين هؤلاء النساء رحم فأرسل معهن من يؤديهن، أي يوصلهن إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله.

فكأن يزيد استحيا ورجع عن رأيه، وقال له: بل تؤديهن أنت، ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده، ثم قال له: يا علي بن الحسين، أتدري ما الذي أريد بذلك، فقال عليه السلام: بلى تريد أن لا يكون لأحد عليَّ منة غيرك، فقال يزيد: هذا والله ما أردت، ثم قال يزيد: يا ابن حسين، أبوك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما رأيت، فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه.

فلم يدر خالد ما يرد عليه، فقال له يزيد قل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾، فقال علي بن الحسين عليه السلام: ماهذه فينا نزلت، وإنما نزل فينا ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

﴿ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما أوتينا.

وقال علي بن الحسين عليه السلام ليزيد: يا ابن معاوية وهند وصخر لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدك في أيديهم رايات الكفار.

ثم جعل علي بن الحسين عليه السلام يقول:

ماذا تقولون اذا قال النبي لكم ... ماذا فعلت وأنتم أخر الأمم

بعترتي وأهلي عند مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم

ثم قال عليه السلام: ويلك يا يزيد، إنك لو تدري ماذا صنعت، وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذاً لهربت في الجبال، وافترشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس أبي الحسين عليه السلام ابن فاطمة وعلي عليهما السلام منصوباً على باب مدينتكم!، وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غداً إذا جُمع الناس ليوم القيامة.

٣٠- زين العابدين عليه السلام على منبر الشام:

ثم إن يزيد لعنه الله تعالى دعا بخطيب من رجاله الجفاة، فأمره أن يصعد المنبر فيذم الحسين عليه السلام وأباه علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما ويخبر الناس بسوء رأيهما وفراقهما الحق وبغيهما على معاوية ويزيد.

فصعد المنبر وذمهما صلوات الله عليهما وبالغ في ذمهما ومدح معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين عليه السلام: ويلك أيها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار، ثم قال عليه السلام: يا يزيد إئذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجلساء أجر وثواب، فأبى يزيد أن يأذن له، فقال الناس الحاضرون: يا أمير المؤمنين إئذن له أن يصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئا، فقال يزيد: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان، فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا الغلام. فقال: إنه من أهل بيت قد زُقّوا العلم زقّا، فلم يزالوا يلحون عليه حتى أذن له، وقال له: يا علي إصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر.

٣١- خطبة زين العابدين عليه السلام:

فصعد علي بن الحسين عليه السلام المنبر فخطب خطبة أبكي بها العيونِ وأوجل القلوب، ثم قال: أيها الناس أُعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع، أُعطينا العلمَ والحلمَ والسماحةَ والفصاحةَ والشجاعة والمحبةَ في قلوبَ المؤمنين، وَفُضّلنا بأن منّا النبي المختار محمداً صلى الله عليه وآله، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيار، ومنّا أسد الله وأسد رسولهَ صلى الله عليه وآله، ومنّا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفَني، ومن لم يعرفنِي أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس أنا ابنُ مكة ومنى، أنا ابنُ زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركنَ بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابنِ خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسَعى، أنا ابن خير من حج ولبّى، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، أناَ ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليلُ ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا اللهً.

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل والمنصور بميكائيل، انا ابن المحامي عن حرم المسلمين وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى بقريش أجمعين، وأول من أجاب وإستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه.

سمحٌ سخي، بهي بهلولٌ زكي، أبطحي رضي، مقدام همام، صابرٌ صوّام، مهذّب قوّام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم عنانا، وأثبتهم جنانا، وأمضاهم عزيمة، أشدهم شكيمة، أسد باسل، يَطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنَّة وقربت الأعنَّة طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز وكبش العراق.

مكي مدني خيفي عقبي بدري أحدي شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، واستمر يقول أنا أنا... إلى أن قال: أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلما، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تسبى.

فلم يزل يقول: أنا أنا.. حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذن ويقطع عليه الكلام، فلما قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، قال علي عليه السلام: لا شيئ أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله الا الله، قال علي عليه السلام: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، إلتفت علي بن الحسين عليه السلام من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمدٌ هذا جدي أم جدك يا يزيد، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدِي فلم قتلت عترته، ولم قتلت أبِي وسبيت حرمه وسبيتني، ثم قال: معاشر الناس هل فيكم مَن أبوه وجده رسول الله، فعلت الأصوات بالبكاء، ثم لما فرغ المؤذن تقدم يزيد فصلى صلاة الظهر.

٣٢- السبايا في المحبس:

ثم إن يزيد لعنه الله تعالى أمر بنقل نساء وذرية آل محمد صلى الله عليه وآله إلى الحبس فحبسوهن في محبس هو خربة متصدعة تكاد أن تقع وتتهدم، لا يردُّ عنهن حرا ولا بردا، فبقين فيه حتى تقشَّرت وجوههن، وكن يتوقعن الأذى من تصدع السقف عليهم أو الضرب أو القتل في كل حين وكان هذا بذاته عاملاً إضافياً في زيادة محنتهن سلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليهن.

وفي هذا المحبس أطلق سبايا أهل البيت عليهم السلام لأنفسهم ما كانوا كبتوه من الصراخ والبكاء والنواح فعقدوا فيها مجالس البكاء والنواح ليلا ونهارا ولم يبق في دمشق قرشية ولا هاشمية الا وشدت إليهم الأوساط.

ويُروى أن في محبس الشام تجددت المصائب على آل البيت عليهم السلام عندما استيقظت رقية ابنة الحسين عليه السلام من نومها ذعرة صارخة تسأل عن أبيها وتلح في الصراخ والبكاء ولا تقبل من أحد عذراً إلا برؤية أبيها، فتهايج النساء وعلا صراخهن، وقيل وصل الصراخ إلى قصر يزيد فتساءل عن الخبر فقيل له: طفلة الحسين عليه السلام تطلب أباها، فأمرهم أن يحملوا إليها رأس أبيها عليه السلام، فجاؤوا بالرأس الشريف في طشت وعليه غطاء، فظنته طعاما فرفضته، وعندما

كشفت الغطاء عن الرأس الشريف ارتفع صوت نساء آل محمدﷺ بالبكاء والعويل، وأما رقية فلم يهدأ صراخها حتى فارقت روحها بدنها، فأحضروا لها مغسلة لتجهزها فلما رأت أضلاع رقية زرقاً تمنعت من غسلها، توهمت أن بها مرض أو علة، أجابتها زينب عليها السلام أن زرقة أضلاعها من ضرب السياط، جهزوها ودفنوها في تلك الخربة، ومرقدها الآن مزار معروف في ناحية الشام قريباً من المسجد الكبير المعروف بالمسجد الأموي.

٣٣- تبدل سياسة يزيد:

وروى بعضهم أن يزيد أنزلهن في داره الخاصة فما كان يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين عليه السلام.

وفي خبر آخر أن يزيد أدخلهن داره فأقمن المناحة على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام، والله العالم.

وإذا صدق هذا الخبر وما يشبهه من الأخبار التي تحدثت عن إظهار يزيد لبعض العطف على السبايا، فلعل الظاهر الذي يقتضيه الجمع بين خبر حبسهن وأذيتهن وخبر استضافتهن وإكرامهن هو أن يزيد لعنه الله كان في بادئ الأمر قد سجنهن وضيّق عليهن وسعى في إذلالهن وإهانتهن يريد بذلك إفراغ لؤمه وكيده وإبراز نصره النهائي على أهل بيت محمدﷺ للجميع، ولكنه لما رأى أن صنيعه المرذول هذا لم يلق استحساناً لدى شيوخ قريش وسادات أهل الشام بل وعموم أهل الحل والعقل، بل رأوه عملاً قبيحاً مستنكراً مستهجناً، بل كان عمله هذا مستقبحا حتى من زوجاته ونساء داره، فلذا اضطر يزيد أن يعدل عن هذه السياسة وهذا الصنيع إلى ما هو أولى به وأليق في أنظار مشايخ العرب، فعدل من إهانتهن إلى إكرامهن ومن سجنهن إلى إستضافتهن وصار لا يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين عليه السلام على ما نقله البعض.

ولعل هذه العناية الزائدة بالإمام السجاد عليه السلام تعمدها يزيد لأجل استجلاب محبة الإمام عليه السلام وصلحه كي يأمن بوائق الزمن الآتي.

والذي يؤيد تحقق تبدل في سياسة يزيد مضافاً إلى ما قدمناه الخبر الذي يقول أنه استشار أهل الشام فيما يصنع بسباياً آل محمدﷺ، فقال له بعضهم: لا تتخذ من كلب سوء جروا!!، فقال له آخرون ومنهم النعمان بن بشير: أنظر ما كان الرسول ﷺ يصنعه بهم فانصنعه بهم.

ويدل على ما ذكرناه من الجمع الخبر المروي عن كتاب السراير بسنده عن داود بن فرقد، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه ذكر دخولهم السجن في الشام ثم قال عليه السلام: فمكثنا يومين ثم دعانا وأطلق عنا، وفي خبر آخر أنهم بقوا في هذه الخربة ثلاثة أيام، وفي خبر ثالث أنهم بقوا في هذا المنزل شهرا ونصف حتى تقشرت وجوههن من حر الشمس.

ولعل هذا التبدل في سياسة يزيد هو الذي أدى إلى أن يَصدر من يزيد عدة عبارات يتبرأ فيها مما عمله عبيد الله بن زياد ويذمه ويلعنه، ومن هذه العبارات:

١-قوله: لعن الله ابن مرجانة إذ أقدم على مثل الحسين بن فاطمة عليهما السلام، لو كنت صاحبه لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله أمرا فلم يكن له مرد.

٢- ومنها قوله عندما دعا النساء والصبيان فأُجلسوا بين يديه فرأى هيئة مُنكَرة، فقال: قبَّح الله ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم على هذا الحال.

٣- ومنها أن علي بن الحسين عليه السلام قال: يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي فوجه مع هؤلاء النسوة من يردُّهن إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له يزيد لعنه الله: لا يردُّهن غيرك، لعن الله ابن مرجانة فوالله ما أمرته بقتل أبيك ولو كنت متوليا لقتاله ما قتلته.

أقول: من الواضح لكل ذي مسكة أن يزيد هو رأس الأفعى وهو السلطان الأعظم والآمر المتبوع، وهو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام، ويدل على ذلك مضافا إلى ما هو معلوم من قانون السياسة والإمرة الأخبار الدالة على أن يزيد كان قد أمر عامله والي المدينة أن يأتيه برأس الحسين عليه السلام حتى قبل خروجه من المدينة، والأخبار الكثيرة الدالة على أن يزيد كان قد بعث من يقتل الحسين عليه السلام بمكة المكرمة حتى ولو كان متعلقا بأستار الكعبة!! ولأجل ذلك اضطر الحسين عليه السلام أن يعدل عن إتمام الحج مع أنه ليس بينه وبين الحج إلا بضعة أيام!!، وعدل من عمرة التمتع التي كان عليها الى العمرة المفردة وخرج من مكة يوم الثامن من ذي الحجة.

كما ويظهر من سياق الأحداث ولا سيما أن عبيد الله بن زياد كان كلبا وفيا ومخلصا لسيده يزيد فلا يمكن أن يرتكب في الحسين عليه السلام ما لم يأمر به يزيد ولا سيما بهذه الشدة والقساوة.

كما تدل كل الأخبار، التي قدمناها في هذا الكتاب أن يزيد هو الذي أمر بقتل الحسين

عليه السلام وسبي نسائه وأطفاله وإهانتهم على هذا النحو القاسي الذي لا يخطر ببال إنسان فيه قلب ينبض، وهو الذي كان جذلان مسرورا بقتل الحسين عليه السلام، وهو الذي أمر أهل الشام بإظهار السرور والفرح وإعلان تلك الأيام أيام عيد وفرح وقرع طبول، ولقد استمرت عادة أهل الشام على اتخاذ أيام محرم ويوم عاشوراء أيام أفراح وأعياد ولم تنقطع هذه العادة إلا بعد قرون عدة، ولقد بلغنا أن بعض الناس في هذه الأيام يقومون ببعض الأعمال والأفراح في يوم عاشوراء، يفعلون ذلك وراثة لتقاليد آبائهم وأجدادهم دون أن يعرفوا أنهم يحتفلون بقتل الحسين وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

٣٤- موقف في الشام:

ولسيدنا علي بن الحسين عليه السلام عدة مواقف في الشام لا بد من ذكرها:

١- منها أنه لقيه أحد الصحابة قيل هو المنهال بن عمرو، وقيل هو مكحول، فسأله فقال: كيف أمسيت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا صلى الله عليه وآله منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا صلى الله عليه وآله منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشردون، فإنا لله وإنا اليه راجعون مما أمسينا فيه يا منهال، قال منهال: وبينما هو يكلمني إذ إمرأة خرجت خلفه تقول له: إلى أين يا نعم الخلف، فتركني وأسرع إليها، فسألت عنها فقيل لي: هذه عمته زينب عليها السلام.

٢- ومنها أن يزيد قال لعلي بن الحسين عليه السلام: يا علي، أتصارع ابني خالدا، قال عليه السلام: ما تصنع بمصارعتي إياه، أعطني سكينا وأعطه سكينا، فليقتل أقوانا أضعفنا، فقال له يزيد: شنشنة أعرفها من أخزم، لا تلد الحيَّة إلا الحيَّة، أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، ويروي بعض المؤرخين أن هذه الحادثة جرت مع عمرو بن الحسن عليه السلام.

٣- وعن كتاب دعوات الراوندي أنه لما حُمل علي بن الحسين عليه السلام إلى يزيد لعنه الله همَّ بضرب عنقه فوقفه بين يديه وهو يكلمه ليستنطقه بكلمة يوجب بها قتله وعلي عليه السلام يجيبه حسب ما يكلمه وفي يده سبحة صغيرة يديرها بأصابعه وهو يتكلم، فقال له يزيد: أكلمك وأنت تجيبني وتدير أصابعك بسبحة في يدك فكيف يجوز ذلك؟، فقال عليه السلام: حدثني أبي عن جدي أنه كان إذا صلى الغداة وانفتل لا يتكلم حتى يأخذ سبحة بين يديه فيقول: اللهم إني أصبحت أسبحك وأمجدك وأحمدك وأهلّلك بعدد ما أدير به سبحتي ويأخذ السبحة ويديرها وهو يتكلم بما يريد من غير أن يتكلمَ بالتسبيح، وذكر أن ذلك محتسب له، وهو حرز إلى أن يأوي إلى فراشه، فإذا آوى إلى فراشه قال مثل ذلك القول ووضع سبحته تحت

رأسه فهي محسوبة له من الوقت إلى الوقت، ففعلت هذا إقتداءً بجدي، فقال يزيد: لست أكلم أحداً منكم إلا ويجيبني بما يعوذ به.

الباب الرابع

العودة الحزينة

١-خروج السبايا من الشام:

قد عرفت أن يزيد عزم على إظهار كرمه المصطنع بإكرام السبايا، فقال لعلي بن الحسين عليه السلام: أذكر حاجتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن، فقال عليه السلام: الأولى: أن تريني وجه سيدي وأبي ومولاي الحسين عليه السلام، فأتزود منه وأنظر إليه وأودعه، والثانية: أن ترد علينا ما أخذ منا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن صلى الله عليه وآله، فقال يزيد: أما وجه أبيك فلن تراه أبدا، وأما قتلك فقد عفوت عنك، وأما النساء فما يؤديهن إلى المدينة غيرك، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته، فقال عليه السلام: أما مالك فما نريده وهو موفر عليك، وإنما طلبت ما أخذ منا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ومقنعتها وقلادتها وقميصها، فأمر برد ذلك وزاد عليه مائتي دينار، فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرقها في الفقراء والمساكين.

ويروى أن يزيد لعنه الله عرض عليهم المقام بدمشق فأبوا ذلك وقالوا: بل ردنا إلى المدينة فإنه مهاجر جدنا صلى الله عليه وآله.

فأمر برد الأسارى والسبايا إلى المدينة.

ويروى أن يزيد هو الذي استعجل خروج السبايا والأسارى من الشام لأنه خشي الفتنة وانقلاب الرأي العام عليه، فأمر النعمان بن بشير أن يتولى تجهيزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً معه خيل وأعوان ليؤدوا السبايا إلى حرم جدهم.

ويُروى أن يزيد بعث إلى المدينة فاستقدم منها جماعة من موالي بني هاشم ليكونوا مع قافلة السبايا في طريق عودتها مع خيل أهل الشام.

ثم كسا السبايا وحباهم وفرض لهم الأرزاق وسيَّرهم على صورة جميلة، فكان الرسول معهم كهيئة حارس لهم فإذا نزلوا في منزل تنحى وتفرَّق عنهم هو وأصحابه وينزل بهم حيث أرادوا ويقضي حوائجهم ويلطف بهم، واستمر كذلك إلى أن وصل بهم إلى المدينة.

ولذلك قالت فاطمة بنت علي عليه السلام لأختها زينب عليها السلام: قد وجب علينا حق هذا الرجل لحسن صحبته لنا، فهل لك أن نصله، فقالت زينب عليها السلام: والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلّينا، فأخذت سوارها ودملجها وسوار أختها ودملجها فبعثتا بها إليه واعتذرتا من قلتها وقلن له: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا، فقال: لو كان الذي صنعته للدنيا كان في دون هذا رضاي، ولكن والله ما فعلته إلا لله وقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢- السبايا في كربلاء:

سارت قافلة السبايا راجعة إلى المدينة فلما انفصلت من الشام ووصلت إلى العراق قالوا للدليل: مُرّ بنا على طريق كربلاء.

فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا هناك الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري وجماعة من بني هاشم ورجلاً من آل رسول الله صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد، وقد قيل أن أول زائر للحسين عليه السلام من الإنس هو جابر بن عبد الله الأنصاري يوم العشرين من صفر، وكان جابر ومن معه من آل الرسول صلى الله عليه وآله وجماعة من بني هاشم عند قبر الحسين عليه السلام عندما لاح لهم سواد قد طلع عليهم من بعيد من ناحية الشام فقال جابر لعبده: إنطلق إلى هذا السواد وآتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين عليه السلام فأنت حر لوجه الله تعالى، فمضى العبد فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله صلى الله عليه وآله هذا زين العابدين عليه السلام قد جاء بعماته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي القدمين مكشوف الرأس إلى أن دنا من زين العابدين عليه السلام، فقال له زين العابدين عليه السلام: أنت جابر، فقال: نعم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: يا جابر ههنا والله قُتلت رجالنا، وذُبحت أطفالنا، وسُبيت نساؤنا، وحُرقت خيامنا، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطمَ وأقاموا المآتمَ المقرحة للأكبادَ، واحتمع إليهم نَساء الحي ورجالهم وقاموا ينوحون على الحسين عليه السلام أياماً.

٣- موقف جابر بن عبد الله الأنصاري:

وكان موقف جابر بن عبد الله الأنصاري من المواقف المشكورة التي وقفها لأهل بيت

نبيه ﷺ، إذ وقف على قبر الحسين عليه السلام فأجهش بالبكاء وقال: يا حسين ثلاثا، فلم يسمع جواباً فقال:

حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفُرّق بين رأسك وبدنك، فأشهد أنك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء وابن سيد النقباء، وابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، ومالك لا تكون كذلك وقد غذتك كفُّ سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا، ثم أجال بصره حول القبر وقال:

السلام عليكم أيتها الارواح التي حلت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، فقال له عطية العوفي: كيف ولم نهبط واديا ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأُرملت الأزواج؟!، فقال جابر: إني سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من أحبَّ قوما كان معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمدا بالحق نبيا إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه.

وفي خبر آخر قال عطاء: كنت مع جابر بن عبد الله يوم عشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ولبس قميصا طاهرا كان معه ثم قال لي: أمعك شيئ من الطيب يا عطاء؟، قلت: معي سعد، فجعل منه على رأسه وسائر جسده، ثم مشى حافيا ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى وقف عند قبر الحسين عليه السلام فقال: ألمسنيه فألمسته، فكبر ثلاثا ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق، قال: يا حسين ثلاثا.... إلخ كما تقدم.

٤- عيال محمد ﷺ على باب مدينته:

بعد أن أقام علي بن الحسين عليه السلام مع ذرية ونساء آل محمد ﷺ في كربلاء ثلاثه أيام انطلقت هذه القافلة المقدسة راجعة إلى المدينة فلما قربوا من المدينة نزل علي بن الحسين عليه السلام فحط الرحال وضرب الفسطاط وأنزل النساء، وقال لبشير بن حذلم وقد كان

معه: يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعرا، فهل تقدر على شيئ منه، فقال بشير: بلى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إني شاعر: فقال عليه السلام: أدخل المدينة وانعِ أبا عبد الله عليه السلام.

ركب بشير فرسه وركض به حتى دخل المدينة، فلما بلغ مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفع صوته بالبكاء وأنشأ يقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها	قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج	والرأس منه على القناة يدار

ثم قال: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه.

قال بشير يصف ما حدث بعد قوله هذا، قال: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهن، مكشوفة شعورهن، مخمشة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، ثم قال: فلم أر باكيا أكثر من ذلك اليوم ولا يوما أمرّ على المسلمين منه، وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيدي ناع نعاه فأوجعا	وأمرضني ناع نعاه فأوجعا
فعيني جودا بالدموع واسكبا	وجودا بدمع بعد دمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا	فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبي الله وابن وصيه	وان كان عنا شاحط الدار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام وخدشت منا قروحا لما تندمل، فمن أنت رحمك الله، فقلت أنا بشير بن حذلم، وجهني مولاي علي بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله عليه السلام ونسائه، قال بشير: فتركتني مكاني وبادروا.

وكانت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ما زالت حيَّة فدخلت عليها إحدى النساء صارخة تصرخ فقالت: قتل الحسين عليه السلام، فقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: فعلوها، ملأ الله قبورهم نارا.

ويقال أنه في هذه الحال من الحزن العارم الذي ملأ المدينة حتى أصبحت المدينة كلها كأنها تصيح صيحة واحدة، ضحك أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص الأموي وتمثل

بقول الشاعر:

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

كأنه يشبه صيحة نساء بني هاشم وأنصارهم بصيحة نساء كفار بني أمية وقريش يوم بدر.

٥- لقاء السبايا مع محمد بن الحنفية

أما محمد بن الحنفية فقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان مريضا من يوم خروج الحسين عليه السلام، وهو باكي العين، فلما سمع الصيحة في المدينة وكثرة البكاء والنحيب سأل عن ذلك فاخبروه بقدوم أهله، فلما سمع ذلك خرج هائما، يقوم تارة ويقعد أخرى الى أن وصل إليهم وهو صارخ قائل: واأخاه، واحسيناه، فأقاموا في وجهه الصراخ والبكاء والنحيب فخرَّ مغشيا عليه، فلما أفاق قام واحتضن ابن اخيه وقبله بين عينيه، وقال: يا أخي يعز عليَّ قتلك وأنا لست معك وكنت أفديك بروحي، ثم جلس إلى زين العابدين عليه السلام.

٦- إجتماع زين العابدين مع أهل المدينة وخطبته عليه السلام فيهم:

بعد أن أدى الناعي وظيفته وأخبر أهل المدينة بقدوم عيال محمد صلى الله عليه وآله نساء وأرامل وأيتام قد فقدوا سيدهم أبا عبد الله الحسين عليه السلام وليس معهم من الرجال إلا علي بن الحسين عليه السلام المحزون المكروب، وما سمع أهل المدينة هذا الخبر الذي نزل عليهم نزول الصاعقة حتى بادروا إلى لقاء آل محمد صلى الله عليه وآله، قال بشير بن حذلم يصف هذا اللقاء:

ضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلا ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفة خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، وما لبث أنْ جاء عمه محمد بن الحنفية فجلس إلى جانبه، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين الجواري والنساء، والناس من كل ناحية يعزّونه فضجت تلك البقعة ضجةً شديدة، فأومأ بيده أن اسكتوا فسكنت فورتهم، فقال عليه السلام:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور، وألم الفجائع ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاضحة الكاظة الفادحة الجائحة.

أيها الناس إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس، فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله، أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبعُ الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار والملائكة المقرَّبون وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله، أم أي فؤاد لا يحن إليه، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام

أيها الناس أصبحنا مشرَّدين مذودين شاسعين عن الأمصار كأنا أولاد ترك أو كابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمه في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هذا إلا اختلاق.

والله لو أن النبيﷺ تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظَّها وأفظَّها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا، إنه عزيز ذو إنتقام.

٧- قصيدة أم كلثوم:

ونادت أم كلثوم:

مدينة جدنا لا تقبلينا ... فبالحسرات والأحزان جينا
ألا فاخبر رسول الله عنا ... بأنا قد فجعنا في أبينا
وأنا رجالنا بالطف صرعى ... بلا رؤوس وقد ذبحوا البنينا
وأخبر جدنا أنا أسرنا ... وبعد الأسر يا جدُّ سُبينا
وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا ... جنابك يا رسول الله فينا
أفاطم لو نظرت الى السبايا ... بناتك في البلاد مشتتينا

أفاطم لو نظرت الى الحيارى ... ولو أبصرت زين العابدينا
وقل يا عم يا حسن المزكى ... عيال أخيك أضحوا ضائعينا
ولو عاينت يا مولاي ساقوا ... حريما لا يجدن لهم معينا
على متن السياق بلا وطاء ... وشاهدت العيال مكشفينا
مدينة جدنا لا تقبلينا ... فبالحسرات ولاحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعا ... رجعنا لا رجالَ ولا بنينا
كنا في أمان الله جهرا ... رجعنا بالقطيعة خائفينا
فنحن الضائعات بلا كفيل ... ونحن النائحات على أخينا
ونحن السائرات على المطايا ... نُشالُ على جِمال المبغضينا
ألا يا جدنا قتلوا حسينا ... ولم يراعوا جناب الله فينا
ألا يا جدنا بلغت عدانا ... مناها واشتفى الأعداء فينا
لقد هتكوا النساء وحمَّلوها ... على الأقتاب قهراً أجمعينا
وزينب أخرجوها من خباها ... وفاطم والهٌ تُبدي الأنينا
وزين العابدين بقَيد ذلٍ ... وراموا قتله أهل الخؤونا (١)

قال الراوي: فما استتمت نداءها هذا إلا وأهل المدينة قد خرجوا صائحين رجالا ونساء، وهم يتصايحون ويبكون الى ان قابلوهم وسلموا عليهم وهم على بكاء ونحيب.

٨- دخول السبايا الى المدينه:

ثم ما لبث أن دخل علي بن الحسين عليه السلام مع نساء آل محمد صلى الله عليه وآله إلى داخل المدينة حتى وصلوا إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وهم باكون صارخون: يا جدنا قتلوا حسينا بأرض كربلاء، ثم

(١) هذه القصيدة إختصرناها ومن أرادها بطولها راجع بحار الأنوار ج٤٥ ص ١٩٧

أخذت زينب عليها السلام بعضادتي باب المسجد وتوجهت إلى جدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وصاحت: يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين عليه السلام.

وصاحت سكينة فقالت: يا جداه إليك المشتكى مما جرى علينا، فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافرا ولا مشركا شراً منه ولا أجفا وأغلظ، فلقد كان يقرع ثغر أبي بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين!!

ثم تقدم زين العابدين عليه السلام وبكى وجعل يقول:

الى جدنا نشكو عداة تحكموا ونالوا بنا والله كل مناء
ويا جدنا أردوا أبي متذللا قتيلا وفي الأحشاء حر ظماء
وقد رفعوا رأسا له فوق ذابل كما البدر يبدو في علو سماء
وقد حملونا فوق ظهر جمالهم بغير وطاء جدنا وغطاء
وطافوا بنا شرق البلاد وغربها جميعهم يهجوننا بهجاء
وجاؤا بنا ذلا دمشق يزيدهم وقد أوقفونا عنده بسواء
قال لقد نلت المنى كل مقصد بقتل أخيكم قد بلغت هنائي
وقد رام قتلي كي يقطع نسلنا وذى عمتي صاحت بغير عزاء
وصاح بهم كل الحضور جميعهم فقال دعوه ذا من الطلقاء

وهكذا عاد موكب النور خافتا حزينا منكسفا بعد أن خرج متلألأً وهاجا بنور أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ولله در القائل الباكي:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يُبعِدُ الله الديارَ وأهلَها وإن أصبحت منهم بزعمي تخلت

٩- وداع القافلة

ويروى عن علي بن يزيد، قال: كنت مع علي بن الحسين عليه السلام عندما انصرف من الشام إلى المدينة فكنت أُحسن إلى نسائه وأقضي حوائجه. فلما نزلوا المدينة بعثوا إلي بشئ من حليهن، فقلت: فعلت هذا لله تعالى. فأخذ علي بن الحسين عليه السلام حجرا أسود صما فطبعه بخاتمه، ثم قال: خذه وسل كل حاجة لك منه. فوالذي بعث محمدا بالحق لقد كنت أسأله الضوء في البيت فيسرج في الظلمات، وأضعه على الاقفال فتنفتح، وآخذه بيدي وأقف بين يدي السلاطين فلا أرى سوءا.

أقول: ولا أعلم أين أقامت ذرية النبي صلى الله عليه وآله في مدينة جدهم حيث أن الأخبار تروي أن والي المدينة من قبل يزيد كان قد هدم دور علي والحسن والحسين وعقيل عليهم السلام.

وبذلك نختم الكلام عما جرى على نساء وذرية آل محمد صلى الله عليه وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الفصل الثالث

حزن الكائنات

الباب الأول

أحزان الحق وأهله.

١-أحوال الكائنات:

إقشعرت أظله العرش لدم الحسين عليه السلام وبكاه كل شيئ من دون سدرة المنتهى إلى الثرى جزعاً عليه، وروي عن مولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليه السلام حتى ذرفت دموعها.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: إن أبا عبد الله الحسين عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب عليهن والجنة والنار وما خلق ربنا وما يرى وما لا يرى إلا ثلاثة أشياء هي البصرة ودمشق وآل عثمان بن عفان.

وجاء في زيارة الحسين عليه السلام المشهورة التي علَّمها الإمام الصادق عليه السلام لجماعة من خاصَّة أصحابه:

أشهد أن دَمَك سَكَنَ في الخلد واقشعرَّت له أظلةُ العرشِ وبكى له جميعُ الخلائق، وبكت له السماواتُ السبعُ والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومَن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يرى وما لا يرى.

وجاء في زيارة أخرى .....

وأقيمت عليك المآتمُ في أعلا عليين، تلطمُ عليك فيها الحورُ العين وتبكيك السماواتُ وسكانها، والجبال وخُزّانُها، والسَّحابُ وأقطَارُها، والأرض وقيعانها، والبحار وحيتانها، ومكة وبنيانها، والجنان وولدانُها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحطيم وزمزم، والمنبر المعظم، والنجوم الطوالعَ، والبروق اللوامع، والرعود القعاقع، والرياح الرعازع، والأفلاك الروافع...

وجاء في زيارة ثالثة ذكرها الإمام الصادق عليه السلام قال:

... بأبي أنت وأمي يا سيدي، بكيتُك يا خيرَةَ الله وابن خيرته، وحقٌّ لي أن أبكيك وقد بكتك السماوات والأرضون والجبال والبحار، فما عذري إن لم أبكك وقد بكَيك حبيبُ ربي وبكتك الأئمة صلوات الله عليهم وبكاك من دون سدرة المنتهى إلَى الثرى جزعاً عليك.

ولا بأس بتفصيل هذه الأحداث.

٢-غضب الله ونداؤه:

لقد غضب الله علي أمة قتلت أو ظلمت أو خذلت حسيناًعليه السلام، ولما ضُرب الحسين بن عليعليه السلام بالسيف ثم ابتدر ليُقْطع رأسه نادى مناد من قبَل رب العزة تبارك وتَعالى من بطنان العرش، فقال: ألا أيتها الأمة المتحيرة الظالمة بعدً نبيهاَ لا وفقكم الله لأضحى ولا فطر.

ولقد قال الله للملائكة بعد أن ضجَّت عند مقتل الحسينعليه السلام: قرُّوا ملائكتي فوعزتّي وجلالي لأنتقمن منهم ولو بعد حين، ثم كشف عن الأئمة من ولد الَحسين عليه السلام للملائكة، فسُرَّت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال الله عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم.

وفي خبر آخر أن في يوم قتل الحسينعليه السلام ماجت السماوات بأهلها وتزعزعت الأرض من أقطارها ومادت الجبال وكثر اضطرابها واصطفقت البحور بأمواجها غضبا لمحمدصلى الله عليه وآله وذريته واستعظاماً لما ينتهك من حرمته، ولم يبق شيئ إلا استأذن الله في نصرة آل محمدصلى الله عليه وآله فيوحي الله تعالى الى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن: إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر على الإنتصار والإنتقام، وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر رسولي وصفيي وانتهك حرمته وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهله عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين. فعند ذلك يضج كل شيئ في السماوات والأرضين بلعن من ظلم العترة وإستحل حرمة محمد صلى الله عليه وآله.

٣-حزن الملائكة فرقة المنصور:

أما ملائكة السماء فإنهم حزنوا وبكوا على الحسينعليه السلام حتى قُبَيل استشهادهعليه السلام، ففي الخبر أنه لما أتت على الحسينعليه السلام سنة كاملة من مولده هبط على الرسولصلى الله عليه وآله اثنا عشر ملكاً... محمرَّة وجوههم، باكية عيونهم، قد نشروا أجنحتهم... الحديث.

وهكذا لا زالت الملائكة تبكي على الحسين عليه السلام وتنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وتعزيه بهذه المصيبة المهولة التي ستقع بولده وثمرة فؤاده ومهجته الحسين عليه السلام، وفي الخبر الذي رواه الشيخ الجليل ابن قولويه رحمه الله في كامل الزيارات عن سليمان قال: وهل بقي في السماء ملك لم ينزل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعزيه بولده الحسين عليه السلام ويخبره بثواب الله إياه ويحمل إليه تربته مصروعاً عليها مذبوحا مقتولاً جريحا طريحاً مخذولاً... الحديث.

أقول: ليس من عادة علمائنا ولا سيما ابن قولويه في كتاب الكامل الزيارات أن ينقل كلمات غير الأئمة عليهم السلام، فالظاهر أن هذا الخبر من كلام الإمام عليه السلام وأن سليمان وهو من أصحاب الصادق عليه السلام، قد روى الخبر عنه عليه السلام وأضمر اسمه.

وعندما علمت الملائكة بخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى القتال هبطت فرقة منهم عددهم أربعة آلاف ورئيسهم ملك يقول له المنصور، هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام وويريدون نصره على أعدائه ولكن الله تعالى غالبٌ على أمره لم يأذن لهم في القتال مع الحسين عليه السلام، فاستمروا يراجعون الله تعالى في الإستئذان حتى أذن لهم، فهبطوا إلى الأرض فإذا بهم يرون الحسين عليه السلام مقتولاً ومذبوحاً، فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا بالإنحدار وأذنت لنا في نصرة الحسين عليه السلام، فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تعالى إليهم أن: إلزموا قبَّته حتى ترونه وقد خرج فانصروه وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنكم خُصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة حزناً وجزعاً وهم عند قبره يبكون شعثاً غبراً إلىَ يوم القيامة.

وإن هؤلاء الملائكة ليبكون الحسين عليه السلام بكاء يبكي له كل من في الهواء والسماء من الملائكة، ويضجّون على الحسين عليه السلام عند قبره يبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون، وهم من خشيه الله مشفقون ومن عذابه حذرون، لا تغيرهم الأيام ولا يهرمون، وفي نواحي الحير يشهقون، وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، واشتد منهم الحزن بحرقة لا تطفأ.

وما من صباح إلا وعلى قبر الحسين عليه السلام هاتفٌ من الملائكة ينادي: يا طالب الخير أقبل إلى خالصة الله ترحل بالكرامة وتأمن الندامة، فيسمع هذا النداء أهل المشرق وأهل المغرب إلا الثقلين، ولا يبقى في الأرض ملك من الحفظة إلا عطف على قبر الحسين عليه السلام عند رقاد العباد حتى يسبح الله عنده ويسأل الله الرضا عنه، ولا يبقى ملك في الهواء يسمع الصوت إلا أجاب بالتقديس لله تعالى، فتشتد أصوات الملائكة وأهل السماء الدنيا حتى تبلغ أهل السماء السابعة فيسمع أصواتهم النبيون فيترحمون ويصلون على الحسين عليه السلام ويدعون لمن زاره.

وسيستمر هؤلاء الملائكة الكرام بهذا البكاء عند قبر الحسينعليه السلام إلى يوم القيامة، يصلون على الحسينعليه السلام ويحرسون قبره ولا يأتيه زائر إلا استقبلوه ودعوا له، ولا يمرض أحد من زواره إلا عادوه، ولا رجع منهم أحد إلا ودّعوه ولا يموت أحد منهم إلا شيعوا جنازته بالإستغفار له والترحم عليه.

٤- حزن كافة الملائكة:

ونزل ملك البحار من ملائكة الفردوس فنزل الى البحر فنشر أجنحته عليها ثم صاح صيحة، فقال: يا أهل البحار البسوا أثواب الحزن فإن فرخ رسول اللهصلى الله عليه وآله مذبوح، ثم حمل من تربته في أجنحته إلى السماوات فلم يبق ملك فيها إلا شمّها وصار عنده لها أثر ولعن قتلته أشياعهم وأتباعهم، ولقد ضجت الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب، وقالت: يا رب يُفعل هذا بالحسينعليه السلام صفيك وابن نبيك، إلهنا وسيدنا أتغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك، ربّنا ائذن لنا في هلاك الخلق حتى نجدِّهم من جديد الأرض بما استحالوا حرمتك وقتلوا صفوتك.

وعندما عرجت روح الحسين عليه السلام لم تمر في سماء إلا فزع له سبعون ألف ملك يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة. ولم يبق في السماوات ملك إلا نزل إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله يعزيه بولده الحسينعليه السلام ويخبره بثواب الله ويحمل إليه من تربته.

وأقيمت المآتم في السماوات تحضرها الملائكة وتلطم الحور العين وبكى جميع ملائكة السماوات والأراضين ورضوان ومالك وحملة العرش، واقشعرّت أظلة العرش، وبكت كل الملائكة أربعين صباحاً، ولا يزال كل واحد من الملائكة يسأل الله تعالى في زيارة قبر الحسينعليه السلام، ففوج منهم يهبط من السماء وفوج يصعد حتى صار قبرالحسينعليه السلام وهو عشرون ذراعا في عشرين ذراعا مكسراً (أي ما يقارب تسعة أمتار في تسعة أمتار) معراجاً للملائكة إلى السماء وروضة من رياض الجنة.

٥- حزن جبرئيلعليه السلام

روى شيخنا ابن قولويه في كتاب كامل الزيارة بإسناده عن ابن عباس، قال: الملك الذي جاء الى محمدصلى الله عليه وآله يخبره بقتل الحسينعليه السلام كان جبرئيلعليه السلام الروح الأمين، منشور الأجنحة باكيا صارخا، قد حمل من تربة الحسينعليه السلام وهي تفوح كالمسك، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: وتُفلِح أمتي تقتل فرخي - أو قال: فرخ ابنتي. فقال جبرئيلعليه السلام: يضربها الله بالإختلاف فتختَلف قلوبهم.

٦ـ حزن كافة الروحانيين

وروى بعض أهل السنة عن سلمان الفارسي أنه قال في حديث: كل شيء في الأرض يبكي على الحسين عليه السلام إذا قتل، حتى النجم ونبات الأرض، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلا ويسجد ذلك اليوم، ويقول: إلهنا وسيدنا أنت الحكيم العليم، ثم لا يرفعون رؤوسهم حتى ينادي ملك بين السماء والأرض أن يا معشر الخليقة ارفعوا رؤوسكم فقد وفيتم لرب العزة.

٧- حزن الأنبياء عليهم السلام:

أما أنبياء الله فقد حزنوا وبكوا على الحسين عليه السلام أثناء حياتهم وقبل مقتله عليه السلام، كما ورد في آدم عليه السلام أنه لعن قاتل الحسين عليه السلام، وكان إذا ذكر الحسين عليه السلام ينكسر قلبه ويخشع وتسيل دموعه ويبكي، وكان يبكيه مع جبرئيل بكاء الثكلى.

وورد أن نوحاً عليه السلام لعن قاتل الحسين عليه السلام وظالمه وخاذله.

وورد أن إبراهيم عليه السلام جزع على الحسين عليه السلام وبكى حتى توجع قلبه ولعن يزيداً لعناً كثيراً وأمر ولده بلعنه.

وورد أن موسى بن عمران عليه السلام قد بكى ووصل إلى كربلاء ولعن يزيداً ودعا عليه وأمَّن على دعائه وصيه يوشع بن نون عليه السلام وأمر أمته بلعنه.

وداود النبي عليه السلام لعن قاتل الحسين عليه السلام وأمر بني إسرائيل بلعنه.

وسليمان بن داوود عليه السلام هبط في أرض كربلاء فلعن قاتل الحسين عليه السلام ودعا عليه وأمن على دعائه الإنس والجن.

وإسماعيل بن حزقيل صادق الوعد عليه السلام ظلمه قومه حتى سلخوا فروة رأسه ووجهه فتأسَّى بالحسين عليه السلام وطلب الكرَّة معه يوم الكرة.

وكان زكريا عليه السلام إذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، وتدمع عينه، وتثور زفرأته، وعندما أوحى الله تعالى إليه بما يحدث على الحسين عليه السلام لزم المسجد ثلاثة أيام ومنع الناس من الدخول عليه، وأقبل يبكي وينتحب ويرثي الحسين عليه السلام.

وعيسى بن مريم عليه السلام مرَّ على كربلاء ومعه الحواريّون فشمَّ بعر الظباء التي كانت مجتمعة

تبكي على الحسين عليه السلام ثم جلس يبكي، وبكى معه الحواريون، ولعن يزيداً ودعا عليه وأمَّنَ الحواريون.

بل ورد الخبر أنه ما من نبي إلا زار كربلاء ووقف عليها وقال: إنك لبقعة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الأزهر.

وقد حكى ابن طاووس عن ابن النجار إمام العامة في وقته أنه روى له في كتابه التذييل على تاريخ بغداد للخطيب خبرا جميلا في بكاء مسمار من مسامير سفينة نوح على إمامنا الحسين صلوات الله عليه، وقد رواه بإسناده عن عطيه العوفى، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لما أراد الله عز وجل أن يهلك قوم نوح عليه السلام أوحى الله إليه أن شق ألواح الساج فلما شقَّها لم يدر ما يصنع فهبط جبرئيل عليه السلام فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت ومائة ألف مسمار وتسعه وعشرون ألف مسمار، فسمَّر بالمسامير كلها السفينة الى أن بقيت خمسه مسامير فضرب بيده مسمار منها فأشرق في يده وأضاء كما يضئ الكوكب الدري أفق السماء فتحيَّر من ذلك نوح فأنطق الله ذلك المسمار بلسان طلق ذلق فقال: على اسم خير الأنبياء محمد بن عبد الله فهبط عليه جبرئيل فقال له: يا جبرئيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله، قال: هذا باسم خير الأولين والآخرين محمد بن عبد الله أسمره أولها على جانب السفينة اليمين، ثم ضرب بيده مسمار ثان فأشرق وأنار فقال نوح: وما هذا المسمار قال: مسمار أخيه وابن عمه علي بن أبي طالب فأسمره جانب السفينة اليسار في أولها، ثم ضرب بيده الى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار، فقال: هذا مسمار فاطمة فأسمره الى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيده مسمار رابع فزهر وأنار فقال: هذا مسمار الحسن فأسمره الى جانب مسمار أبيه، ثم ضرب بيده الى مسمار خامس فأشرق وأنار وبكى فقال: يا جبرئيل ما هذه النداوة، فقال: هذا مسمار الحسين بن على سيد الشهداء فأسمره الى جانب مسمار أخيه ثم قال صلى الله عليه وآله ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾، قال النبي صلى الله عليه وآله الألواح خشب السفينة، ونحن الدسر لولانا سارت السفينة بأهلها [1].

أما بعد مقتل الحسين عليه السلام فإن الأنبياء عليهم السلام وهم في السماء عند ربهم لم يبق نبي منهم في السماوات إلا ويسأل الله تعالى أن يأذن له في زيارة الحسين عليه السلام ففوج من الأنبياء ينزل وفوج منهم يصعد.

(١) الأمان من أخطار الأسفار ص١١٨

الباب الثاني
حزن السماوات والأراضيين وما بينهن

١- بكاء السماء:

لقد بكى على الحسين عليه السلام السماء وما فيها من نجوم وشمس وقمر، أما السماء فقد بكت على الحسين عليه السلام وإنها لم تبك على أحد أبداً منذ أن بكت على الشهيد النبي يحيى بن زكريا، وإنها لم تبك إلا على هذين الشهيدَين، الحسين الشهيد ويحيى الشهيد.

وكان بكاؤها أربعين يوما تطلع حمراء وتغرب حمراء وأمطرت تراباً أحمر كأنه دم، بل قيل: أمطرت السماء دماً فامتلأت الحباب والجرار والأواني دماً، وبقيت آثار هذا الدم على البيوت والجدران والحيطان مدة من الزمن.

وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام واسودت إسوداداً عظيماً فلم يُرَ نور الشمس في النهار، وبدت الكواكب نصف النهار وأخذت بعضها يضرب بعضا حتى ظنَّ الناس أن القيامة قامت.

وبقيت السماء حمراء سنة كاملة، بل قيل بقيت كذلك سنة وتسعة أشهر.

٢-دفع تشكيك:

قد يتخيل بعض من لا يعلمون أن بكاء السماء واحمرارها عند قتل الحسين عليه السلام هي أخبار مبالغ فيها يرويها محبوا الحسين عليه السلام فقط، وبالتالي هي أخبار غير ثابتة أو غير دقيقة.

والجواب أن هذا الخيال إنما يعرض على أذهان من لا خبرة لهم في شؤون التاريخ ومعلوماته وإلا فإن أدنى مراجعة في ذلك تكشف عن صحة هذه الأخبار واستفاضتها حتى أنها قد رواها علماء أهل السنة قبل رواة الشيعة، ولتوضيح الحال نقول أمرين.

الأول: أن هذه الأخبار نُقِلت عن أئمتنا عليهم السلام في كتب الرواية المعتمدة وبالأسانيد

الصحيحة المعتبرة والكثيرة بحيث تأخذ بأعناق الناظر فيها إلى الجزم بصحتها، ومنها الخبر الصحيح الذي رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال: إن الحسين عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرَّتا، ولم تبكيا على أحد قط إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليه السلام.

ومنها الخبر الصحيح الذي رواه داود بن فرقد عن الصادق عليه السلام قال: احمرَّت السماء حين قتل الحسين عليه السلام سنة وعلى يحيى بن زكريا، وحمرتها بكاؤها.

ومنها الخبر الموثوق الذي رواه عبد الخالق بن عبد ربه عن الصادق عليه السلام قال: .... ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً، قال: قلت: ما بكاؤها؟، قال: كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء.

ومنها الخبر الصحيح االذي رواه الريان بن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام قال في الحديث: ... لما قتل جدي الحسين صلوات الله عليه أمطرت السماء دما وتراباً أحمر.

وغير هذه الأخبار كثيرة يطول المقام بذكرها.

الثالي: إن هذه الأخبار رواها علماء العامة من أهل السنة ومؤرخوهم المعتمد عليهم عندهم، وإليك شطراً من ذلك.

١ — عن الزهري قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام لم يبق ببيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط.

٢ — عن أبي نعيم في دلائل النبوة، وعن النسوي في المعرفة قالت نصرة الأزدية: لما قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وحبابنا وجرارنا صارت مملوءة دماً، وقال قرظة بن عبيد الله: مطرت السماء يوما نصف النهار على شملة بيضاء فنظرتُ فإذا هو دم، وذهبت الإبل إلى الوادي لتشرب فإذا هو دم، وإذا هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.

٣— روى ابن جرير الطبري والثعلبي والقرطبي في تفاسيرهم عن السدي قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت السماء، وبكاؤها حمرتها.

٤ — عن ينابيع المودة عن محمد بن سيرين قال: أخبرونا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الإمام الحسين عليه السلام.

٥ — عن ينابيع المودة عن سليمان القاضي قال: مطرنا دماً أيام قتل الحسين عليه السلام.

٦ – عن الطبراني في الكبير قال أبو قبيل: لما قتل الحسين عليه السلام انكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار.

٧ - وعن عثمان إبن أبي شيبة أن السماء بكت سبعة أيام فصارت حمراء، وروى مثله في تاريخ الخلفاء.

٨ – عن إبن الجوزي روى عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام وظهرت الحمرة في السماء.

٩- روى أحمد بن حنبل في كتابه العلل(ر١٠١٩) قال: ذكر لسفيان جدته فقال: قالت: يوم قتل الحسين عليه السلام صار اللحم كدا وصار الورس أسود.

أقول: هذا خبر عظيم الإسناد وسفيان شيخ أحمد هو من أعظم شيوخ العامة وأساطين الرواية عندهم.

١٠- وروى ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره (ح١٩٠٦٥) بإسناده عن عبيد المكتب، عن إبراهيم، قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين، قيل لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن، قال: ذلك مقامه وحيث يصعد عمله، قال: وتدري ما بكاء السماء، قال: لا، قال: تحمر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا لما قتل احمرت السماء وقطرت دما، وإن حسين بن علي يوم قتل احمرت السماء.

١١ – وبالجملة فقد رويت هذه الأخبار في الكثير من كتب أهل السنة منها ١. تاريخ إبن عساكر، ٢. علل ابن ابي حاتم، ٣. الصواعق المحرقة، ٤. الخصائص الكبرى، ٥. معاجم الطبراني، ٦. الخطط المقريزي، ٧. تذكرة الخواص، ٨ مقتل الخوارزمي، ٩. ينابيع المودة، ١٠.تفسير الثعلبي، ١١.الإتحاف بحب الأشراف، ١٢. تهذيب التهذيب، ١٣. تاريخ الخلفاء، ١٤. الدلائل لأبي نعيم، ١٥. الكواكب الدرية، ١٦. مجمع الزوائد، ١٧: تفسير الطبري، ١٨: تفسير القرطبي، ١٩: السنن الكبرى للبيهقي، ٢٠: مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ٢١: تهذيب الكمال للمزي، ٢٢: الذرية الطاهرة للدولابي، وهذا ما حصلنا عليه على عجلة دون بحث ولا تتبع والحاصل أن هذه الأخبار هي من الصحة بمكان لا ينبغي للمنصف أن يشكك فيها، والله العالم.

٣ – بكاء الأرض:

وبكت الأرض على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً وكان بكاؤها اسودادها وأنه لم يُرفَع حجرٌ إلا وجد تحته دم، حتى روى العامة عن الزهري أنه قال: لم يبق في بيت المقدس

حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط، وقال رجل من أهل بيت المقدس: والله لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشية قتل الحسين بن علي عليه السلام، فقيل له كيف ذاك؟، قال: ما رفعنا حجراً ولا مدراً ولا صخراً، إلا ورأينا تحتها دم عبيطاً يغلي، وأحمرت الحيطان كالعلق، ومطرنا ثلاثة أيام دماً عبيطاً، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل، يقول:

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب
معاذ الله لا نلتم يقيناً شفاعة أحمد وأبي تراب
قتلتم خير من ركب المطايا وخير الشيب طراً والشباب

وانكسفت الشمس ثلاثة أيام ثم تجلت عنها، وإنشبكت النجوم، فلما كان من الغد أرجفنا بقتله، فلم يأتِ علينا كثير شيئ حتى نعي إلينا الحسين عليه السلام.

أقول وفي الخبر عن الباقر عليه السلام أنه قال عن الليلة التي قتل فيها الحسين عليه السلام: لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دماً عبيط حتى طلع الفجر، وأن هذا بعينه حدث ليلة مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وليلة قتل هارون أخو موسى عليهما السلام، وليلة قتل فيها يوشع بن نون عليه السلام، وليلة رفع عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء.

وتقطعت الجبال وتناثرت البحار وتفجرت، وما من سحابة تمر وترعد إلا لعنت قاتله.

٤- بكاء الجن:

وبكى الجن وناحوا على الحسين عليه السلام وذكروا فيه أبياتاً وأشعاراً كثيرة من أهمها:

فإن قتيل الطف من آل هاشم أذلَّ رقاباً من قريش فذلَّت
حبيب رسول الله لم يك فاحشاً أبانت مصيبتك الأنوف وجلت

ولن أطيل على القارئ بذكر الأشعار التي نقلت عن الجن.

٥- بكاء الطير والوحش والحوت والجن:

بكى مؤمنوا الإنس والجن وحزنت الوحوش حتى قال عليه السلام: حتى لكأني أنظر إليها مادة أعناقها إلى قبر الحسين عليه السلام تبكيه وترثيه حتى الصباح، وبكت الوحوش في الفلوات والحيتان في البحر حتى ذرفت دموعها.

٦- حزن البوم وهيامها:

وحزنت الطيور وكانت أشدها تأثراً طائر البوم فإنه قبل مقتل الحسين عليه السلام كان طيراً أليفاً يظهر نهاراً يأوي العمران والمنازل والقصور والدور وكانت تقع أمام الناس فيرمون لها الطعام فتأكل وتسقى وترجع إلى مكانها، فلما قتل الحسين عليه السلام قالت البوم: بئس الأمة أنتم، قتلتم ابن بنت نبيكم، ولا آمنكم على نفسي، فخرجت إلى الخراب والجبال والبراري وابتعدت عن الناس وتركت العمران ولا تكاد تظهر في النهار ولا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجنَّها الليل، فإذا جاء الليل تدلهت وترنَّمت ورنَّت على الحسين عليه السلام حتى تصبح.

٧ – والحمام الراعبي:

وأما الحمام الراعبي فلا يزال يدعو على قتلة الحسين عليه السلام ويلعنهم ولذلك ورد الأمر عن الأئمة عليهم السلام باقتنائه في المنزل.

٨ – والغراب:

والغراب كان له شأنه إذ يُروى عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لما قتل الحسين عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه ثم تمرغ فيه ثم طار فوقع بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي – وهي الصغرى – فرفعت رأسها ونظرت إليه فبكت بكاء شديد وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت من تنعاه ويلك يا غراب

قال: الإمام، قلت: من، قال: الموفق للصواب

إن الحسين بكربلا بين الأسنَّة والحراب

فأبكي الحسين بعبرة ترجي الإله مع الثواب

قلت: الحسين؟ فقال لي: حقاً لقد سكن التراب

ثم استقل به الجناح فلم يطق ردّ الجواب

فبكيت مما حل بي بعد الدعاء المستجاب

٩ – والخطاف

والخطاف أيضا يبكي على ما أصاب آل محمد صلوات الله عليهم من البلاء مع أن أعظم مصيبة أصابت آل محمدﷺ هي مصيبة الحسينعليه السلام، فقد روي عن داود الرقي أو غيره قال: بينا نحن قعود عند أبي عبد اللهعليه السلام إذ مر رجل بيده خطاف مذبوح فوثب إليه أبو عبد اللهعليه السلام حتى أخذه من يده ثم دحا به إلى الأرض، ثم قال: أعالمكم أمركم بهذا أم فقيهكم؟ أخبرني أبي عن جدي: أن رسول اللهﷺ نهى عن قتل الستة، منها الخطاف، وقال: إن دورانه في السماء أسفا لما فعل بأهل بيت محمدﷺ وتسبيحه قراءة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ألا ترونه يقول: ﴿ولا الضالين﴾.

١٠–وحصان الحسينعليه السلام:

ولا ننسى هنا أن نذكر أن حصان الحسين عليه السلام كان له شأن في الحزن والبكاء علي الحسينعليه السلام فقد وقف على مصرعه ولطخ عرفة وناصيته بدم الحسين عليه السلام وجعل يركض ويصهل ويحمحم باكياً.

بل بكى غير خيل الحسين عليه السلام من الخيول التي حضرت مأساة كربلاء، إذ يروي رواة الخاصة والعامة ومنهم الموفق الخوارزمي الحنفي الذي ذكر أنه عندما نادى عمر بن سعد بالرحيل من عرصة كربلاء إلى الكوفة مرَّت مواكب النساء بجثمان الإمام الحسين عليه السلام وجثامين أصحابه، فصاحت النساء ولطمن وجوههن، وصاحت زينب: يا محمداه، صلى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، معفر بالتراب، مقطع الأعضاء، يا محمداه، بناتك في العسكر سبايا، وذريتك قتلى تسفى عليهم الصبا، هذا ابنك محزوز الرأس من القفا.. قال الراوي: فما زالت تقول هذا القول حتى أبكت والله كل صديق وعدو حتى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها.؟

١١ – بكاء جهنم:

حتى جهنم التي هي دارُ غضبِ الله تعالى لما خرجت نفس الحسين عليه السلام عند قتله زفرت زفرةً كادت الأرض تنشق لزفرتهَا، ولو يؤذن لها ما بقي شيئ إلا ابتلعته، ولكنها مأمورة مصفودة، ومع ذلك فلقد عتت على خُزّانها غير مرة حتى أتاها جبرائيلِعليه السلام فضربها بجناحه فسكنت، ولولا من هم على الأرض من حجج الله تعالى لنقضت الأرض وأكفأت بمن عليها وإنها لتبكي على الحسين عليه السلام وتندبه وإنها لتتلظى على قاتله، وعندما خرجت نفس عبيد

الله بن زياد ونفس يزيد بن معاوية لعنهما الله تعالى شهقت جهنمُ شهقةً لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها.

١٢- سرور الشيطان:

المخلوق الوحيد الذي فرح بقتل الحسين عليه السلام بعد دمشق والبصرة وآل عثمان بن عفان هو رئيسهم المطاع الشيطان الرجيم، فإنه لعنه الله طار فرحا في يوم عاشوراء وجال الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول لهم: يا معشر الشياطين، قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة وهم شيعتهم، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغوائهم بهم وبأوليائهم حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينج منهم ناج.

وقد فرح أولياء الشيطان وأتباعه في الدنيا فأعلنوا يوم عاشوراء يوما مباركا وسنّوا فيه أنواع السنن المبتدعة اللازمة لإظهار الشكر والفرح والسرور إمعانا بالفجور وعداوة آل محمد صلى الله عليه وآله، ومن جملة هذه السنن المبتدعة هي سنّة الصيام يوم عاشوراء، ورووا فيه كذبا من الفضل ما الله تعالى حسيبهم عليه، ويروى عن أئمتنا عليهم السلام أن الذي سنَّ الصيام في هذا اليوم هو الملعون ابن مرجانة وآل بيته عليهم لعنات الله تعالى.

الباب الثالث

حزن أهل البيت عليهم السلام

١- حزن رسول الله صلى الله عليه وآله:

رسول الله صلى الله عليه وآله هو المُصاب الأول والمفجوع الأعظم بمصيبة استشهاد فلذة كبده ومهجة قلبه وريحانة روحه، ولطالما بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وطال بكاؤه على الحسين عليه السلام حتى قبل استشهاده، ولأهمية هذا الأمر سنفصّل حزن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قسمين: الأول: حزنه صلى الله عليه وآله قبل تحقق الشهادة، الثاني حزنه صلى الله عليه وآله بعد الإستشهاد.

الأول حزن الرسول صلى الله عليه وآله قبل الشهادة:

دلّت الأخبار المستفيضة والمعتبرة والمعتمد عليها أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يبشّره عن الله تعالى بمولود له تلده ابنته فاطمة عليها السلام ثم تقتله أمّته من بعده، وكان من الطبيعي أن يكون هذا الخبر الإلهي الحتمي محزناً ومفجعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما كان محزناً ومفجعاً لفاطمة الزهراء عليها السلام، بل في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته الزهراء عليها السلام قالا: لا حاجة لنا في مولود تقتله الأمة، وأن جبرئيل عليه السلام عندما سمع هذا الجواب عرج به إلى السماء، ثم هبط مكرّراً ومعيداً مخبرا عن الله تعالى ببقاء هذا القضاء الإلهي المفجع، وكرّر رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام ما قالاه ثانية، فعرج جبرئيل عليه السلام مرة ثانية، ثم هبط من السماء وأعاد للمرّة الثالثة بيان بقاء القضاء الإلهي المحتوم إلا أن هذه المرة جاءت زيادة بركات إلهية في أعلى درجات الأهمية، وهي أن الله تعالى قد جعل الإمامة الإلهية إلى يوم القيامة من ذريّة هذا المولود المبارك.

مع هذه الزيادة المقدّسة لم يكن بد من رضا الرسول صلى الله عليه وآله وبضعته فاطمة عليها السلام بولادة الحسين عليه السلام قبولاً بهذه الفضيلة وإدراكاً منهما لاستحالة بقاء الدنيا دون أئمة، فرضيا صلوات الله عليهما بولادة الحسين عليه السلام ثم استشهاده على يد أمّة تدّعي أنها أمّة جده محمد صلى الله عليه وآله.

ومن هذا الحين كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يبكي ويطول بكاؤه على مصيبة ولده الحسين عليه السلام، ولقد استفاضت هذه الأخبار حتى رواها علماء أهل السنّة مستفيضا، وإليك شطراً من هذه الأخبار.

١- روى محمد بن علي الشجري وابن قولويه بالأسانيد عن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه فعملنا له خزيرة، وأهدت لنا أم أيمن قعبا من لبن وزبد وصحفة من ثريد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وأكلنا معه، ثم وضأت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسح يديه ووجهه ولحيته بيده، ثم استقبل القبلة فدعا الله عزوجل ما شاء الله، ثم أكب على الارض بدموع غزيرة مثل المطر، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسأله، فوثب الحسين عليه السلام وأكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى، فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ قال: يا أبه رأيتك تصنع ما لم أرك تصنع مثله قط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بني اني سررت بكم اليوم سرورا لم أسر بكم قبله بمثله، وان حبيبي جبريل أتاني فأخبرني انكم قتلى وان مصارعكم شتى، فأحزنني ذلك فدعوت الله لكم بالخيرة. فقال الحسين: يارسول الله من يزورنا على تشتتنا وتباعد قبورنا، فقال رسول اللة صلى الله عليه وسلم: طائفة من أمتي تريد به بري وصلتي، إذا كان يوم القيامة زرتها بالموقف وأنجيتها من أهواله وشدائده[1].

٢- ما عن كفاية الطالب للكنجي بسنده عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام، وناوله كفاً من التراب، فبكى رسول الله ﷺ وضمَّه إلى صدره، وشمَّ رسول الله ﷺ التراب وقال ريح كرب وبلاء، ثم قال: وديعة عندك هذه التربة يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل.... الحديث.

٣- ومثله الخبر الذي رواه الشيعة والسنة كأحمد بن حنبل في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وابن ماجة وأبي نعيم وابن عساكر وابن سعد وغيرهم رووا عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان رسول الله ﷺ جالسا ذات يوم في بيتي، فقال: لا يدخل عليَّ أحد، فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج رسول الله ﷺ يبكي فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبي ﷺ يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: إن جبريل عليه السلام

(١) فضل زيارة الحسين ص٣١ وص٣٣، كامل الزيارات ص١٢٦ح١٤١

كان معنا في البيت، فقال: تحبه، قلت: أما من الدنيا فنعم، قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلا، فتناول جبريل عليه السلام من تربتها، فأراها النبي صلى الله عليه وآله فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض، قالوا: كربلاء، قال: صدق الله ورسوله، أرض كرب وبلاء.

٤- ما عن أعلام النبوة للماوردي الشافعي ورواه الطبراني في المعجم الكبير، عن عائشة قالت: دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يُوحَى إليه، فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد، إن أمَّتك ستُفتَتَن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومدَّ يده فأتاه بقربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض يُقْتل ابنُك، اسمها الطف، فلما ذهب جبرئيل عليه السلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه والتربة في يده، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي عليه السلام وحذيفة وعمَّار وأبو ذر وهو يبكي... الحديث.

٥- ما رووه عن أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس عمَ النبي في حديث الرؤية التي رأتها في منامها أنها دخلت يوماً على النبي صلى الله عليه وآله وهي تحمل الحسين عليه السلام فوضعته في حجره، ثم حانت منها التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان بالدموع، فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ما لَك؟، قال: أتاني جبرئيل عليه السلام فأخبرني أن طائفة من أمتي ستقتل ابني هذا.

٦- ما عن ينابيع المودة فيما يرويه عن ذخائر العقبى عن أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ الحسين عليه السلام في حِجره وبكى، فقالت أسماء: فداك أبي وأمي، مما تبكي؟ قال صلى الله عليه وآله: يا أسماء ابني هذا تقتله الفئة الباغية من أمتي، لا أنالهم الله شفاعتي... الحديث.

٧- وفي أخبار أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا دخل عليه الحسين عليه السلام يقَع عليه فيقبّله ويبكي، فيقول له الحسين عليه السلام: يا أبة، لمَ تبكِ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني أقبّل مواضع السيوف منك وأبكي.

٨- ولما اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه ضمَّ الحسين عليه السلام إلى صدره ويقول: مالي وليزيد، لا بارك الله فيه، اللهمَّ العن يزيد، ثم غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبّل الحسين عليه السلام وعيناه تذرفان ويقول: إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل.

٩- وروى شيخنا الصدوق من طريق العامة عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي مما يصنع بكم بعدي. فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من

ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدها، وطعنة الحسن في الفخذ، والسم الذي يسقى، وقتل الحسين. قال: فبكى أهل البيت جميعا، فقلت: يا رسول الله، ما خلقنا ربنا إلا للبلاء! قال: أبشر يا علي، فإن الله عز وجل قد عهد إلي أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

١٠- ويروى عن جابر الجعفي قال: دخلت على سيدي الباقر (عليه السلام) فقلت: مولاي حدثني مولاك خالد بسوق العقيق، قال: سمعت مولاي الحسين بن علي يقول دخلت على جدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فلما رآني ضمني إليه وقبل ما بين عيني وتنفس صعدا وانهملت عيناه بالدموع، ثم قال لي: فديتك يا قتيل الفجرة وابناء الفجرة إلى الله اشكو عظم مصيبتي فيك يا حسين وانهملت عيناه، قال: وكان لي في ذلك الوقت ثلاث سنين، فلما سمعت كلام جدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عرض لي البكاء فبكيت لما سمعت منه ولبكائه، فقال: لا تبك يا حسين، بل اضحك سنا يا حسين، لا يحزنك ما سمعت من قتلك فإن الله خلقك من نور لا يطفا ولن تطفا ابدا، ووجه لم يهلك ولن يهلك ابدا، وخلق من صلبك انواراً ائمةً ابراراً، وجعل فيك وفيهم حكم البدء والفناء والآخرة والأولى وزمام كل زمام، قال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: فكأن الله عز وجل جلا عني حزني وملأ قلبي سرورا فما حزنت منذ سمعت كلام جدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

١١- وروى الشيخ الصدوق في أماليه بإسناده عن ابن عباس، قال: قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلا؟ قال: إي والله إني لأحبه حبين: حبا له، وحبا لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

أقول: إن جريان الدموع إلى الصدر هو بكاء عظيم مهول لا عهد لي بمثله ولم أر مثله في عمري كله إلا قليلا، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإلى الله تعالى وحده نشكو عظيم أحزان النبي وعترته صلوات الله تعالى وبركاته عليهم.

١٢- وتقدم فيما رواه شيخنا ابن قولويه بإسناده عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في حديثه الطويل وفيه: فقالت أي زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ: حدثتني أم أيمن أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الايام، فعملت له حريرة صلى الله عليهما، وأتاه علي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بطبق فيه تمر ثم قالت ام أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من تلك الحريرة، وشرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثم غسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يده وعلي

عليه السلام يصب عليه الماء. فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظرا عرفنا فيه السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء مليا ثم وجَّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثم خر ساجدا وهو ينشج، فأطال النشوج وعلا نحيبه، وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر!!، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهِبْناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك، قال له علي وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك، فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟ فقال: يا أخي سررت بكم سرورا ما سررت مثله قط، وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليَّ فيكم، إذ هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنأك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم يُحبَون كما تُحبَى، ويُعطون كما تُعطَى، حتى ترضى وفوق الرضا، على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ؛ ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك ويزعمون أنهم من أمتك، براء من الله ومنك خبطا خبطا، وقتلا قتلا، شتى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم، ولك فيهم، فأحمد الله عزوجل على خيرته وأرض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم. ثم قال جبرئيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعدك، مغلوب على أمتك، متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك يقتله أشر الخلق والخليقة، وأشقى البرية، نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم. وإن سبطك هذا وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك، وأخيار من أمتك، بضفة الفرات، بأرض تُدعى كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك، في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفني حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنها لمن بطحاء الجنة، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة، تزعزعت الارض من أقطارها، ومادت الجبال وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضبا لك يا محمد ولذريتك واستعظاما لما ينتهك من حرمتك، ولشر ما تكافى به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شئ من ذلك إلا استأذن الله عزوجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك، فيوحي الله إلى السماوات والارض والجبال والبحار ومن فيهن: إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالى لأعذبن من وتر رسولي وصفيي، وانتهك حرمته وقتل عترته، ونبذ عهده وظلم أهله عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين. فعند ذلك يضج

كل شئ في السموات والارضين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولى الله عزوجل قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الارض ملائكة من السماء السابعة، ... ثم قال: ويقيمون رسما لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علما لاهل الحق، وسببا للمؤمنين إلى الفوز، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزواره... إلى أن قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهذا أبكاني وأحزنني....

الثاني: حزن الرسول صلى الله عليه وآله بعد الشهادة:

١- جاء في إحدى الزيارات يخاطب الحسين عليه السلام:..... لقد أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله من أجلك موتورا... ثم يقول: وقام ناعيك عند قبر جدِك الرسول صلى الله عليه وآله فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلاً: يا رسول الله قُتِل سبطُك وفتاك، واستُبيح أهِلُك وحماك، وسُبيَ بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وبنيك، فنزع الرسول صلى الله عليه وآله الرداء، وعزَّاه بك الملائكة والأنبياء...

وفي رواية أخرى:... فانزعج الرسول صلى الله عليه وآله وبكى قلبه المهول...

٢- قدمنا في خبر أم سلمة أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامها وهو شعث مذعور، فسألته عن ذلك فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته عليهم السلام فدفنته، والساعة فرغتُ من دفنهم.

وفي خير آخر أنها رأته شاحباً كئيباً، فقد روى شيخنا المفيد قدس سره في أماليه بإسناده عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: أصبحت يوما أم سلمة رحمها الله تبكي، فقيل لها: مم بكاؤك؟ فقالت: لقد قتل ابني الحسين عليه السلام الليلة، وذلك إنني ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قبض إلا الليلة، فرأيته شاحبا كئيبا، قالت: فقلت: مالي أراك يا رسول الله شاحبا كئيبا؟ قال: ما زلت الليلة أحفر قبورا للحسين وأصحابه عليهم السلام. وفي خبر ثالث أنها رأته مغبراً صلوات الله عليه وآله.

٣- وعن ابن عباس أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في نحو هذا المشهد الكئيب، وسيأتي نقل الخبر.

٤- وفي الخبر المعتبر عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام قال في حديث:... ما أصيب ولد فاطمة عليها السلام ولا يصابون بمثل الحسين عليه السلام، ولقد قُتِل في سبعة عشر من أهل بيته نصحوا لله وصبروا في جنب الله فجزاهم الله أحسن جزاء الصابرين، إنه إذا كان يّوم القيامة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسين عليه السلام ويده على رأسه يقطر دماً، فيقول يا ربَ سل أمتي فيم قتلوا ابني.

٢- حزن علي بن أبي طالب عليه السلام:

وكان علي عليه السلام كرسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمةعليها السلام قد علم أن الله تعالى شأنه قضت حكمته أن ولده ونور عينه، وفلذة كبده، وخلاصة عمره، ونور قلبه، سيُقتل في أرض الطف غريباً مكروباً، فكان كثيراً ما يذكره ويبكيه، وربما اجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وآله يبكيانه معاً، وإليك شطراً مما وصَلنا من هذه الأخبار:

١- في الخبر المعتبر عن الصادقعليه السلام قال: لما أن هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام أخذ بيد علي عليه السلام فخلا به مليّاً من النهار فغلبتهما العبرة، فلم يفترقا حتى هبط عليهما جبرئيل – أو قال: رسول رب العالمين- فقال لهما: ربُكما يقرؤكما السلام ويقول: قد عزمتُ عليكما لما صبرتما، قال: فصبرا.

٢- ما عن الأصبغ بن نباتة قال: أتينا مع علي عليه السلام بكربلاء فنزل فيه وبكى، وقال: ههنا مناخ ركابهم، وههنا موضع رحالهم، وههنا مهراق دمائهم، فئة من آل محمد صلى الله عليه وآله يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

٣- عن الشعبي قال: مرَّ علي عليه السلام بكربلاء عند مسيره إلى صفين فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه، فقال عليه السلام: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، بأبي وأمي، ما يبكيك؟، قال صلى الله عليه وآله: كان عندي جبرئيل عليه السلام آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين عليه السلام يُقتل بشاطئ الفرات بموضع يُقال لها: كربلاء، ثم قبض جبرئيل قبضة من ترابه وشمَّمني إياه، فلم أملك عيني أن فاضتا...

٤- وفي الخبر عن ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل نينوى وهي بشط الفرات، قال بأعلى صوته: يابن عباس أتعرف هذا الموضع؟، قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي، قال: فبكى كثيراً حتى اخضلّت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكينا معاً. وهو يقول: آه آه، مالي ولآل أبي سفيان، صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم... ثم بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً...

٥- وفي كتاب سليم بن قيس عن عبد الله بن عباس، قال: دخلت على علي عليه السلام بذي قار فأخرج إليَّ صحيفةً، وقال لي: يا ابن عباس هذه صحيفة أملاها عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآلهوخطي بيدي، فقلت: يا أمير المؤمنين، اقرأها عليَّ فقرأها، فإذا فيها كل شيئ كان منذ قبض رسول

الله ﷺ إلى مقتل الحسين عليه السلام وكيف يُقتل ومن يقتله ومن ينصره ومن يستشهد معه. فبكى بكاء شديدا وأبكاني. فكان فيما قرأه علي: كيف يُصنع به عليه السلام، وكيف تستشهد فاطمة عليها السلام وكيف يستشهد الحسن ابنه عليه السلام، وكيف تغدر به الأمة. فلما أن قرأ كيف يقتل الحسين عليه السلام ومن يقتله أكثر البكاء... الحديث.

٦- وفي خبر آخر عن تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي الحنفي روى أن علياً عليه السلام عندما وصل إلى كربلاء وقف وبكى وقال: بأبي أُغيلمةٌ يُقتلون ههنا، هذا مناخ ركابهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجل، ثم ازداد بكاؤه.

٧- وفي بعض أول أيام صفين عندما أخذ جيش معاوية شريعة النهر ومنع الماء عن أهل العراق فقام فوارس العراق وفيهم الحسين عليه السلام حتى أخذو الشريعة وطردوا أهل الشام فلما وصل الخبر إلى علي عليه السلام بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام؟!، فقال: ذكرت أنه سيُقتل عطشاناً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول: الظليمة الظليمة لأمّة قتلت ابن بنت نبيّها.

٨- وورد في بعض الزيارات يخاطب الحسين متمثلاً حال مقتله يقول:... واختلفت جنود الملائكة المقرّبين تعزّي أباك أمير المؤمنين عليه السلام وأقيمت عليك المآتم في أعلا عليين.

٩- وروى شيخنا المفيد عن جويرية بن مسهر العبدي قال: لما توجهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين فبلغنا طفوف كربلاء وقف عليه السلام ناحية من العسكر، ثم نظر يمينا وشمالا واستعبر ثم قال: « هذا - والله - مناخ ركابهم وموضع منيتهم « فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضع؟ قال: « هذا كربلاء، يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب « ثم سار. فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه بالطف ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به.

٣- حزن فاطمة عليها السلام قبل ولادة الحسين:

لقد حزنت فاطمة عليها السلام على مقتل ولدها الحسين عليه السلام حتى قبل ولادته كما ورد في الأخبار المعتبرة، والأخبار في هذا المجال كثيرة، وقد تقدم بعضها، ومن الأخبار المؤثرة الكريمة ما روي بالإسناد عن جابر بن عبد الله الانصاري في حديث زفاف فاطمة عليها السلام إلى علي عليه السلام قال: فما كان إلا أن دخل رسول الله ﷺ وبيده مصباح، فوضعه في ناحية المنزل، ثم قال: يا

علي، خذ في ذلك القعب ماء من تلك المشكوة. قال: ففعلت، ثم أتيته به، فتفل فيه تفلات، ثم ناولني القعب فقال: اشرب، فشربت، ثم رددته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فناوله فاطمة عليها السلام. ثم قال لها: اشربي حبيبتي، فجرعت منه ثلاث جرعات، ثم ردته على أبيها، وأخذ ما بقي من الماء فنضحه على صدري وصدرها. ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ثم رفع يده فقال: يا رب إنك لم تبعث نبيا إلا وقد جعلت له عترة، اللهم فاجعل العترة الهادية من علي وفاطمة عليهما السلام، ثم خرج، قال علي: فبت بليلة لم يبت أحد من العرب بمثلها، فلما أن كان في آخر السحر أحسست برسول الله صلى الله عليه وآله معنا فذهبت لأنهض، فقال لي: مكانك يا علي أتيتك في فراشك رحمك الله. فأدخل النبي صلى الله عليه وآله رجليه معنا في الدثار، ثم أخذ مدرعة كانت تحت رأس فاطمة، فاستيقظت فاطمة، فبكى وبكت، وبكيت لبكائهما فقال لي: ما يبكيك يا علي، فقلت: فداك أبي وامي، بكيت وبكت فاطمة، فبكيت لبكائكما، قال: نعم أتاني جبرئيل عليه السلام، فبشرني بفرخين كريمين يكونان لك، ثم عزيت بأحدهما وعرفت أنه يقتل غريبا عطشانا، فبكت فاطمة حتى علا بكاؤها. ثم قالت: يا أبت لم يقتلوه وأنت جده، وعلي أبوه، وأنا أمه؟! قال: يا بنية، طلب الملك!!، أما إنه ليعلن عليهم سيف لا يغمد إلا على يدي المهدي من ولدك. يا علي، من أحبك وأحب ذريتك فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبه الله، ومن أبغضك وأبغض ذريتك لقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغضه الله وأدخله النار.

٤- حزن فاطمة عليها السلام بعد استشهاد الحسين عليه السلام

وحزنت فاطمة عليها السلام بعد مقتله عليه السلام وهي في السماء عند ربها، حزنت عليه أشدّ حزن حزنه أهل السماء، ووردت في ذلك أخبار كثيرة نذكر منها:

١- ورد في بعض الزيارات يخاطب الحسين عليه السلام:.... وفُجعت بك أمك فاطمة الزهراء عليها السلام واختلفت جنود الملائكة المقربين...

٢- روي أن سكينة ينت الحسين عليه السلام رأت في منامها وهي بدمشق كأن خمسة نُجُب من نور قد أقبلت وعلى كل نجيب شيخ والملائكة محدقة بهم ومعهم وصيف يمشي، قالت سكينة: فأقبل إليّ الوصيف وقرب مني، وقال: يا سكينة إن جدَّك يسلّم عليك، فقلت: وعلى رسول الله السلام يا رسول، مِن أنت؟ قال: وصيف من وصائف الجنة، فقلت: من هؤلاء المشيخة الذين جاؤوا على النُجب، قال: الأول آدم صفوة الله، والثاني إبراهيم خليل الله، والثالث موسى كليم الله والرابع عيسى روح الله، فقلت من هذا القابض على لحيته يسقط

ويقوم أخرى[١]، فقال: جدُّك رسول الله ﷺ، فقلت: وأين هم قاصدون؟ قال: إلى أبيك الحسين عليه السلام فأقبلتُ أسعى في طلبه لأعرِّفه ما صنع بنا الظالمون بعده.

فبينما أنا كذلك إذ أقبلت خمسة هوادج من نور في كل هودج امرأة، فقلت: من هذه النسوة المقبلات؟ قال: الأولى حوَّاء أم البشر، والثانية آسية بنت مزاحم، والثالثة مريم ابنة عمران، والرابعة خديجة بنت خويلد، فقلت: من الخامسة الواضعة يدها على رأسها تسقط مرة وتقوم أخرى، (ووصفتها في حديث آخر بأنها كانت عظيمة الخلقة ناشرة شعرها عليها ثياب سود)، فقال: جدَّتُك فاطمة بنت محمد ﷺ أم أبيك، فقلتُ: والله لأخبرنها ما صُنع بنا، فلحقتها ووقفتُ بين يديها أبكي وأقول: يا أمَّاه جحدوا والله حقنا، يا أمَّاه بدَّدوا والله شملنا، يا أمَّاه استباحوا والله حريمنا، يا أمَّاه قتلوا والله الحسين أبانا، فقالت: كفِّي صوتك يا سكينة فقد أحرقت كبدي وقطَّعت نياط قلبي، هذا قميص أبيك الحسين عليه السلام معي لا يفارقني حتى ألقى الله به.

٣- روى أبو بصير قال: كنتُ عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام أحدِّثه فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمَّه وقبَّله، وقال: حقَّر الله من حقَّركم، وانتقم ممَّنَ وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدِّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى عليه السلام، وقال: يا أبا بصير إذا نظرتُ إلى ولد الحسَين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخَزَنَة يسمعون بكاءها وقد استعدُّا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض، فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة عليها السلام، وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا ومن فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون الله ويتضرَّعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصِل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقلَّعت الجبال وزُلزلت الأرض بأهلها، قال أبو بصير: جعلت فداك، إن هذا الأمر عظيم، قال عليه السلام: غيره أعظم منه ما لم تسمعه، قال: يا أبا بصير أما تَحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام؟، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام عليه السلام إلى المصلَّى يدعو

(١) أقول: هذا منزلة الحزين المهموم يقوم ويسقط من شدَّة الدهشة والحزن، وكذلك كانت فاطمة عليها السلام كما سيأتي.

وخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائما وجلاً حتى أتيته عليه السلام فلما رأيته قد سكن سكنت.

أقول: معنى يسعد في قوله (فيمن يسعد فاطمة) من الإسعاد بمعنى المساعدة على النياحة يعني يعين فاطمة (عليها السلام) على النوح على فجيعتها بالحسين ، فإن المرأة كانت وما زالت إذا اصابتها المصيبة الفاجعة بفقد عزيزها ناحت ورنت فتساعدها النساء على ذلك ، فكأن الصادق عليه السلام يقول لأبي بصير : أن فاطمة صلوات الله تعالى عليها ما زالت مفجوعة ترن على فجيعتها وتنوح وتحتاج إلى من يسعدها على النوح ، فإلى الله المشتكى .

٤- وفي خبر آخر عن فاطمة عليها السلام: وإنها لتشهق شهقة فلا يبقى في السماوات ملك إلا بكى رحمةً لصوتها وما تسكن حتى يأتيها النبي صلى الله عليه وآله فيقول: يا بنية قد أبكيت أهل السماوات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكُفّي حتى يقدّسوا فإن الله بالغ أمره، وإنها لتنظر إلى من حضر منكم – أي إلى قبر الحسين عليه السلام – فتسألَ الله لهم من كل خير...

٥- وفي خبر آخرِ عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نُصبَ لفاطمة عليها السلام قبَّة من نور، ويُقبل الحسين عليه السلام ورأسه في يده، فإذا رأته شهقت شهقة لَا يبقى في الجمعَ ملك مقرب ولاَ نبي مرسل إلا بكى لها...

وهذه الحادثة المهولة يرويها بتفصيل مذهل خبرٌ آخر عن الصادق عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة ينصبِ الله سرادقاً من نور بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله والخلائق حاضرون، ثم ينادي مناد: معشرَ الناس، غُضُوا أبصاركم فإن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وآله تريد أن تجوز السرادق، فيغضُّون أبصارهم، فإذا هي مقبلة، فإذا وضعت رجلها في السرادق نوديت يا فاطمة، فتلتفت، فترى ولدها الحسين عليه السلام واقفاً بجانبها من غير رأس، فتصرخ صرخة لا يبقى لها ملك مقرَّب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه، وخرَّ مغشياً عليها، ثم إنها تفيق من غشيتها فتجد الحسين عليه السلام يمسح وجهها بيديه ورأسه قد عاد إليه...

٦- وفي خبرِ آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كانت يوم القيامة جاءت فاطمة عليها السلام في لمَّة من نسائها، فيُقال لها: ادخلي الجنة، فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صُنع بولدي من بعدي، فيُقال لها: انظري في قلب القيامة، فتنظر إلى الحسين صلوات الله عليه قائما ليس عليه رأس، فتصرخ صرخة، فأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخنا، فيغضب الله عز وجل لنا عند ذلك فيأمر ناراً يُقال لها: هبهب، قد أُوقد عليها ألف عام حتى اسودت لا يدخلها روح

أبداً ولا يخرج منها غم أبداً، فيُقال لها: التقطي قتلة الحسين عليه السلام، فتلتقطهم، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة ذلقة طلقة: يا ربنا لم أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان، فيأتيهم الجواب عن الله عزَّ وجلّ: إن من علم ليس كمن لم يعلم.

وقد جاءت أخبار أخرى تصف فاطمة عليها السلام يوم القيامة وهي تحمل ثيابا مصبوغة بالدماء فتتعلق عليها السلام بقائمة من قوائم العرش تقول: يا عدل أحكم بيني وبين قاتل ولدي، فيحكم الله تعالى لفاطمة عليها السلام.

وممن روى هذا الخبر الإمام العامي الموفق الخوارزمي الحنفي، روى في كتابه مقتل الحسين عليه السلام بإسناده عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثني أبي، أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام يوم القيامة، ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: يا عدل، يا جبار أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فيحكم الله لابنتي ورب الكعبة[١].

وفي خبر آخر يبيّن أن الحسين عليه السلام يكون بلا رأس ورأسه في يده وأوداجه تشخب دماً وهو يقول يا رب خذ لي اليوم حقي ممّن ظلمني.

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا كان يوم القيامة تُقبل فاطمة عليها السلام على ناقة من نياق الجنة وبيدها قميص الحسين عليه السلام ملطخٌ بدمه، فتصرخ وتزج نفسها عن الناقة وتخر ساجدة لله عز وجل وتقول: إلهي وسيدي ومولاي إحكم بيني وبين من قتل ولدي الحسين عليه السلام، فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل: يا حبيبتي وابنة حبيبي إرفعي رأسك فوعزتي وجلالي لأنتقمن اليوم ممن ظلمك وظلم ولدك، ثم يأمر بجميع من حضر قتل الحسين ومن شارك في قتله الى النار.

وروي عن آل البيت عن النبي صلوات الله عليهم انه قال: إذا كان يوم القيامة تأتي فاطمة الزهراء عليها السلام على ناقة من نياق الجنة خطامها من لؤلؤ رطب، وقوائمها من زمرد أخضر، وذنبها من مسك أذفر، وعينيها من ياقوت أحمر، وعليها قبّةٌ من النور يُرى باطنها من ظاهرها، وداخلها عفو الله خارجها عليها رحمة الله، وعلى رأسها تاج من النور، وله سبعون ركنا، كل ركن مرصع بالدر والياقوت يضيء كما تضيء الكواكب في أفق السماء، وعن يمينها سبعون

(١) مقتل الخوارزمي ج١ص٩٠ح٣.

ألف ملك، وعن يسارها مثلهم، وجبرئيل آخذٌ بخطام الناقة وهو ينادي بأعلى صوته غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة عليها السلام، فيغضون أبصارهم حتى تجاوز عرش ربها وتجز نفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي ومولاي أحكم بيني وبين من ظلمني وقتل ولدي، فإذا النداء من قبل الله تعالى: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطي، واشفعي تشفَّعي، فوعزتي وجلالي لا يجاوزني ظلم ظالم، فتقول: إلهي وسيدي ومولاي ذريتي وشيعتي وشيعة ذريتي، فإذا النداء من قبل الله تعالى: أين ذرية فاطمة وشيعتها وشيعة ذريتها ومحبوها ومحبوا ذريتها؟، فيقولون وقد احاطت بهم ملائكة الرحمن: ها نحن يا ربنا، فتقودهم فاطمة حتى تدخلهم الجنة وهي آخذة بقميص الحسين عليه السلام وهو ملطخ بالدم، وقد تعلقت بقوائم العرش، وهي تقول: يا رب احكم بيني وبين قاتل ولدي الحسين فيؤخذ بها ويقال لها: ويل لمن شفعاؤه خصماؤه.

٥- حزن الحسن بن علي عليه السلام:

ولا ريب أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام حاله في الدنيا والآخرة في الحزن والبكاء على أخيه الحسين عليه السلام هو حال جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وحال أبيه المرتضى عليه السلام وحال أمه الزهراء عليها السلام، إلا أن الأخبار الواردة في بيان حاله صلوات الله عليه شحيحة، ونتبرك بذكر الخبر المعتبر الذي رواه الصدوق في أماليه بسنده عن الصادق عليه السلام قال:

إن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوما إلى أخيه الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله، قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يُؤتى إليَّ سمٌ يُدَسُّ إليَّ فأُقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدَّعون أنهم من أمّة جدّنا محمد صلى الله عليه وآله ويَنتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتكَ وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أميَّة اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار.

وفي خبر آخر عن علي عليه السلام قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) إذ التفت إلينا فبكى، فقلتُ: ما يبكيك يا رسول الله، فقال: أبكي مما يصنع بكم بعدي، فقلت: وما ذاك يا رسول الله، قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة عليها السلام خدّها، وطعنة الحسن عليه السلام في الفخذ والسم الذي يسقى، وقتل الحسين عليه السلام قال: فبكى اهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول الله، ما خلقنا ربنا إلا للبلاء، قال صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي، فإن الله قد عهد إليّ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

٦- حزن زينب بنت علي عليها السلام:

زينب وما أدراك ما زينب، لعمري لقد ابتليت بما لا تحتمله الجبال فاحتملته صابرة محتسبة، صلوات الله عليها.

زينب العقيلة المصونة العزيزة الشريفة العفيفة ربيبة البيت المقدَّس، أبوها علي وأمها الزهراء وأخواها الحسن والحسين وجدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا هو النسب الأعلى الذي لا تطمح إلى مثله الآمال مهما علت.

زينب هذه حزنت وبكت وندبت وشقّت جيبها ولطمت وجهها وضربت رأسها ونادت بالويل والثبور نداء لا يتصوّره مسلم إلا اغرورقت عيناه بالدموع وجَلَّل قلبه الخضوع، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وسنذكر بعض مواقف الحزن التي تعرّضت لها زينب عليها السلام.

١- في عصر اليوم التاسع من المحرم نادى عمر بن سعد لعنه الللہ بجيشه: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري!!

زحفوا نحو معسكر الحسين عليه السلام وهو جالس أمام خيمته محتب بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، لما سمعت زينب عليها السلام الضجَّة دنت من أخيها، فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟!، فرفع الحسين عليه السلام رأسه وقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله الساعة في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، فلطمت زينب وجهها ونادت بالويل، فقال الحسين عليه السلام: ليس لك الويل يا أخيّة، اسكني رحمك الله.

٢- روى الشيخ المفيد عن زين العابدين عليه السلام قال: إني لجالس في تلك العشية التي قُتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب عليها السلام تمرّضني إذ اعتزل أبي عليه السلام في خباء وعنده جوين مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويُصلحه وأبي يقول:

يا دهر أفٍ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
إنما الأمر إلى الجليل ... وكل حي سالك سبيلي

فأعادها مرَّتين أو ثلاثاً حتى فهمتُ وعرفتُ ما أراد، فخنقتني العبرةُ فرددتها ولزمتُ السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمّتي زينب عليها السلام فلما سمعتُ ما سمعتُ وهي امرأة — ومن شأن النساء الرّقة والجزع — فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة عليها السلام وأبي علي عليه السلام وأخي الحسن عليه السلام، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أخيَّة لا يذهبنَّ بحلمك الشيطانُ، وترقرقت عيناه بالدموع، وقال: لو تُرك القطا لنام، فقالت: يا ويلتاه، أفتغتصبَ نفسك اغتصاباً!! فذاك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ثم لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقَّتهُ وخرّت مغشيا عليها....

٣- عند استشهاد علي الأكبر بن الحسين عليه السلام في أرض كربلاء خرجت زينب عليها السلام إليه خروج الوالهة، يصف حميد هذا المشهد بقوله: كأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة، تنادي: بالويل والثبور، وتقول: يا حبيباه، يابن أخاه، يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه. فسألت عنها، فقالوا: هذه زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم جاءت حتى انكبت عليه.

٤- وعندما خرَّ الإمام الحسين عليه السلام من سرج فرسه إلى الأرض أقبل فرسه نحو المخيَّم يصهل ويحمحم، فخرجت زينب عليها السلام من فسطاطها واضعة عشرة أصابعها على رأسها.

وهي تنادي: وآخاه واسيد أهل بيتاه.

ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل... ثم نادت الجيش الملعون فقالت: ويلكم أما فيكم مسلم.

٥- وعندما استشهد الحسين عليه السلام وسُبيت نساء محمد صلى الله عليه وآله ومرَّت زينب بجسد أخيها عليه السلام صرخت بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسينك بالعراء، مرمَّل بالدماء، مقطَّع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى...

وقد تقدم بيان هذا النداء بطوله حتى أبكت كل عدو وصديق.

٦- وعندما كانت السبايا في الكوفة وكانت أم كلثوم تلقي كلمتها في أهل الكوفة أُحضرت قافلة الرؤوس فنظرت زينب عليها السلام ناحية الرؤوس المرفوعة على الرماح فلاح لها رأسَ أخيها الحسين عليه السلام فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى خرج الدم غزيراً من تحت قناعها، وأومأت إلى رأس أخيها عليه السلام بخرقة بيدها وأنشدت أبياتاً موجعة قدمنا سردها.

٧- وعندما أدخلت السبايا إلى مجلس يزيد نظرت زينب عليها السلام فرأت رأس أخيها موضوعاً، فلم تتمالك أن رفعت بيدها ثم أهوت إلى جيبها فشقّته ثم نادت بصوت حزين: يا حسيناه...... فأبكت كل من كان في المجلس.

٧-تشريد زينب عليها السلام إلى مصر:

واستمرت زينب عليها السلام هذا حالها بكاء ونحيب ولطم وندب ونشيد، في كربلاء، في الكوفة، أثناء الطريق، في الشام، في طريق العودة، في مدينة جدها حينما عادت وأنشدت قصيدتها لجدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، واستمرت كذلك في المدينة حتى أصبح وجودها ثقلاً على السلطان الأموي، فيروى أن والي المدينة كتب إلى يزيد لعنه الله: إن وجود زينب بين أهل المدينة مهيج للخواطر، وإنها فصيحة عاقلة لبيبة، وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين عليه السلام.

عندما وصل هذا الكتاب إلى يزيد أمر بإخراجها عليها السلام من المدينة فتقيم حيث تشاء، فخرجت عليها السلام إلى مصر، ويروى أنها وصلت مصر أول شعبان سنة ٦١ هجرية أي بعد عاشوراء بأكثر من سبعة أشهر، والله العالم.

ويروى أنها بقيت في مصر وتوفيت هناك في رجب سنة ٦٢ هجرية، ولها هناك قبر مشهور يزوره ويتبرك به أهالي تلك البلاد.

أقول: هذا الخبر عثرت عليه في بعض كتب المعاصرين، ولم أروه عن كتب علمائنا الأقدمين رضوان الله تعالى عليهم ولا في كتب المؤرخين القدماء.

٨- حزن الإمام زين العابدين عليه السلام:

أما إمامنا السجاد علي بن الحسين عليه السلام فقد كان عظيم البكاء طويل العبرة، وما زال يبكي حتى عدُّوه في البكائين الخمسة[1] في الدنيا منذ أيام آدم عليه السلام.

١: كان عليه السلام إذا ذكر الحسين عليه السلام بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه من يراه رحمة له، ويروى أنه عليه السلام كان يبكي حتى يغمى عليه في اليوم مرة أو مرتين.

٢: وفي الخبر أن علي بن الحسين عليه السلام بعد عودته من كربلاء كره مخالطة الناس وملابستهم فاتَّخذ منزله في البادية بيتاً من شعر أقام في هذا البيت المنعزل سنين عدّة، وكان يصير من

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: البكاؤون الخمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين عليه السلام.

البادية إلى العراق زائراً لأبيه الحسين ﷺ ولجدّه علي ﷺ لا يرافقه أحد من ذي روح إلا ولده محمد الباقر ﷺ والناقتان، فيذهبان ويرجعَان ولا يشعر بهما أحد صلوات الله عليهما، وكان إذا زار أباه بكى حتى تخضل لحيته بالدموع.

٣: واستمر علي بن الحسين ﷺ يبكي على أبيه الحسين بن علي ﷺ طوال عمره ما يقرب من أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه ويقول: كل يا مولاي، فيقول ﷺ: قُتل ابن رسول الله ﷺ عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه وشرابه من دموعَه.

٤: لم يزل هذه سيرته حتى لحق بالله عز وجل، وقال له أحد مواليه: جعلت فداك يا بن رسول الله ﷺ إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال ﷺ: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة ﷺ إلا خنقتني العبرة.

٥: ويروي أحد مواليه أنه برز يوماً إلى الصحراء (وفي خبر آخر إلى سقيفة له) فوجده ساجداً على حجارة خشناء قال: تبعته فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصيت عليه ألف مرة: لا إله إلا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلا الله تعبّداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلَّ، فقال لي: ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ كان نبياً ابن نبي كان له اثنا عشر ابنا فغيَّب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيٌّ في دار الدنيا، وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي، ثم بكى بكاء شديدا وجعل يقول:

ان الزمان الذي قد كان يضحكنا ... بقربهم صار بالتفريق يبكينا
خَلَت لفقدهم أيامُنا فغدت ... سوادا وكانت بهم بيضا ليالينا
فهل ترى الدار بعد البعد آنسة ... أم هل يعود كما قد كان نادينا
يا ظاعنين بقلبي أينما ظعنوا ... وبالفؤاد مع الأحشاء داعينا
ترفقوا بفؤادي في هوادجكم ... نقدته يوم راحت من أراضينا

فوالذي حجت الركبان كعبته ومن إليه المطايا الكل ساعينا
لقد جرى حبكم مجرى دمي فدمي من الفراق جرى سؤلا لبارينا

٦: وكان اذا أخذ إناءً ليشرب الماء بكى حتى يملأ الإناء دمعاً، فقيل له في ذلك، فقال: وكيف لا أبكي وقد منِع أبي من الماءِ الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش.

٧: وقيل له: إنك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال: نفسي قتلتها وعليها أبكي.

٨: وفي الخبر المقبول عن زين العابدين عليه السلام أنه نظر إلى عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أُحُد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمّة كلٌّ يتقرَّب إلى الله عز وجل بدمه وهو بالله يذكّرهم فلا يتّعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً، ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنَّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

٩: وكان علي بن الحسين (عليهما السلام) يميل الى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل الى بني عمك هؤلا دون آل جعفر، فقال: اني اذكر يومهم مع ابي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) فأرق لهم.

٩- حزن الإمام الباقر عليه السلام:

ولا ريب أن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام كان عظيم الحزن والبكاء على جده أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وما له لا يكون كذلك وقد تكحلت عيناه بمشهد واقعة الطف إذ كان فيها صغيراً له من العمر ثلاث سنوات كما ذكرت بعض الأخبار، وما له لا يكون كذلك وهو يرى سيرة أبيه زين العابدين عليه السلام الذي ما انفك عن البكاء يوماً، إلا أن الأخبار التي عثرت عليها في هذا المجال قليلة منها:

١- ما روي ان الكميت شاعر أهل البيت عليهم السلام قدم إلى المدينة وأنشد الباقر عليه السلام ميميته فلما بلغ قوله:

وقتيل بالطف غودر منهم　　　　بين غوغاء أمَّة وطغام

بكى الإمام عليه السلام ثم قال: يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال الرسول صلى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت.

٢- وروى أبو القاسم الخزاز القمي بإسناده عن الورد بن الكميت، عن أبيه الكميت بن أبي المستهل قال: دخلت على سيدي ابى جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، فقلت: يا ابن رسول الله اني قد قلت فيكم أبياتا أفتأذن لي في انشادها. فقال: انها أيام البيض. قلت: فهو فيكم خاصة. قال: هات، فأنشأت أقول:

أضحكني الدهر وأبكاني　　　　والدهر ذو صرف وألوان

لتسعة بالطف قد غودروا　　　　صاروا جميعا رهن أكفان

فبكى عليه السلام وبكى أبو عبد الله وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء، فلما بلغت الى قولي:

وستة لا يجارى بهم　　　　بنو عقيل خير فتيان

ثم علي الخير مولاكم　　　　ذكرهم هيَّج أحزاني

فبكى عليه السلام ثم قال: ما من رجل ذَكَرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينيه ماء ولو قدر مثل جناح البعوضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة وجعلَ ذلك حجابا بينه وبين النار.

فلما بلغت الى قولي:

من كان مسرورا بما مسَّكم　　　　أو شامتا يوما من الآن

فقد ذللتم بعد عز فما　　　　أدفع ضيما حين يغشاني

أخذ بيدي وقال: اللهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلما بلغت الى قولي:

متى يقوم الحق فيكم متى　　　　يقوم مهديّكم الثاني

قال عليه السلام: سريعا إن شاء الله سريعا، ثم قال: يا أبا المستهل إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين، لأن الائمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر وهو القائم.. الحديث.

٣- وحدث صاعد مولى الكميت قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فانشده الكميت قصيدته التي أولها: من لقلب متيم مستهام. فقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت، قال: ودخل يوما عليه فاعطاه ألف دينار وكسوة فقال له الكميت: والله ما جئتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يده ولكنني جئتكم للآخرة، فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأما المال فلا أقبله ورده وقبل الثياب.

١٠- حزن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

ولا غروَ أن يكون الإمام الصادق على سنَّة آبائه الماضين الصادقين الطاهرين لا يذكر جدَّه الحسين عليه السلام إلا واستعبر، وهو الناقل عنَ جده أنه قال عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى...

هكذا كان الصادق عليه السلام إذ ذكر جده الحسين عليه السلام بكى وقد رُوي عنه في ذلك أخبار عديدة منها:

١- الخبر المعتبر عن ابن خارجة قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الحسين بن علي عليه السلام فبكى أبو عبد الله عليه السلام وبكينا.

٢- وروى محمد بن علي الشجري وابن قولويه بالإسناد المعتبر عن محمد بن الحسين بن كثير الخزاز (عن أبيه)، عن هارون بن خارجة قال: كنت عند أبي عبد الله فذكر الحسين عليه السلام فبكى وبكيت، فقال أبو عبد الله: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، فلا يذكرني مؤمن الا بكى، قال: فقلت له: ما لمن أتى قبره عارفا بحقه لا يريد بذلك الا وجه الله والدار الاخرة؟ فنكت في الارض ثلاثا ثم رفع رأسه فقال: يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم قال له: أتعلم يا هارون بن خارجة أن الله سبحانه وكل بقبر الحسين سبعين ألف ملك شعثا غبرا يبكونه إلى أن تقوم الساعة ويشهدون لمن زاره بالموافاة عند رب العالمين.

٣- قال أبو عمارة المنشد: ما ذُكر الحسين بن علي عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرُئِي أبو عبد الله عليه السلام مبتسماً في ذلك اليوم إلى الليل.

٤- دخل أبو عمارة المنشد على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي عليه السلام قال: فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار، قال: ثم قال لي: يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين بن علي عليه السلام،

قال: فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار، قال: فقال لي: يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين بن علي عليه السلام فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعرا فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى واحدا فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فتباكى فله الجنة.

٥- ودخل عليه جعفر بن عثمان الطائي فقرَّبه وأدناه، ثم قال: يا جعفر، قال: لبيك، جعلني الله فداك، قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد، فقال له: نعم، جعلني الله فداك، قال: قل، فأنشده، فبكى وبكى من حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال عليه السلام: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقرَّبون ههنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر... الحديث.

٦- وعن عبد الله بن غالب قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين بن علي عليه السلام، فلما انتهيت إلى هذا الموضع:

لبليّة تسقو حسيناً بمسقاة الثرى غير التراب

صاحت باكية من وراء الستر: يا أبتاه.

٧- وعن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال عليه السلام: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيَّة

قال: فلما بكى عليه السلام أمسكت أنا، فقال عليه السلام: مر، فمررت، قال: ثم قال عليه السلام: زدني، فأنشدته:

يا مريم قومي واندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببكاك.

قال: فبكى وتهايج النساء...

٨- ويروي الثقة الجِليل عبد الله بِن سنان قال: دخلت على سيدي أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، ممَّ بكاؤك لا أبكى الله عينيك؟، فقال عليه السلام: أوفي غفلة أنت، أما علمت أن الحسين بن علي عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم.... إلى أن قال: في مثل هذا

الوقت (أي بعد العصر بساعة) تجلَّت الهيجاء عن آل رسول الله ﷺ وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً يعز على رسول الله ﷺ مصرعهم، ولو كان في االدنيا يومئذ لكان ﷺ هو المعزَّى بهم، قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتى اخضلّت لحيته بالدموع... الحديث.

٩- ويروي أبو بصير قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمّه وقبّله، وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممَّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصرا، فقد طال بكاء السماء، وبكاء الأنبياء، وبكاء الصدّقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أوتي إلى أبيهم وإليهم...

١٠- ودخل عليه السيد الحميري فأقعد عليه السلام حُرَمَه خلف الستر واستنشده، فأنشد:

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

آأعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة رويَّة

وإذا مررت بقبره فأَطِل به وقفَ المطيّة

وابكِ المطهر للمطهر والمطهرة النقية

كبكاء معولة أتت يوماً لواحدها المنية

قال الراوي: فرأيت دموع جعفر بن محمد عليه السلام تتحدَّر على خديه، وارتفع الصراخ من داره....

١١- وكان الإمام الصادق عليه السلام إذا شرب الماء ذكر الحسين عليه السلام وبكى، ففي الخبر المروي عن داود الرقّي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، فما أنغص ذكر الحسين عليه السلام للعيش، إني ما شربت ماءً بارداً إلا وذكرتُ الحسين عليه السلام، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة الف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد وأبلج الوجه.

١٢- وروى شيخنا الكليني بإسناده عن سفيان بنِ مصعب العبدي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: قولوا لأم فروة تجيئ فتسمع ما صنع بجدها، قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثم قال: أنشدنا، قال: فقلت:

فرو! جودي بدمعك المسكوب

قال: فصاحت وصحن النساء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الباب الباب فاجتمع أهل المدينة على الباب قال: فبعث إليهم أبو عبد الله عليه السلام: صبي لنا غشي عليه فصحن النساء.

١٣- ويروى عن محمد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد في أيام التشريق، فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك! قال: انها أيام عظام. قال: إنها فيكم. قال: هات، وبعث أبو عبد الله الى بعض أهله فقرب ما أنشده، فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم　　فيا آخر أسدى له الغي أوله

فرفع أبو عبد الله يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدَّم وما أخَّر، وما أسر وما أعلن، وأعطه حتى يرضى.

١٤- وروي بإسناد معتبر عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكة، فقلت: يا بن رسول الله مالي أراك كئيبا حزينا منكسرا، فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسألتي، قلت: فما الذي تسمع، قال: ابتهال الملائكة الى الله عز وجل على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليهما السلام، ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتهنأ مع هذا بطعام أو بشراب أو نوم.

١١- حزن الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

يعلم الجميع أن الإمام الكاظم عليه السلام كان غرضاً للبلاء يمسي ويصبح فيه، فقد قضى شطراً عظيماً من حياته المقدَّسة في سجون الطواغيت ينقلونه من سجن إلى سجن.

لم تمنعه مصيبته أنِ يكون مصاباً بجده الحسين عليه السلام حتى قال الرضا عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام.

١٢- حزن الإمام الرضا عليه السلام:

١- الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام هو القائل:... إن يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأوْرَثَنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون....

٢- وأنشده الشاعر إبراهيم بن عباس قصيدته التي يقول فيها:

أزال عزاء القلب بعد التجلّد　　مصارع أولاد النبي محمد

فبكى الإمام عليه السلام وبكى من في مجلسه.

٣- ودخل عليه دعبل الخزاعي فأنشده قصيدته التائية العظيمة وفيها:

مدارسُ آياتٍ خَلَت من تلاوة　　ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصات

سأبكيهم ما ذرَّ في الأرض شارقٌ　　ونادى مناد الخير للصلوات

أرى فيئَهم في غيرهم متقسِّما　　وأيديهم من فيئهم صفرات

فبكى الرضا عليه السلام، وبكت معه النسوة والأطفال، وهذه القصيدة من محاسن قصائد الرثاء.

٤- جاء في الخبر المعتبر عن الريان بن شبيب قال: دخلتُ على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا بن شبيب أصائم أنت، فقلت: لا، فقال عليه السلام: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه ذكريا عليه السلام ربه عز وجل فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام، ثم قال عليه السلام: يا بن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا ابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي عليه السلام فإنه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد

قُتل فهم عند قبره شُعثٌ غُبرٌ إلى أن يقوم القائم ﷻ، فيكونون من أنصاره وشعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام أنه لما قُتِل الحسين جدّي صلوات الله عليه مطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يا ابن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أم كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب، إن سرَّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النبي وآله صلوات الله عليهم فالعن قتلة الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب، إن سرَّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا ابن شبيب، إن سرَّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

٥- روى أبو بكار، قال: أخذت من التربة التي عند رأس الحسين بن علي عليه السلام، فإنها طينة حمراء، فدخلت على الرضا عليه السلام فعرضتها عليه، فأخذها في كفه ثم شمها ثم بكى حتى جرت دموعه، ثم قال: هذه تربة جدي.

١٣- حزن الإمام الجواد عليه السلام:

وفي الخبر عن عبد العظيم الحسني أنه قال للجواد عليه السلام: فقد تحيَّرت بين زيارة قبر أبي عبد الله وبين زيارة قبر أبيك بطوس، فما ترى؟ فقال لي: مكانك، ثم دخل وخرج ودموعه تسيل على خديه، فقال: زوار أبي عبد الله عليه السلام كثيرون وزوار قبر أبي بطوس قليلون.

١٤- حزن بقية الأئمة عليهم السلام:

ما زال أئمة الهدى عليهم السلام شعارهم الحزن والبكاء على فاجعة سيد الشهداء عليه السلام، وهذا أمر نعلمه من أوامرهم ومواعظهم وإرشاداتهم وإن لم اعثر على مواضع بعينها نقلت عنهم أنهم تفجّعوا وبكوا على الحسين عليه السلام، ولا ريب أن شح الأخبار عنهم في هذا المجال إنما كان

بسبب الحصار المضروب عليهم، وعظيم التقية في أيامهم، وقلّة اتصال الشيعة بهم.

١٥- حزن الإمام القائم عليه السلام:

وأما إمامنا القائم عليه السلام فقد خرج من ناحيته زيارته المشهورة العظيمة التفجع والتي يقول فيها بعد تكرار السلام كثيرا...:

السلام عليك سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك، البريء من أعدائك.

سلام مَن قلبُه بمصابك مقروح، ودمعُه عند ذكرِك مسفوح، سلام المفجوع الحزين، الواله المستكين، سلام من لو كان معك بالطفوف لوَقاك بنفسه حدَّ السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده وماله وولده وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء.

فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنَّك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك، وتأسفاً على ما دهاك، وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب وغصَّة الاكتئاب.

أقول: هل يمكن لأحد أن يأتي بعبارات تدل على الجزع والتفجُّع أوضح وأبين وأشد من هذه العبارات المفجعة والمذهلة، ومن ذا الذي يمكنه مهما عظم حزنه ومصيبته أن يبكي بدل الدموع دماً إلا رجل استثنائي أصيب بمصاب استثنائي، حشرنا الله مع البكَّائين على الحسين عليه السلام ومع أنصار الحسين عليه السلام وتحت لواء الحسين عليه السلام، آمين رب العالمين.

الباب الرابع

حزن الهاشميين

١- وصول خبر الفاجعة إلى المدينة:

روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه ثم تمرَّغ ثم طار فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين عليه السلام – وهي الصغرى- فرفعت برأسها فنظرت إليه فبكت بكاء شديداً، وأنشأت تقول:

نعب الغراب، فقلت: من تنعاه ويلك يا غراب

قال: الإمام، فقلت: من؟ قال: الموفَّق للصواب

إن الحسين بكربلا بين الأسنة والحراب

فابكي الحسين بعبرة ترجي الإله مع الثواب

قلت: الحسين؟ فقال لي: حقاً لقد سكن التراب

ثم استقل به الجناح فلم يطق ردَّ الجواب

فبكيت مما حلَّ بي بعد الدعاء المستجاب

فقال محمد بن علي عليه السلام (هو المعروف بابن الحنفية): فنعته لاهل المدينة، فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطلب، فما كان بأسرع أن جاءهم الخبر بقتل الحسين عليه السلام.

٢- وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله:

روى أحمد بن حنبل في المسند كما روى غيره عن ابن عباس قال:

بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي وهي

تقول: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي، فقد قُتل سيدُكن، وسيد شباب اهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله ﷺ وريحانته الحسين عليه السلام.

فأقبل عليها أهل المدينة الرجال والنساء وفيهم ابن عباس وهو أعمى البصر يقوده قائد إلى منزِلها، فقال لأم سلمة: ومن أين علمت ذلك؟، قالت: رأيت رسول الله ﷺ الساعة في المنام شَعثاً مذعوراً، فسألته عن ذلك، فقال: قتل ابني الحسين عليه السلام وأهل بيته فدفنته، والساعة فرغت مَن دفنهم.

قالت أم سلمة: فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين عليه السلام التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دما فقد قتل ابنك، وكان النبي ﷺ قد أعطانيها وقال لي: اجعلي هذه التربة في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دما عبيطا فقد قتل الحسين عليه السلام، فرأيت القارورة الآن وقد صارت دما عبيطا تفور. قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطّخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحةً على الحسين عليه السلام.

وفي خبر آخر أن أم سلمة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ منذ مضى إلا الليلة فرأيته ﷺ شاحباً كئيباً، فقلت له: ما لي أراك يا رسول الله ﷺ شاحباً كئيباً، قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين عليه السلام وأصحابه عليه وعليهم السلام.

وفي خبر ثالث أن ام سلمة رأت النبي ﷺ في منامها وعلى رأسه ولحيته أثر التراب، قالت: ما لك يا رسول الله ﷺ مغبراً، فقال ﷺ: وثب الناس على ابني فقتلوه، وشهدت قتل الحسين عليه السلام آنفاً وقد شهدته قتيلاً الساعة.

أقول: وكان رسول الله ﷺ في أيام حياته قد جاءه جبرئيل عليه السلام وأخبره أن الأمة تقتل ابنه الحسين عليه السلام، وأعطاه من تربة مقتل الحسين عليه السلام، فأعطى رسول الله ﷺ هذه التربة إلى زوجته أم سلمة وقال لها: اجعليها في زجاجة فلتكن عندك فإذا صارت دماً فقد قتل الحسين عليه السلام.

قالت ام سلمة: بعد أن رأيت المنام، فاقشعر جلدي فوثبت إلى قارورة التربة فرأيت القارورة الآن قد صارت دماً عبيطاً يفور، فأخذت ذلك الدم فلطّخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام.

وفي الخبر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: إن هذه التربة ما زالت عندهم.

ويروى أن أم سلمة لما علمت بمقتل الحسين عليه السلام قالت: ملأ الله بيوت القاتلين وقبورهم ناراً ثم بكت حتى غشي عليها.

ثم إن أم سلمة قامت فضربت قبَّة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست فيها ولبست سوادا حزنا على الحسين عليه السلام، وشرع الناس يعودونها يعزونها بالحسين صلى الله عليه وآله، ولم يمض عليها كثير وقت على ذلك حتى ماتت.

٣- وعبد الله بن عباس:

وفي الخبر الذي رواه العامة بالأسانيد القوية عن ابن عباس أنه في الليلة القابلة بعد أن رأت أم سلمة منامها رأى ابن عباس أيضاً في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أشعث أغبر وفي يده قارورة دم، فسأله عن شأنه، فقال له: ألم تعلم أني فرغت من دفن الحسين عليه السلام وأصحابه، وسأله عن قارورة الدم، فقال صلى الله عليه وآله: دم الحسين عليه السلام لم أزل التقطه منذ اليوم.

٤ - بشير السلطان:

وأما عبيد الله بن زياد لعنه الله تعالى فإنه كان قد أعلن الأفراح في الكوفة وبذل للناس ما يفرحون به، وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: جُدِّدت أربعة مساجد بالكوفة فرحا لقتل الحسين عليه السلام هي مسجد الاشعث، ومسجد جرير، ومَسجد سماك، ومسجد شبث بن ربعي.

وكان ابن زياد قد أرسل عبد الملك ابن ابي الحارث السلمي وأمره أن ينطلق إلى المدينة وأميرها عمرو بن سعيد بن العاص وأن يبشّره بقتل الحسين عليه السلام، وقال له: إنطلق حتى تأتي المدينة ولا يسبقك الخبر، وأعطاه دنانير، وقَال: لا تعتل وإن قامت بك راحلتك فاشتر راحلة، فطار عبد الملك براحلته نحو المدينة فلما وصلها لقيه رجل من قريش فقال له: ما الخبر، فقال له: الخبر عند الأمير تسمعه، فلما وصل إلى الأمير عمرو بن سعيد ودخل عليه، قال الأمير: ما وراءك؟ فقال: ما سرَّ الأمير، قتل الحسين بن علي عليه السلام، فقال الأمير: أخرج فناد بقتله، فخرج ينادي في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله يبشِّر المسلمين بقتل الحسين عليه السلام!!!.

عند هذا النداء ارتفعت الصيحة في أرجاء المدينة، وكانت الواعية العظمى هي واعية بني هاشم في دورهم حتى قال عبد الملك هذا: والله لم أسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في

دورهم على الحسين بن علي عليه السلام حين سمعوا النداء بقتله.

ثم بعد أن فرغ المنادي رجع إلى الأمير فلما رآه تبسَّم إليه ضاحكا ثم قال:

عجَّت نساء بني زياد عجةً   كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ثم قال: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان، ثم التفت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يوم بيوم بدر يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنكر عليه قوم من الأنصار، ثم صعد المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين عليه السلام ودعا ليزيد.

فقام عبد الله بن السائب فقال: لو كانت فاطمة عليها السلام حية فرأت رأس الحسين عليه السلام لبكت عليه، فجبهه عمرو بن سعيد وقال: نحن أحق بفاطمة عليها السلام منك، أبوها عمُّنا، وزوجها أخونا، وابنها ابننا، لو كانت فاطمة عليها السلام حية لبكت عينها وحرَّت كبدها وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه.

أقول: لعنه الله من فاجر كاذب، وقد كان هذا المنطق المرذول هو منطق الأمويين ينشرونه بين الناس، وقد ساد دهراً طويلاً في أمة محمد صلى الله عليه وآله، يدَّعون —وهم كاذبون فاجرون— أن الحسين عليه السلام بغى على الولاة، فقُتِل بسيف الحق، فمحمد صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام —وإن أحزنهم قتله- لا يلومون من قتله.

٥- حزن بني هاشم:

كان بنو هاشم قد شعروا بالفاجعة من حين خروج الحسين عليه السلام بعياله من المدينة حتى كأنهم أيقنوا بمقتله واستشهاده عليه السلام، ولذلك لما همَّ الحسين عليه السلام بالشخوص من المدينة أقبلت نساء عبد المطلب للنياحة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال: أنشدكنَّ الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، فقالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم، فننشدك الله — جعلنا الله فداك من الموت — يا حبيبِ الأبرار من أهل القبور، وأقبلت عليه بعض عمّاته تبكي وتقول: أشهد يا حسين لقد سمعتُ الجنَّ ناحت بنوحك وهم يقولون:

فإن قتيل الطف من آل هاشم   أذل رقابا من قريش فذُلت

حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يك فاحشاً   أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت

ولهذا فإن بني هاشم كانو (ومن حين خروج الحسين عليه السلام من المدينة) على وجل ينتظرون وصول الخبر بمقتله، واستمر الحزن والبكاء والعويل ملازماً لنساء آل البيت وبني هاشم سواء منهن من بقي في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله أم من لحقت منهن بسيدهن الحسين بن علي عليه السلام.

أما نساء القافلة فلطالما لطمن الخدود وشققن الجيوب في الطريق إلى كربلاء متوقعين الشهادة، وقد ذكر المؤرخون حوادث، نذكر منها:

١- عندما كان الحسين عليه السلام يردد: يا دهر أف لك من خليل... وسمعته زينب عليها السلام ونادت بندائها المحزن الذي قدمناه فاجتمعت النسوة وبكين ولطمن الخدود، وشققن الجيوب ونادت أم كلثوم بنت علي عليه السلام: وامحمداه، واعلياه، واأماه، واحسناه، واحسيناه، واضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله...

٢- وفي ليلة العاشر دخل الحسين عليه السلام خيمة أخته زينب عليها السلام فقالت له: هلا استعلمت من أصحابك ثباتهم، فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة، فقال عليه السلام: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه، وكان نافع بن هلال الجملي واقفاً على باب الخيمة فسمع الكلام فبكى وجاء إلى حبيب بن مظاهر فأخبره، فاجتمع أصحاب الحسين عليه السلام وجاؤوا بأجمعهم إلى الخيمة حيث اجتمعت نساء آل محمد صلى الله عليه وآله، وصاح حبيب بما يليق به وبأصحابه فخرجت النساء بالبكاء والعويل فضجَّ القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.

٣- أما يوم عاشوراء فلم ترقأ دمعتهن روحي فداهن، وكيف ترقأ الدمعة وهن يرون نور قلوبهن وأفلاذ أكبادهن وأقمارهن وشموسهن تُفرى أوداجهم عطاشى، فلو كنت حاضراً لظلَّ أنين ونشيج آل محمد صلى الله عليه وآله منك بمسمع، لقد صحن صباحاً عندما تواجه الجيشان، وصحن عند كل دم أريق، وحتى عندما بقي الحسين وحيداً، ولكن أعظم صياحهن كان عندما رجع فرس الحسين عليه السلام دون فارس، ولقد وصف هذا المشهد بقوله المهول في زيارة الناحية: فلما رأين النسوة جوادك مخزياً، وأبصرن سراجك ملويا، برزن من الخدور للشعور ناشرات، وعلى الخدود لاطمات، للوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذلّلات، وإلى مصرعك مبادرات...

٤- وانظر إليهن حين اجتمعن على الأجساد يودعن حماتهن وولاتهن ونور أبصارهن وحشاشة قلوبهن، لو نظرت لرأيت أم كلثوم عندما وضعت يدها على ام رأسها ونادت:

وامحمداه، واجدّاه، وانبياه، واأبا القاسماه، واعليّاه، واجعفراه، واحمزتاه، واحسناه، هذا حسين بالعراء، صريع بكربلاء، مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء... ثم غشي عليها، لو نظرت لرأيت سكينة قد اعتنقت جسد أبيها فلم تفارقه حتى اجتمع الأعراب وجرّوها عنه.

٥- أما نساء هاشم اللواتي بقين في المدينة فما لبث أن جاءهم هذا الخبر المفجع عندما نعى الناعي حسيناً فارتفعت الواعية في دور بني هاشم واعية لا تشبهها أي واعية.

٦- ولقد خرجت بنات عقيل – عند نعي الناعي وقيل عند عودة السبايا إلى المدينة – وكانت الخارجات أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب ومعها أخواتها أم هانئ وأسماء ورملة وزينب، وكنَّ يبكين، وكانت ام لقمان حاسرة!! وقيل كانت زينب الصغرى بنت عقيل أخت مسلم بن عقيل ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تتلقى قافلة السبايا وتقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ويروى أن القائلة لهذه الأبيات هي أم لقمان بنت عقيل قالتها حين نعى الناعي حسيناً عليه السلام.

وروى الشيخ الطبراني من العامة أن أبا الأسود الدؤلي لما سمع هذه الأبيات، قال: نقول ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ثم أنشد:

أقول وزادني جزعا وغيظا أزال الله ملك بني زياد

وأبعدهم كما غدروا وخانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولا رجعت ركابهم إليهم إذا قفت إلى يوم التناد

٧- وفي خبر آخر أن بنت عقيل بن أبي طالب خرجت في جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم يوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتموا عترتي أو كنت غيباً والحق عند ولي الأمر مجموع
أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما منكم له اليوم عند الله مشفوع
ما كان عند غداة الطف إذ حضروا تلك المنايا ولا عنهن مدفوع

فكثر البكاء حتى قيل: ما رأينا باكياً ولا باكية أكثر مما رأينا ذلك اليوم.

٨- وتقدمت فاطمة بنت عقيل ترثوهم، فقالت:

عين إبكِ بعبرة وعويلِ واندبي إن ندبت آل الرسولِ
ستة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وخمسة لعقيل

٩- ويروى أن وال المدينة عمرو بن سعيد الأموي عندما سمع بكاء نساء هاشم وصيحتهن ضحك، وقال:

عجَّت نساء بني زياد عجَّةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ثم قال: واعية كواعية عثمان.

١٠- لم تختضب امرأة من بني هاشم ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت طوال سنوات حتى جاءهم رأس الرجس عبيد الله بن زياد، وما زالوا بعد ذلك في عبرة.

١١- لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح حدادا يقيمون المآتم، وكن لا يتوقفن عن ذلك لحرٍ ولا برد وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمآتم.

١٢- وعن الصادق عليه السلام قال: ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رُئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قُتل عبيد الله بن زياد.

أقول: عدم الدخان في الدار كناية عن عدم الطبيخ خمس سنين.

١٣- وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: نيح على الحسين بن علي عليه السلام سنة في كل يوم وليلة، وثلاث سنين من اليوم الذي أصيب فيه، وكان المسور بن مخرمة وجماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يأتون مستترين مقنّعين فيستمعون ويبكون.

أقول: الذي أفهمه من هذا الخبر أن آل البيتعليهم السلام استمروا بإقامة النياحة على الحسين سنة كاملة في المدينة وكانت تُقام النياحة في الليل والنهار، ثم استمرت النياحة ثلاث سنين وان كانت بأقل وتيرة بعد السنة الأولى، وفي خلال هذه السنوات كان جماعة من الصحابة والمحبين لآل البيت يحضرون هذه النياحة متسترين خوفاً من السلطان الأموي واتباعهم وأشياعهم لعنهم الله تعالى أجمعين.

١٤- أقامت زوجة الحسينعليه السلام الرباب بنت امرىء القيس الكلبية على الحسينعليه السلام مأتماً وبكت وبكين النساء والخدم حت جفَّت دموعهن، وسياتي أحوال الرباب.

١٥- وفي خبرِ خالد بن سدير عن الإمام الصادق عليه السلامقال: ولقد شققنِ الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام، وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشق الجيوب.

٦- وأم البنين:

أم البنين الأربعة هي أم العباس وجعفر وعثمان وعبد الله أولاد علي ابن أبي طالب عليه السلاموهؤلاء الأخوة الأربعة استشهدوا جميعهم مع أخيهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وروى المامقاني في تنقيح المقال أن بشرا الذي نعى الحسين عليه السلام في المدينة عندما علم أنها أم البنين نعى إليها أولادها ولدا ولدا وكان كلما نعى إليها أحدا من أولادها الأربعة قالت (ما معناه): أخبرني عن الحسين. فلما نعى إليها الحسين، قالت: قد قطعت أنياط قلبي أولادي كلهم فداء لابي عبد الله الحسين عليه السلام ومن تحت الخضراء... الحديث.

وهذا الخبر لم أجده في الكتب القديمة.

وكان لاستشهاد العباس وأخوته مع استشهاد الحسينعليه السلام وقع كبير على قلب أم البنين التي أصبح دارها دار عزاء ومصيبة، وكانت تحمل عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام ثم تخرج إلى البقيع كل يوم ترثي العباس وأخوته وتندبهم أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع أهل المدينة للإستماع إلى رثائها فيبكون لشجي الندبة، وكان في جملة من يأتون للإستماع إليها مروان بن الحكم الذي هو العدو اللدود لآل محمد صلى الله عليه وآله فكان يأتي ويستمع ندبتها فيبكي، وأخبار أم البنين رواها العامة بأسانيد قوية عن الصادق والباقر عليهما السلام.

وقد اشتهر من مراثيها وندبها، قولها تندب العباس وهي تحمل طفله عبيد الله:

يا من رأى العباس كر   على جماهير النقد

ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذي لبد
انبئت أن ابني اصيب رأسه مقطوع يد
ويل على شبلي أما ل برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يد يك لما دنا منك أحد

وقولها تندب بنيها الأربعة:

لا تدعوني ويك ام البنين تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلائهم فكلهم أمسى صريعا طعين
يا ليت شعرى اكما أخبروا بأن عباسا قطيع اليمين

٧- موقف عبد الله بن جعفر:

عندما وصل الخبر إلى المدينة باستشهاد الحسين عليه السلام وأهل بيته، ومن بين الشهداء ولدا عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب وهو زوج مولاتنا زينب عليها السلام، دخل بعض موالي عبد الله بن جعفر فنعى إليه ابنيه، فاسترجع، أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال أبو السلاسل مولى عبد الله: هذا ما لقينا من الحسين بن علي عليه السلام، فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله ثم قال: يا بن اللخناء أللحسين عليه السلام تقول هذا!!! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لمما يسخّي بنفسي عنهما ويعزي عن المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه، ثم أقبل على جلسائه، فقال: الحمد لله عزَّ عليَّ مصرع الحسين عليه السلام، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولداي.

٨- محمد ابن الحنفية:

أما محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن امرأة من بني حنيفة وهو أخ الحسين عليه السلام فقد كان يتوضأ عندما بلغه الخبر فبكى حتى سمعوا وكف دموعه في الطست، ويروى أنه بكى حتى ملأ الطست من دموعه. واستمر أيامه يبكي حتى عميت عيناه.

وروى العامة عن رجل قال: سمعت ابن عباس وعنده محمد بن الحنفية وقد جاءهم نعي حسين بن علي وعزاهم الناس، فقال ابن صفوان: إنا لله وإنا إليه راجعون أي مصيبة، يرحم الله أبا عبد الله، وآجركم الله في مصيبتكم، فقال ابن عباس: يا أبا القاسم ما هو إلا أن خرج من مكة فكنت أتوقع ما أصابه، قال ابن الحنفية: وأنا والله فعند الله نحتسبه ونسأله الأجر وحسن الخلف.

وذكرنا عند عرض رجوع السبايا كيف أن ابن الحنفية رَحِمَهُ اللهُ وصل إليهم وهو صارخ قائل: وأخاه، واحسيناه، فأقاموا في وجهه الصراخ والبكاء والنحيب فخرَّ مغشيا عليه، فلما أفاق قام واحتضن ابن اخيه علي بن الحسين عليه السلام وقبَّله بين عينيه وقال: يا أخي يعزّ عليَّ قتلك وأنا لست معك وكنت أفديك بروحي.

٩ - فاطمة بنت الحسين عليها السلام

وروى صاعد مولى الكميت قال: ودخلنا مع الكميت على فاطمة بنت الحسين، فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وسقته الكميت فشربه. ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها إني لم أحبكم للدنيا.

١٠ - مأتم الكلبية زوجة الحسين عليه السلام

وروى الكليني بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه لما قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبية عليه مأتما وبكت وبكين النساء والخدم حتى جفَّت دموعهن وذهبت، فبينا هي كذلك إذا رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل فدعتها، فقالت لها: ما لك أنت من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إني لما أصابني الجهد شربت شربة سويق، قال: فأمرت بالطعام والأسوقة فأكلت وشربت وأطعمت وسقت وقالت: إنما نريد بذلك أن نتقوى على البكاء على الحسين عليه السلام، قال: وأهدي إلى الكلبية جؤنا لتستعين بها على مأتم الحسين عليه السلام، فلما رأت الجؤن قالت: ما هذه؟ قالوا: هدية أهداها فلان لتستعيني على مأتم الحسين عليه السلام، فقالت: لسنا في عرس، فما نصنع بها؟ ثم أمرت بهن فاخرجن من الدار فلما اخرجن من الدار لم يحس لها حس كأنما طرن بين السماء والارض ولم ير لهن بها بعد خروجهن من الدار أثر.

أقول: الكلبية امرأة الحسين عليه السلام هي الرباب بنت امرئ القيس من بني كلب، وهي أم سكينة عليها السلام، وقد تقدم بيان بعض تفجُّعها، وقد بقيت الرباب بعد الحسين عليه السلام سنة لم يظللها سقف حتى بليت وماتت كمداً، وقيل إنها أقامت على قبره عليه السلام في كربلاء سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه.

١١- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

روى سليم بن قيس في كتابه أنه لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكى عبد الله بن عباس بكاء شديدا، ثم قال: ما لقيت هذه الأمة بعد نبيها، اللهم إني أشهدك أني لعلي بن أبي طالب ولولده وليٌّ، ومن عدوه وعدوهم بريء، وإني أسلم لأمرهم.

وقد روى بعض العامة ومنهم يعقوب الفسوي بإسناده الصحيح عن شقيق بن سلمة، وذكر حديثاً وفيه كتاب عبد الله ابن عباس إلى يزيد بن معاوية وفيه:...... وقد قتلت حسينا رضي الله عنه وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام، غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرمَّلين بالدماء مسلوبين بالعراء لا مكفنين ولا موسَّدين، تسفوا عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضباع حتى أتاح الله عز وجل لهم بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنوهم وأجنوهم، وبي وبهم والله غررت وجلست مجلسك الذي جلست.

وما أنسى من الأشياء فلست بناس اطرادك حسينا رضي الله عنه من حرم رسول الله إلى حرم الله عز وجل وتسييرك إليه الرجال لتقتله في الحرم، فما زلت بذلك وعلى ذلك حتى أشخصته من مكة إلى العراق، فخرج خائفا يترقب، فتزلزلت به خيلك عداوة منك لله عز وجل ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أولئك لا كآبائك الجلاف الحفاة أكباد الحمير، فطلب إليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته فتعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك.

فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودي وقد قتلت ولد أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحذ ثأري، فإن شاء الله لا يطل لديك دمي ولا تسبقني بثأري وإن سبقتني في الدنيا فقبل ذلك ما قُتِل النبيون وأبناء النبيين، فيطلب الله عز وجل بدمائهم فكفى بالله عز وجل للمظلومين ناصرا ومن الظالمين منتقما، فلا يعجبنك إن ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوما ثم قال: ألا وإن من أعجب الأعاجب وما عسي أن أعجب حملك بنات عبد المطلب وأطفالا صغارا من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوبين تري الناس أنك قد قهرتنا وأنك تمن علينا، وبنا منَّ الله عز وجل عليك، ولعمر الله لئن كنت تصبح آمنا من جراحة يدي إني لأرجو أن يعظم الله عز وجل جرحك من لساني، ونقضي وإبرامي، والله ما أنا بآيس من بعد قتلك ولد رسول الله أن يأخذك أخذا أليما ويخرجك من الدنيا مذموما مدحورا، فعش لا أبا لك ما استطعت، فقد والله ازددت عند الله أضعافا، واقترفت مأثما، والسلام علي من اتبع الهدي(١).

(١) المعرفة والتاريخ ج١ص٢٩١، أخبار الدولة العباسية ص٨٦، بحار الأنوار ج٤٥ص٣٢٣، مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ص٨٥ح٣٥.

الفصل الرابع

إنتقاض الممالك

الباب الأول

عقوبة دماء الحسين عليه السلام

١- التحذير:

في الخبر المروي – وقد رواه أهل السنة في صحاحهم – عن ابن عباس أن الله تعالى شأنه أوحى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله أني قتلت بيحيى سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وفي الخبر ان الحسين عليه السلام قال للجيش اليزيدي الملعون يوم عاشوراء:

.... وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني ربي بالشهادة بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، فصاح الحصين بن مالك السكوني وهو الجلف الطباع القاسي القلب العديم الحياء فقال: يا ابن فاطمة، وبماذا ينتقم لك منا، فقال عليه السلام: يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم...

وفي خبر ثالث أن الحسين عليه السلام قال عند خروجه إلى العراق لبعض الذين استفسروه عن سبب هذا الخروج، فقال عليه السلام: إن بني أمية شتموا عرضي فصبرت، وأخذوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله ليقتلونني فيلبسهم الله ذلا شاملاً وسيفاً قاطعاً...

وفي خبرٍ رابع أن الحسين عليه السلام قال: لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسلِطَنَّ الله عليهم مَن يذلّهم حتى يكونو أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم.

وروي ان الحسين بن علي عليه السلام قال: والذي نفس حسين بيده لا يهنأ بني أميّة ملكهم حتى يقتلوني، وهم قاتلي، فلو قد قتلوني لم يصلّو جميعاً أبداً، ولم يأخذوا عطاءً في سبيل الله ابداً...

وعندما جاء أحد الملائكة الكرام إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يخبره بأن أمته ستقتل ابنه الحسين عليه السلام قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وتفلح أمتي! تقتل فرخي!، فرخ ابنتي!!، فقال جبرئيل عليه السلام: يضربها الله بالإختلاف فتختلف قلوبهم.

إذن هذا هو النبأ الثقيل: بعد قتل الحسين عليه السلام سيحدث في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اختلاف عام، اختلاف القلوب، ذلّ شامل، سيفٌ قاطع، المتسلط عليهم يذلّهم كأذل من قوم سبأ، سفك دمائهم بأيديهم، وسقوط آلاف القتلى انتقاماً لدماء الحسين عليه السلام.

نعم، وهذا ما تحقق فلم تمض الأيام على مقتل الحسين عليه السلام حتى وقع الإختلاف وجرت الدماء أنهاراً ودخلت شرارة مقتل الحسين عليه السلام إلى كل بيت من بيوتات العرب.

٢- إدراك الخطر:

ما أن قتل الحسين عليه السلام حتىٰ شعر الناس شيعته وعدوه بعظيم الواقعة وخطير الفاجعة، أما شيعته فقد استعظموا أن يخذلوه وأن لا يكونو نصروه وسيأتي بيان ما قام به شيعة الحسين وأهل بيته صلوات الله عليهم.

وأما عدوه والذين هم من غير شيعته فقد استعظموا ما جنته أيدي بني أمية لعنهم الله، وقد ظهر ذلك ونقله لنا المؤرخون في مواضع.

١- روى حميد بن مسلم قال: وخرجت زينب بنت علي عليه السلام وقرطاها يجولان بين أذنيها وهي تقول ليت السماء انطبقت على الأرض، يا عمر بن سعد أيُقتل أبو عبد الله عليه السلام وأنت تنظر إليه؟، ودموع عمر بن سعد تسيل على خديه ولحيته وهو يصرف وجهه عنها.

٢- روى حميد بن مسلم ما جرى بعد مقتل الحسين عليه السلام من إحراق الخيام وخروج النساء وكيف أن زينب عليها السلام كانت تندب الحسين عليه السلام ثم قال: فأبكت والله كل عدو وصديق.

٣- كان بعض الذين يسلبون بنات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يبكون وقد قدمنا هذا الحديث عند التعرض لأحوال السبايا.

٤- عندما وصل عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام قال عبيد الله لعمر بن سعد: ائتني بالكتاب الذي كتبته إليك في معنى قتل الحسين عليه السلام ومناجزته، فقال: ضاع، فقال: لتجيئني به، أتراك معتذراً في عجائز قريش، قال عمر: والله لقد نصحتك في الحسين

عليه السلام نصيحة لو استشارني بها أبي سعد كنت قد أدّيت حقه، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفيّ أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يُقتل، فقال عمر بن سعد: والله ما رجع أحدٌ بشرّ مما رجعتُ، أطعت عبيد الله بن زياد وعصيت الله وقطعت الرحم.

أقول: يظهر لك من هذا الحديث ندم الثلاثة وإدراكهم عظيم قبح ما فعلوا حتى أن عبيد الله حاول استرجاع الكتاب لربما يستطيع التملص من قتل الحسين عليه السلام واتهام عمر بن سعد به، وأما عمر بن سعد فقد احتفظ بالكتاب وأرسله إلى شيوخ قريش ليقرؤونه ويعتذر لقتله الحسين عليه السلام بأنه كان مأمور.

٥- روى حميد بن مسلم فقال: كان عمر بن سعد صديقاً لي فأتيته بعد منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله، فقال: لا تسألني عن حالي فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعتُ به، قطعتُ القرابة القريبة وارتكبت الأمر العظيم.

٦- قد ذكرنا حديث الشيخ الذي خاطب علي بن الحسين عليه السلام على درج مسجد دمشق خطابه القاسي فلما علم الحقيقة شتم يزيد وتبرأ منه وتولى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل.

٧- قد تقدم ذكر احتجاج نساء يزيد وكيف أنهم ندبوا على الحسين عليه السلام وبكوه وأنه لم يبق من نساء آل معاوية ولا أبي سفيان أحد إلا استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام، وألقين ما عليهن من الثياب والحلي وأقمن عليه المأتم ثلاثة أيام.

٨- مرَّ حديث الشامي الذي طلب من يزيد أن يهبه الجارية وهو مشير إلى فاطمة بنت علي عليه السلام أو بنت الحسين عليه السلام وهو يعتقد أنها من سبي الروم أو الترك، فلما علم الحقيقة قال ليزيد: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك صلى الله عليه وآله وتسبي ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم من سبي الروم، فغضب يزيد وقال: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضرب عنقه.

٩- تقدم في حديث زين العابدين عليه السلام أنه عندما خطب في مجلس يزيد ما فرغ من خطابه حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب وحتى خشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة.

١٠- وعندما وصل خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى الحسن البصري الفقيه المشهور بكى حتى اختلج صدغاه، ثم قال: واذلّ أمّة قتلت ابن بنت نبيها صلى الله عليه وآله، والله ليردّن رأس الحسين عليه السلام إلى جسده، ثم لينتقمن له جدّه وابوه من ابن مرجانة.

١١- وعندما علم الربيع بن خيثم بمقتل الحسين عليه السلام بكى، وقال: لقد قتلوا فتيه لو رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأحبّهم وأطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه، ثم وضع فمه على أفواههم، ثم رفع طرفه إلى السماء. فقال: اللهم عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما يختلفون ثم دخل فأغلق بابه فما خرج بعد ذلك.

١٢- كما احتج جماعة من الصحابة حتى من المحسوبين على سلطان بني أميّة فإنهم لما رأوا رأس الحسين عليه السلام يُضرب بالقضيب لم يمكنهم استيعاب هذا المنظر الفظيع فاحتجوا، ومن هؤلاء الصحابة زيد بن أرقم وأنس بن مالك وأبو برزة الاسلمي كما تقدم ذكرهم.

١٣- ولقد احتج حبرٌ من أحبار اليهود كان في مجلس يزيد فعندما علم بهوية الرأس الشريف، قال: فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بئسما خلفتم نبيكم في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطا من صلبه لظننا أنا نعبده من دون ربنا، وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه فقتلتموه، سوأةً لكم من أمة، فما كان من يزيد عندما سمع هذا الاحتجاج إلا ان وجئ في حلق هذا الحبر ثلاثاً.

١٤- ولقد احتج أيضا في مجلس يزيد عظيم من عظماء الروم قال ليزيد نحو كلام الحبر اليهودي وأخبره أن النصارى تزور كنيسة في أقاصي الدنيا لأن فيها حافر حمار عيسى عليه السلام، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله، ثم قال ليزيد: فلا بارك الله تعالى فيكم ولا في دينكم، فأمر يزيد بقتله، فأسلم الرومي وتشهد الشهادتين ووثب إلى الرأس الشريف فضمّه إلى صدره وجعل يقبله ويبكي ثم قتلوه رحمه الله.

١٥- بعدما قام عبيد الله بن زياد بفعلته المشؤومة حسنت بذلك منزلته عند يزيد بن معاوية ولكن لم يلبث إلا قليلاً حتى شعر يزيد بعظيم الجرم الذي ارتكبه فندم على قتل الحسين عليه السلام وكان يقول: وما كان عليّ لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري وحكمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ورعاية لحقه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة فإنه أحرجه واضطره وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاهِ الله عز وجل فلم يفعل، وأبى ذلك ورده عليه وقتله فبغّضني بقتله إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً عليه السلام، مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه.

١٦- ويروى أن مرجانة أم عبيد الله بن زياد قد استنكرت عمل ابنها، وقالت له: قتلت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لا ترى الجنة أبدا.

١٧- وبعد أن قتل الحسين عليه السلام مر عمر بن سعد بن أبي وقاص لعنه الله تعالى بمجلس بني نهد فسلم عليهم فلم يردوا عليه السلام فأحس عمر بن سعد بالندم وسوء ما قدمت يداه، فقال لما جاز المجلس:

أتيت الذي لم يأت قبلي ابن حرة ... فنفسي ما أحرت وقومي أذلت

١٨- ويروى عن الصحابي كعب الأحبار أنهم قالوا له: قتل الحسين بن علي عليه السلام. قال: لا والله ما قتل ولو قتل نهارا لما أمسيتم حتى تروا لذلك علامة ولو قتل ليلا أصبحتم حتى تروا لذلك علامة. قالت: فلما أمسوا احمر أفق المساء. فقال: ألا إنه قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت السماء عليه كما بكت على يحيى بن زكريا.

١٩- ويروى عن الصحابي خالد بن عرفطة أنه بلغه قتل الحسين بن علي عليه السلام وهو في مجلس فقال: هذا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي.

٢٠- ويروى عن عامر بن سعد البجلي قال: لما قتل الحسين بن علي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال لي: إن رأيت البراء بن عازب فاقرءه مني السلام وأخبره أن قتلة الحسين بن علي في النار وإن كاد الله أن يسحت أهل الأرض منه بعذاب أليم، قال فأتيت البراء هو من خيار الصحابة فأخبرته فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتصور بي.

٢١- وروي عن خالد بن معدان وهو من أفضل التابعين عند العامة أنه لما صلب رأس الحسين عليه السلام غاب شخصه عن أصحابه، فطلبوه شهرا فوجدوه، فسألوه عن عزلته، فقال لهم: أما ترون ما نزل بنا، ثم أنشدهم:

جاءوا برأسك يا ابن بنت ... محمد متزملا بدمائه تزميلا

قتلوك عطشانا ولم يترقبوا ... في قتلك التنزيل والتأويلا

وكأنما بك يا ابن بنت محمد ... قتلوا جهارا عامدين رسولا

ويكبِّرون بأن قُتِلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا.

٢٢- وقد احتج على قتل الحسين عليه السلام بعض أخص الأمويين ألا وهو عبد الرحمان بن

الحكم وهو أخو مروان بن الحكم، وذلك أنه لما وصلوا بقافلة سبايا آل محمدﷺ إلى مسجد دمشق، أتاهم مروان، فقال للوفد: كيف صنعتم بهم؟! قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا، فأتينا على آخرهم!، فقال أخوه عبدالرحمان بن الحكم: حُجِبتم عن محمدﷺ يوم القيامة، والله لا أجامعكم أبدا، ثم قام وانصرف.

الباب الثاني
ثورة أهل المدينة

١- خروج أهل المدينة:

وفي سنة إثنين وستين أي بعد ما يزيد عن سنة بعد مقتل الحسين عليه السلام ذهب وفد من أهل المدينة المنوَّرة إلى يزيد بن معاوية، وفي هذا الوفد جماعة منهم عبد الله بن حنظلة الشهيد غسيل الملائكة، فاستقبلهم يزيد وأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، فلما قدموا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وقالوا لأهل المدينة:

إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويُضرَب عنده القيعان ويلعب بالكلاب ويسامر الخُرَّاب والفتيان، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه، وقال المنذر بن الزبير بن العوام: إن يزيد — والله — لقد أجازني بمائة ألف درهم، وإنه لا يمنعني ما صنع إليَّ أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه، والله إنه ليشرب الخمر وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة، وعابه مثل ما عابه أصحابه.

فتابعهم الناس وأتوا إلى عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولُّوه عليهم. عندما علم يزيد بهذه الثورة أرسل إلى أهل المدينة النعمان بن بشير الأنصاري وهو من الأنصار ومن أهل المدينة ليدعوهم إلى ترك هذا الأمر والعودة إلى بيعة يزيد، فلم يقبلوا منه وجبهوه.

ثم إن أهل المدينة أظهروا عصيان يزيد بن معاوية وخلعوه عن إمارة المسلمين وأخرجوا والي المدينة من قبل يزيد وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان وطردوه، وحاصروا بني أمية وأعوانهم من قريش وهم نحو ألف رجل.

٢- موقف علي بن الحسين عليه السلام:

وكان علي بن الحسين عليه السلام في المدينة إلا أنه لم يلتفت إلى هذه الثورة ولم يدخل فيها في صغير ولا كبير، بل التزم جانباً وآوى إليه نساء وأطفال بني أمية فاحتضنهم عنده. وذلك

أن مروان بن الحكم أراد أن يترك المدينة، وأراد أن يصون النساء والأطفال فجاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وسأله أن يغيّب النساء عنده فأبى عبد الله بن عمر أن يفعل، فجاء إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال: يا أبا الحَسن إن لي رحماً وحُرَمي تكون مع حُرمك، فقال عليه السلام: أفعل. فبعث إليه بالحرم فخرج علي بن الحسين عليه السلام بحرمه وحرم بني أمية إلى داره بينبع معتزلاً المدينة، وكره أن يشهد شيئاً من أمرها.

٣- قدوم جيوش أهل الشام:

اجتمع بنو أمية وأعوانهم في دار مروان بن الحكم يواجهون حصار أهل المدينة وكان سيد بني أمية في المدينة مروان بن الحكم، فأرسل إلى يزيد كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنا قد حُوصِرنا في دار مروان بن الحكم، ومُنعنا العذب، ورُمينا بالجبوب، فيا غوثاه يا غوثاه.

وما كان من يزيد إلا ان لبى النداء فأرسل إلى مسلم بن عقبة المُرّي وهو شيخ كبير ضعيف مريض فأمره أن يسير بجيش إلى المدينة.

خرج المنادي ينادي في الناس ووعد كلِ من يسير أن يأخذ عطاءه كاملاً ويقبض مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعة تلبيته، فلبّى النداء اثنا عشر ألف مقاتل.

استعجلهم يزيد على الخروج وأوصى مسلم بن عقبة فقال له: ادعُ القوم ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا أُظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثَلاث فاكفف عَن الناس وانظر علي بن الحسين عليه السلام فاكفف عنه واستوصِ به خيراً وأدنِ مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه.

٤- وقعة الحرَّة وتدمير المدينة:

وصل جيشِ مسلم بن عقبة المرّي إلى المدينة في شهر ذي الحجة سنة ٦٣ هجرية ودخلها من جانب الحرَّة، وهو شرق المدينة، وهناك كان أهل المدينة قد خندقوا في جمع عظيم، وهناك كانت الوقعة بين أهل الشام وأهل المدينة، وكانت الدولة لأهل الشام وقتل في هذه الوقعة رؤساء جيش المدينة وهم عبد الله بن حنظلة الغسيل واولاده وأخوه، ومحمد بن عمرو بن حزم الانصاري، والفضل بن العباس بن ربيعة، وزيد بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري، وابراهيم بن نعيم العدوي، وعبد الله بن زيد بن عاصم، وعبد الله بن عاصم، وغيرهم كثير.

وممن قتل صبراً بعد الوقعة معقل بن سنان الأشجعي وهو رئيس ربع، ويزيد بن عبد الله بن زمعه، ومحمد بن ابي الجهم العدوي، ويزيد بن وهب، وبلغ عدد القتلى من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ثلاثة آلاف وقتل من سائر الناس عشرة آلاف، وبلغ عدد القتلى من صحابة الرسول ثمانين صحابياً، وبهذه الوقعة فني البدريون.

ثم أُبيحت المدينة وأهلها ثلاثة أيام فدخل أعراب أهل الشام وأجلافهم وطغاتهم إلى المدينة وعاثوا فيها فساداً ولم يرقبوا حرمة لأحد،حتى ربطوا خيولهم بأساطين مسجد الرسول ﷺ، ولم يرتفع الآذان في مدينة رسول الله ﷺ ثلاثة ايام، وفرغ المسجد النبوي من المصلين إلا من علي بن الحسين عليه السلام وسعيد بن المسيب.

انتهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم، وقتلوا من يقدرون عليه، ولم يفرّقوا بين شيخ كبير ورضيع صغير، وفجروا بالنساء في بيوتهن أو يأخذنهن حيث شاؤوا، وافتضّوا العذارى حتى قيل أُفتضت ألف عذراء وقيل أكثر، واختلطت أنساب أهل المدينة فلم تعرف المرأة أن الولد من زوجها أو من أهل الشام، وظل أولياء البنات سنين طويلة بعد هذه الوقعة يزوجون بناتهم على البراءة من العذرية يعني لا يضمنون عذرية بناتهم

٥- إستعباد أهل المدينة:

وبعدها دعا مسلم بن عقبة المرّي الناس كلهم إلى بيعة يزيد بن معاوية على أنهم عبيد رق خول ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء، فبايعوا على ذلك، ومن بايعه على كتاب الله وسنة رسوله ضرب عنقه، ولم يقبل إلا البيعة على أنهم عبيد رق خول ليزيد، فبايعوه جميعاً على ذلك، ولم يستثن من هذه البيعة إلا علي بن الحسين عليه السلام وعلي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أما علي بن الحسين عليه السلام فقد استثناه يزيد بن معاوية وأوصى به مسلم بن عقبة، ويروى أنه عندما جاؤوا به إلى مسلم بن عقبة سمع مسلم صياحاً وصراخاً، فقال: ما هذا، فقيل إنه قد أُتي بعلي بن الحسين عليه السلام وهؤلاء أقاربه يصيحون، فقال: أعلموه أنه لا بأس عليه، فلما دخل وثب مسلم بن عقبة فصافحه وقبل بين عينيه وأقعده معه على سريره وأخبره بوصية يزيد به واعتذاره عن تاخير العطاء.

وأما علي بن عبد الله بن العباس فقد استثنته قبائل كندة من رجال يزيد بن معاوية، فإنهم أخواله وتعصبوا له ووقفوا في وجه مسلم بن عقبة، وقالوا: يبايع ليزيد على أنه أشرف من يزيد وأكرم منه أبا وأماً.

الباب الثالث

فتنة عبد الله بن الزبير

١- خروج عبد الله بن الزبير:

عندما وصل الخبر بمقتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة يعظّم مقتله، وعاب أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة، وخطب في الناس، وقال فيما قال يمدَح الحسين عليه السلام ويعرّض بيزيد:

أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في الذكر الركض في تطلاب الصيد فسوف يلقون غيًّا.

فثار إليه أصحابه وقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد — إذ هلك الحسين عليه السلام — ينازعك هذا الأمر.

فأظهر بيعته، وعلا أمره بمكة، وكاتبه أهل المدينة.

ثم إن عبد الله بن الزبير استمر يُحكم أمره في مكة ويبايع له من يهواه إلى أن وقعت وقعة الحرَّة في أهل المدينة التي تقدم ذكرها، فكان عبد الله بن الزبير هو ملجأ أهل المدينة المنهزمين فلجؤوا إليه وانضموا له وتابعوه على قتال جيش يزيد. كما جاءه نجدة بن عامر الحنفي وأصحابه من اليمامة.

٢- حصار مكة المكرمة:

وما لبث الجيش الشامي بقيادة مسلم بن عقبة المري بعد وقعة الحرة أن سار من المدينة متوجهاً إلى مكة المكرمة ليقضي على ثورة عبد الله بن الزبير إلا أنه في الطريق إلى مكة مات مسلم بن عقبة وتولى الحصين بن نمير السكوني قيادة هذا الجيش.

وصل الجيش الشامي إلى مكة فحاصرها شهرين محرم وصفر، وقعت فيهما مناوشات عديدة، وقتل فيها جماعة منهم المنذر بن الزبير أخو عبد الله بن الزبير، ومنهم مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.

٣- رمي الكعبة بالمنجنيق

لم يبال هذا الجيش الهمجي القادم من أعماق الشام بحرمة بيت الله الحرام... فأي حرمة للبيت بعد هتك حرمة محمد ﷺ وبعد ذبح الحسين وأهل بيته عليهم السلام، نعم سقطت الحرمات فنصبوا منجنيقهم على جبلي أبي قبيس والأحمر، ثم ما لبسوا أن رموا بيت الله بالحجارة حتى تخرقت كسوتها عليها وتهدم جوانب منها!! وقد ذكر المؤرخون حول هذا الحدث المهول الشيء الكثير، وذكر بعضهم بعض مشاهداته لرمي الكعبة، وهذا نصه:

روى رباح بن مسلم عن أبيه قال: رأيت الحجارة تصك وجه الكعبة من أبي قبيس حتى تخرقها، فلقد رأيتها كأنها جيوب النساء، وترتج من أعلاها إلى أسفلها، ولقد رأيت الحجر يمر، فيهوي الآخر على أثره، فيسلك طريقه.

وعن ابن المرتفع، قال: كنا مع ابن الزبير في الحجر، فأول حجر من المنجنيق وقع في الكعبة، فسمعنا لها أنيناً كأنين المريض آه آه.

٤- .. والصواعق لا تردهم عن غيهم

وقد بلغ من عظيم عتوهم وشدة تجبرهم أنهم وهم يرمون البيت الحرام بمنجنيقهم ضربتهم الصواعق، فاحترق المنجنيق واحترق تحته ثمانية عشر رجلاً من أهل الشام، حتى ارتج القوم بالقول أن الله تعالى قد أظلهم العذاب!!! ولكنهم لم يرعووا فلم يلبثوا إلا أياماً قليلة حتى عملوا منجنيقاً آخر فنصبوه على أبي قبيس وعادوا إلى جريمتهم.

٥- لا مبالاة ابن الزبير واصحابه

كما أن عبد الله بن الزبير وأصحابه أيضا لم يبالوا وهم يرون بأعينهم حجارة الكعبة تتناثر إلا بحماية أنفسهم وصيانة وجوههم ومصالحهم حيث أنهم أصروا على البقاء في المسجد بعد أن بنوا خصاصاً حول البيت في المسجد ورفافاً من خشب تكنهم من حجارة المنجنيق، قال بعض وحوش أهل الشام ممن كان يرمي البيت: فكنت أراهم إذا أمطرنا عليهم الحجارة يكنون تحت تلك الرفاف، قال: فوهن الرمي بحجارة المنجنيق الكعبة فهي تنقض.

٦- إحراق الكعبة:

في اليوم الثالث من الربيع الاول احترقت الكعبة، احترق ثيابها، واحترق خشب البيت، قال بعض الشهود يصف الحدث: قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت إليها النار، ورأيتها مجردة من الحرير ورأيت الركن قد اسودّ وانصدع في ثلاثة أمكنة.

وذكر في أسباب حريق الكعبة سببان:

الأول: أن الجيش الشامي قذف البيت بالمجانيق وأحرقوه بالنار وأخذو يرتجزون:

خطَّارة مثل الفنيق المزبد نرمي بها أعواد هذا المسجد

السبب الثاني: وهو أن أصحاب عبد الله بن الزبير كانوا يوقدون النار حول الكعبة فهبَّت الريح بشرارة إلى الكعبة فاحترقت، وقيل أن أحد أصحاب عبد الله بن الزبير أخذ قبساً في رأس الرمح له فطيَّرت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود.

٧- بكاء وعويل عبد الله بن عمرو بن العاص

روى الأزرقي وهو أحد أعلام العامة في كتابه أخبار مكة بإسناد قوي عن عبيد الله بن سعد قال: أنه دخل مع عبد الله بن عمرو بن العاص المسجد الحرام، والكعبة محَرَّقة، حين أدبر جيش الحصين بن نمير، والكعبة تتناثر حجارتها، فوقف ومعه ناس غير قليل فبكى، حتى أني انظر إلى دموعه تحدر كحلاً في عينيه من إثمد، كأنه رؤوس الذباب على وجنتيه، فقال: يا أيها الناس، والله لو أن أبا هريرة أخبركم، أنكم قاتلو ابن نبيكم، بعد نبيكم، ومحرّقوا بيت ربكم، لقلتم: ما من أحد أكذب من أبي هريرة، أنحن نقتل ابن نبينا ونحرّق بيت ربنَا ؟ فقد والله فعلتم، لقد قتلتم ابن نبيكم، وحرقتم بيت الله، فانتظروا النقمة، فوالذيَ نفس عبد الله بن عمرو بيده، ليلبسنكم الله شيعاً وليذيقن بعضكم بأس بعض، يقولها ثلاثاً، ثم رفع صوته في المسجد، فما في المسجد أحد إلا وهو يفهم ما يقول، فإن لم يكن يفهم فإنه يسمع رجع صوته، فقال: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ فوالذي نفس عبد الله بن عمرو بيده، لو قد ألبسكم الله شيعاً وأذاق بعضكم بأس بعض، لبطن الأرض خير لمن عليها، لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر(١).

---

(١) أخبار مكة ص٧٧

٨- موت يزيد بن معاوية

وبعد أن وتر الله تعالى ووتر رسوله صلى الله عليه وآله وهتك كل محرم وفي الرابع عشر من هذا الشهر أعني ربيع الأول مات يزيد بن معاوية تاركا سلطانه منقلبا إلى سلطان الله تعالى وهو ابن ثمان وثلاثين أو تسع وثلاثين سنة، وكانت مدة ولايته المشؤومة ثلاثة سنين وبضعة أشهر ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾.

ثم بعد موته بايع أهل الحجاز جميعاً لعبد الله بن الزبير ورجع الجيش الشامي إلى الشام، وكان لعبد الله بن الزبير مع أهل الشام وشيعتهم وقعات ومناوشات وحروب طويلة منها في الحجاز ومنها في العراق زهقت فيها الدماء التي لا يحصيها إلا باريها وقد فصَّلها المؤرخون في كتبهم.

الباب الرابع

الخلاف على الخلافة

١- هلاك يزيد:

بعد ثلاثة سنين وشهرين من مقتل الحسين عليه السلام وأصحابه مات يزيد بن معاوية فجأة في قرية من قرى حمص يقال لها حوّارين، بات سكراناً قد شرب في الليل شراباً كثيرا ثم أصبح مخموراً فذرعه القيء ثم لم يزل يقيء حتى قذف عشرين طشتاً ثم مات متغيراً كأنه مطلي بقار.

وذكر بعض المؤرخين أن يزيد عندما كان سكراناً قام ليرقص فسقط على رأسه وتناثر دماغه، أقول: وربما كان كثرة القيء لهذا السبب.

وكان قبل موته مريضاً بداء النقرس، وكان يضع قدميه في ماء في طست وذلك من شدة الوجع، وكان وفاته في الرابع عشر من ربيع الأول من سنة أربع وستين.

وفي رواية أبي مخنف أن يزيد ركب في بعض الأيام يريد الصيد والقنص فخرج في خاصّته في عشرة آلاف فارس، فسار حتى بعد من دمشق مسير يومين، ثم لاحت له ظبية فانطلق جواده في طلبها وقد أمر أصحابه أن لا يتبعه منهم أحد، فجعل يطارد الظبية حتى توسط وادي مهول مخوف وكظّه العطش فلم يجد هناك شيئاً من الماء، وإذا هو برجل معه صحن ماء، فاستسقاه فسقاه، فقال له: لو عرفت من أنا لازددت في كرامتي، فقال له: ومن تكون؟، قال: أنا أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال الرجل: أنت والله قاتل الحسين بن علي عليه السلام يا عدوّ الله، ثم نهض ليمسكه فنفر الفرس من تحته فرمى به فعلقت رجل يزيد بالركاب فجعل الفرس كلما رآه خلفه نفر، فلم يزل الفرس يعدو حتى مزّقه وعجّل الله بروحه الخبيثة إلى النار.

كان يزيد قد أوصى بالخلافة لابنه معاوية بن يزيد، فمات بدوره بعد أربعين يوما من ولايته، وقيل: قتلوه بعد أن رفض الخلافة، فوقع الخلاف بين أهل الشام وغيرهم حول

الخليفة، وفي هذا الحال حاول جماعة من أعيان البلاد أن يستولوا على خلافة المسلمين وإليك تفصيل ذلك:

٢- اختلاف أهل الشام:

اختلف أهل الشام بعد موت يزيد بن معاوية في مصير خلافتهم، فكان زفر بن الحارث الكلابي في قنَّسرين يبايع لعبد الله بن الزبير، وأيضا النعمان بن بشير الأنصاري في حمص يبايع لعبد الله بن الزبير، والضحاك بن قيس الفهري في دمشق كذلك يبايع لعبد الله بن الزبير سراً، يمنعه من إظهار ذلك بقية بني أمية الذي في الشام ومنهم مروان بن الحكم، والتحق بهم عبيد الله بن زياد بعد أن هرب من البصرة.

ولم يبق من أنصار بني أمية من ولاة الأمصار إلا حسان بن مالك بن بجدل الكلبي الذي كان والي فلسطين فاستخلف عليها روح بن زنباع الجذامي وخرج إلى الأردن، يحرض أهل الأردن فقال لهم: يا أهل الأردن ما شهادتكم عل ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرَّة — فقالوا: نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلى أهل الحرَّة في النار، قال: فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرَّة: قالوا: نشهد أن يزيد على الحق وأن قتلانا في الجنة، فقال لهم: وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقاً يومئذ إنه اليوم وشيعته على الحق، وإن كان الزبير يومئذ وشيعته على باطل إنه اليوم على الباطل هو وشيعته، فوافق أهل الأردن وبايعوه على أن يقاتلوا معه من يطيع ابن الزبير.

بعد هذا أرسل حسان بن مالك كتاباً إلى الضحاك بن قيس في دمشق يذكر فيه عظيم حق بني أمية ويدعوه إلى طاعتهم، ويقع في ابن الزبير ويشتمه وأنه منافق خلع خليفتين، وأمره أن يقرأ الكتاب على الناس، وبعث مع الكتاب نسخة أخرى منه مع رجل من كلب اسمه ناغضة وأمره ان يقرأ الكتاب على الناس إذا لم يقرأه الضحاك بن قيس عليهم؟.

٣- هياج الفتنة في الشام:

قدم ناغصة بالكتاب فدفعه إلى الضحاك بن قيس فلما كان يوم الجمعة وصعد الضحاك إلى المنبر قام ناغضة فقال: أصلح الله الأمير، أدع بكتاب حسان فاقرأه على الناس، فقال له الضحاك: إجلس، فجلس، ثم قام مرة أخرى، فأجلسه، ثم قام الثالثة فقال له: إجلس، فلما رأى ناغضة أن الضحاك لن يقرأ الكتاب أخرج نسخته وقرأه على الناس، فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ويزيد ابن أبي النمس الغساني وسفيان بن الأبرد الكلبي فصدَّقوا كتاب حسان

بن مالك وشتموا ابن الزبير، فقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسان بن مالك وأثنى على ابن الزبير، فاضطرب أمر الناس ووثب بعضهم بوجه بعض، ووثبت بنو كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرقوه بالنار وخرّقوا ثيابه.

وأظهر الضحاك ما في سريرته من ولائه لابن الزبير فسجن الذين شتموا ابن الزبير وصدَّقوا حسان، فقامت بنو كلب وغسان فأخرجوهم من السجن ثم ذهبوا إلى المسجد الأعظم وفيه الضحاك بن قيس يمهّد لابن الزبير ويقع في يزيد بن معاوية فضربوه بعصا، فقام الناس بعضهم إلى بعض في المسجد فانقسم الناس من يتعصب لابن الزبير ويهوى هواه ومن يتعصب لبني أمية ويهوى هواهم فاقتتلوا.

٤- معركة مرج راهط:

ثم خرجت بنو أمية ومن معهم براياتهم إلى حسان بن مالك وخرج الضحاك بن قيس ومن معه فنزل بمرج راهط ومعه قبائل قيس ومن يدعو بدعوة عبد الله بن الزبير، وقيل أن عداد جيشه كان ستين ألفاً.

اجتمع أهل الأردن وبنو أمية في الجابية فبايعوا لمروان بن الحكم فكان في بيعته قبائل كبيرة من العرب ومنها بنو كلب والسكاسك والسَّكون وغسان وتنّوخ وطيء، فسار مروان بالناس وعلى ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيدِ الله بن زياد حتى نزل مرِج راهط وفيها الضحاك، فوقع القتال بين الفريقين عشرينِ يوماً هُزِم الضحاك بن قيس فقتل من أهل الشام ومن قبائل قيس يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا بمثلَها قط في أي موطن منَ المواطنِ، فقتل في هذه الوقعة سادات أهل الشام، وقُتل ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة، وقتل صاحب لواء قضاعة، وقُتل ثور بن معن بَن يزيد السلمي، وقتل الضحاك بن قيس وحَملوا رأسه إلى مروان بن الحَكم وقُتل هاني بن قبيصة النميري سَيد قومه، ثم فرَّ الناس منهزمين فانتهى أهلِ حمص إلى حمصَ وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه مقتل الضحاك جمع ثقله وولده وفرَّ هارباً ليلاً، فطلبه أهل حمص حتى أدركوه وقتلوه وحملوا رأسه فألقوه في حجر ابنته أم أبان.

٥- البيعة لمروان بن الحكم بالخلافة:

وبهذا الإنتصار الأموي في معركة مرج راهط أطبقت الشام على بيعة مروان بن الحكم، ثم بايعه أهل مصر، وكان الحجاز والعراق لعبد الله بن الزبير فأرسل عبد الله بن الزبير أخاه

مصعب بن الزبير على رأس جيش فسرّح إليه مروان بن الحكم جيشاً على رأسه عمرو بن سعيد بن العاص، فوقعت بينهما معركة هزم فيها مصعب.

ثم سرَّح عبد الملك بن مروان جيشاً من سبعةِ آلاف رجل يقوده حبيش بن دلجة فدخل المدينة ثم التقى بجيش لابن الزبير عند الربذة فُهزِم جيش الشام وقتل حبيش ومن معه عن آخرهم.

الباب الخامس
فتنة البصرة

١- عبيد الله بن زياد يطمع في الخلافة!! :

لقد تردّت أمور الإسلام وتسافلت وهانت حتى بلغت أن طمع ابن مرجانة في خلافة المسلمين!، وكان يومها والياً على البصرة والكوفة فدعا أهل البصرة وقام فيهم خطيباً، فقال: يا أهل البصرة إنسبوني فوالله لتجدنَّ مهاجر والدي ومولدي فيكم وداري، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل، ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصى عمالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظنَّة أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم هذا، وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي، وقد اختلف أهل الشام وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرض فناءً وأغناه عن الناس، واوسعه بلاءً فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم...

٢- البيعة لعبيد الله بن زياد بالخلافة:

فقام خطباء البصرة يتملَّقونه، فقالوا: إنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك فهلمَّ فلنبايعك، فقال: لا حاجة لي في ذلك فاختاروا لأنفسكم، فأبوا عليه وأبى عليهم، حتى كرّروا ذلك عليه ثلاث مرات، فلما أبوا بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا وهم من مكرهم يقولون: لا يظن ابن مرجانة أنا نُستقاد له في الجماعة والفرقة، كذب والله. وجعلوا يمسحون أكفَّهم بباب الدار وحيطانه.

ثم أرسل عبيد الله بن زياد رسوله إلى الكوفة يدعوهم إلى بيعة عبيد الله بن زياد فردّها أهل الكوفة وجاءت نساء همدان يبكين حسيناً عليه السلام ورجالهم متقلدوا السيوف فطافوا بالمنبر، فرجع الخبر إلى البصرة بأن أهل الكوفة ردّوا بيعة عبيد الله بن زياد، فقال أهل البصرة لبعضهم أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولونه وتبايعونه فأجمع أهل البصرة على نقض بيعته بعدما كانوا قد عقدوها، فأقام عبيد الله بن زياد في البصرة وسلطانه يضعف وينكسر يوماً بعد يوم، فيأمر

بالأمر فلا يُقضى، ويرى الرأي فيردّوه عليه، ويأمر بحبس الرجل فيُحال بينه وبين الشُرَط.

استمر الأمر في البصرة على هذا الحال حتى جاء رسول عبد الله بن الزبير يدعوهم إلى بيعته فبدأت الناس تبايعه حتى انتقض أمر عبيد الله بن زياد في البصرة فلم يتمكن من ضبط الأمور فيها، بل وصل به الحال أن خشي على نفسه وأهل بيته فقرر ترك دار الإمارة وأخذ الأموال وهي تسعة عشر ألف ألف، وتوارى في ديار قبيلة الأزد واستجار بدار سيد الأزد مسعود بن عمرو بن عدي فأجاره.

٣- إختلاف أهل البصرة:

فاجتمع أهل البصرة فولوا عليهم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي، ثم وقعت الفتنة[١] بين قبائل بني تميم وبكر بن وائل، وما لبث أن تحالفت بكر بن وائل مع الأزد، وتنادت القبائل بشعاراتها وأحلافها القديمة، وهاج الشر بين الناس ما بين قبائل مضر وعمدتها تميم وقبائل ربيعة وعمدتها الأزد، ووقع القتال فحمل مسعود بن عمرو على رأس مقاتلي الأزد على أحياء بني تميم فأحرق دورهم وسلب نساءهم وقتلوا رجالاً، وما زال الأمر كذلك حتى قتِل مسعود بن عمرو، قيل قتله أناس من تميم، وقيل قتلته الخوارج فانهزمت الأزد.

عندما علم عبيد الله بن زياد بمقتل مسعود بن عمرو وهزيمة الأزد هرب إلى الشام، وأعجز الطلبة الذين اتبعوه فلم يدركوه فنهبوا ما استطاعوا عليه وسلبوا أمَّه وسلبوا امرأته وحرمه حتى أخذوا مقانعهن عن رؤوسهن.

وفي هذا الأوان خرجت الخوارج في البصرة بقيادة نافع بن الازرق الحنظلي فكسروا أبواب السجون فخرجوا منها واجتمعوا وأعلنوا كفر المسلمين المقرّين بالسلطان وأحلّوا دماءهم وأوجبوا البراءة منهم واستعدوا لقتالهم ودعوا أصحابهم إلى ذلك حتى عظم ابن الازرق وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة وكان بينه وبينهم معارك ووقعات عديدة طال أوانها وكثر فيها القتال والقتلى حتى كان الآلاف من المسلمين يُقتلون في الوقعة الواحدة.

ثم ما زال الأمر في البصرة مضطرباً هائجاً دامياً حتى قال الناس لواليها من قبلهم عبد

---

(١) قيل أن سبب الفتنة أن أحد بني ضبة وهم من تميم قتل رجلاً من بني يشكر من بكر بن وائل وهم من قبائل ربيعة، وقيل ان سبب الفتنة أن عبيد الله بن زياد بعدما استجار عند مسعود بن عمرو استخلفه على ولاية البصرة فرفضت بنو تميم وقالوا لا نرضى ولا نجيز ولا نولي إلا رجلاً من جماعتنا ورفض مسعود أن يدع ولاية البصرة واراد أن يدخل القصر عنوة عن بني تميم وأحلافها من مضر فوقع القتال.

الله بنِ الحارث: إن الناس قد أكل بعضهم بعضاً وتؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تفضح، ثم طلبوا منه ان يجرد السيف، ولكن عبد الله بن الحارث آثر السلامة ولحق بأهله وترك أمر الناس. ووقع الطاعون في البصرة فهلك به الخلق الكثير حتى سمّوه الطاعون الجارف.

وكذلك وقعت فتنة في الري وهو من توابع البصرة وانتفض أهل الري وجرت حوادث مسطورة.

الباب السادس

فتن مختلفة

١- وفتن أخرى:

وخلال هذه الإضطرابات على خلافة المسلمين في الشام والعراق والحجاز وقعت اضطرابات اخرى عديدة في أطراف العالم الإسلامي أزهق فيها مئات أو آلاف الأرواح، ومنها أن أهل خراسان وثبوا على عمالهم فأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحيته.

وحدثت في خراسان فتنة عبد الله بن خازم أحد الأمراء أراد السيطرة على خراسان قهراً فقام بعدّة وقعات فقتل عمرو بن مرثد بالطالقان، فهاجت الفتنة بين قبائل مضر وبكر بن وائل وطالت سنة، ثم وقعت الوقعة على بكر بن وائل فقتل منها ثمانية آلاف مقاتل.

وغارت الترك على أطراف المسلمين وهزموهم في وقعات وحروب بين أهل الشام والعراق.

٢- وحروب بين أهل الشام والعراق:

وقعت بين أهل الشام بقيادة مروان بن الحكم وأولاده مع أهل العراق والحجاز بقيادة عبد الله بن الزبير وقعات تشيب الغلام الأمرد زهق فيها آلاف القتلى.

الوقعة الأولى: كانت عندما أرسل مروان جيشاً بقيادة حبيش بن دُلجة في سبعة آلاف مقاتل، وصل الجيش إلى المدينة ثم سار إلى الربذة وهناك التقى جيش أهل الشام وأهل المدينة والتحم الجيشان فكانت الدولة على الجيش الشامي الذي انهزم وأُبيد عن آخره وقُتل أميره حبيش بن دُلجة وجماعة من أكابرهم وبقي منهم خمسمائة فضربت أعناقهم صبرا، وقيل: بقيت فلول رجعت إلى الشام.

الوقعة الثانية: أرسل مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد في جيش هائل العدد من أهل

الشام إلى العراق، وصل هذا الجيش إلى بلاد الجزيرة – وهي حالياً شمال العراق – فقاتله أهلها واستمر القتال في هذه البلاد أشهراً طويلة ووقعت وقعات سنتعرض لبعضها فيما يأتي ولم يسلم من هذا الجيش أحد.

الوقعة الثالثة: سار عبد الملك بن مروان بنفسه – وهو خليفة الشام – بجيش أهل الشام فالتقى مصعب بن الزبير على رأس جيش أهل العراق بدير الجاثليق وكانت بين الجيشين وقعات انتهت بهزيمة مصعب وقتله.

الوقعة الرابعة: سار الحجاج الثقفي بجيشه إلى مكة فحاصرها وضرب الكعبة الشريفة بالمنجنيق ولم يرجع حتى اقتحمت أجلاف الشام بيت الله الحرام وظفروا بعبد الله بن الزبير فقتلوه وصلبوه منكوساً.

٣- ثورة نجدة بن عامر الحنفي:

لم يكن نجدة بن عامر الحنفي من شيعة آل البيت عليهم السلام بل هو معدود من الخوارج إلا أنه كان له مقالة يعذر فيها المسلمين في أخطائهم، وكيف كان فإن هذا الرجل الخارجي قد خرج بعد مقتل الحسين عليه السلام وأعلن تمرده وعصيانه على يزيد ونجح في ذلك حتى استولى على اليمامة وعظم أمره فملك اليمن والطائف وعمان والبحرين ووادي تميم وعامر، وجاء بجماعته إلى مكة فكان يصلي بحذاء عبد الله بن الزبير ولم يقتتلا احتراماً لحرمة المسجد، وقاتل جيش يزيد حين جاء إلى مكة دفاعاً عن حرمة الحرم، واستمر إلى أن نقم عليه أصحابه فخلعوه وطلبوا منه أن يختار لهم من بعده إماماً لهم فاختار لهم ابا فديك فجعله إمامهم وما لبث هذا – أبو فديك – أن قتل نجدة بن عامر.

الفصل الخامس

انتفاضة الشيعة

الباب الأول

ندم عام واحتجاجات أفراد

١- ندم الشيعة:

أما شيعة آل بيت محمد صلى الله عليه وآله فقد هالهم مقتل الحسين عليه السلام وما فُعل به وبأهل بيته واستعظموا خُذلانهم له.

وقد ظهر استعظامهم لمقتله عند استقبالهم لنساء آل محمد صلى الله عليه وآله على مداخل الكوفة وداخلها حيث استقبلوهن بالبكاء والنواح والعويل والحيرة والدهشة وجلسوا يستمعون إلى كلمات زينب عليها السلام وزين العابدين عليه السلام وسكينة وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين، وهم يبكون، ونساؤهن قد نشرن شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وكان هذا الحال هو حال عامة الشيعة في الكوفة وهم ما يزيد عن ستة عشر ألف رجل ومن معهم من نساء وموالي، ولا ريب أن هذا كان حال عامة الشيعة في كل صقع من أصقاع الدنيا.

٢- إحتجاجات سلمية:

وقد احتج بعض الشيعة احتجاجات سلمية لعجزهم عن الصدام والعنف وقد تنوعت الإحتجاجات السلمية على أنواعها بحسب اختلاف الناس، فمنهم من غادر الكوفة كأبي عثمان النهدي كان شيخا كبيراً مخضرماً أدرك الجاهلية وأدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يره وكان من ساكني الكوفة ولم يكن له بها دار لبني نهد فلما قتل الحسين بن علي عليه السلام تحول فنزل البصرة وقال: لا أسكن بلدا قتل فيه بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ومن الناس من أظهروا فظهر احتجاجهم بكاءً ونواحاً وندبة ومن تمكن من الشعر قاله.

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج٧ص٩٨

١: ومن هؤلاء سليمان بن قتَّة العدوي الذي كان منقطعاً إلى بني هاشم، وصل إلى كربلاء بعد ثلاثة أيام من استشهاد الحسين عليه السلام فنظر إلى مصارع الشهداء واتَّكأ على فرس له عربية وأنشد أبياتاً منها:

مررتُ على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلَّت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة ... لقتل حسين والبلاد اقشعرَّت
وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزيَّة ... لقد عظمت تلك الرزايا وجَلَّت
وإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذلّ رقاب المسلمين فذلّت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده ... وأنجمها ناحت عليه وصلَّت

٢: ومن هؤلاء أيضاً عقبة بن عمرو السهمي، ويقال أنه أول من زار الحسين عليه السلام وناح على قبره، وروى شيخنا محمد بن محمد بن النعمان المفيد قدس سره في أماليه عن إبراهيم بن داحة أنه قال: أول شعر رثي به الحسين بن علي عليهما السلام هو قول عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف ابن غالب، وهو:

إذا العين قرَّت في الحياة وأنتُمُ ... تخافون في الدنيا فأظلَمَ نورُها
مررت على قبر الحسين بكربلا ... ففاض عليه من دموعي غزيرُها
فما زلت أرثيه وأبكي لشَجوِه ... ويُسْعد عيني دمعُها وزفيرُها
وبكيت من بعد الحسين عصائبَ ... أطافت به من جانبيها قبورُها
سلامٌ على أهل القبور بكربلا ... وقل لها مني سلامٌ يزورُها
سلامٌ بآصال العشي وبالضحى ... تؤدِّيه نكباءُ الرياح ومورُها
ولا برح الوفاد زوارَ قبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرها

٣: ومنهم الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي وهو من سادات قبائل طيء، وكان قد لقي الحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق وأخبره أن أهل الكوفة خاذلوه وأنهم مجتمعون على قتاله، وقال له: فأنشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبرا إلا فعلت، فإن أردت أن

تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أُنزلُك مناع جبلنا الذي يدعى أجأ، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنَذر وَمن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طئ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى ياتيك طئ رجالا وركبانا ثم أقم فينا ما بدا لك، فان هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله لا يُوصَل إليك أبدا ومنهم عين تطرف، فأبى الحسين عليه السلام، فلما رأى الطرماح ذلك استأذنه فقال له: دفع الله عنك شر الجن والإنس، إني قد امترت لأهلي من الكوفة ميرة ومعي نفقة لهم فآتيهم فأضع ذلك فيهم ثم أقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك، قال الحسين عليه السلام: فإن كنت فاعلا فعجل رحمك الله، قال: فعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل، قال: فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مرَّتك هذه شيئا ما كنت تصنعه قبل اليوم، فأخبرتهم بما أريد، وأقبلت في طريق بني ثعل حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاه إلي فرجعت.

٤: ومن الطبيعي أن يتفاعل هذا الاستعظام في صدور بعض محبي الحسين عليه السلام وشيعته ليصل إلى مرتبة المصادمة والرغبة في الثورة كما قد وصلت عندما خطب فيهم علي بن الحسين عليه السلام عند دخوله مع السبايا إلى الكوفة، فقالوا له: نحن كلنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك لنأخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمك.

٣- إحتجاجات عنيفة:

وربما تفاعل هذا الغضب والانفعال إلى حركات صدامية عنيفة كما تحقق هذا الأمر في عدة مواضع متفرقة قبل أن تتطور لتصبح ثورة عامة عارمة، وإليك الحركات الفردية العنيفة التي ذكرها المؤرخون مرتبةً بحسب الترتيب الزمني:

١- كان اول احتجاج عسكري على مقتل الحسين عليه السلام هو احتجاج قامت به امرأة!، وهذه المرأة هي امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد فلما كان أن قتل الحسين وأصحابه صلوات الله عليهم ورأت القوم قد اقتحموا على نساء آل محمد صلى الله عليه وآله في فسطاطهن وهم يسلبونهن أخذتها الغيرة والحمية التي فقدها الرجال، فأخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط ونادت: يا آل بكر بن وائل، أتُسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، لا حكم إلا لله، يا

لثارات رسول الله ﷺ. وانتهى هذا الاحتجاج بأن جاء زوج هذه المرأة فأخذها وردها إلى رحلها.

٢- روي عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: ما لي أرى الكوفة تضج، قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجي؟ فقال: الحسين بن علي عليه السلام، قال: فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهب وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر....

٣- عندما كان ابن زياد يضرب بقضيبه ثنايا أبي عبد الله عليه السلام احتج عليه بعض الصحابة وقيل هو زيد بن أرقم، فبكى وقال له: إرفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ عليهما ما لا أحصيه يقبلهما... ثم ذهب ينتحب ويبكي، حتى قال عبيد الله بن زياد: أبكى الله عينيك أتبكي لفتح الله، والله لولا أنك شيخ كبير قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فخرج زيد بن أرقم وهو يقول للحضور: يا معشر العرب أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة عليها السلام وأمّرتم ابن مرجانة، ومثل هذا الاحتجاج حدث عند يزيد كما ذكرناه فيما سبق فلن نعيده.

٤- إحتجاج عبد الله بن عفيف:

كان عبد الله بن عفيف الأزدي الغامدي من خيار شيعة علي عليه السلام وقاتل معه يوم الجمل فذهبت عينه اليسرى، ثم قاتل معه أيام صفين فذهبت عينه اليمنى، فبات بلا عينين فكان لا يفارق مسجد الكوفة يصلي فيه إلى الليل.

فلما جاء الخبر بقتل الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الأعظم – مسجد الكوفة – فصعد ابن زياد المنبر فقال:

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته!!!.

فلما سمع ذلك عبد الله بن عفيف قام، وقال: يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصدِّيقين.

فقال ابن زياد: من هذا المتكلم؟ فقال ابن عفيف: أنا المتكلم يا عدو الله، تقتلون الذريَّة

الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام، واغوثاه، أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد ﷺ رسول رب العالمين.

فقال ابن زياد: عليَّ به، فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور، وكان في المسجد عبد الرحمن بن مخنف الأزدي وهو سيّد الأزد فأحرجه هذا النداء، فقال يعني بكلامه عبد الله بن عفيف: ويح نفسك أهلكتها وأهلكَت قومك، فوثب فتية من الأزد فانتزعوا عبد الله بن عفيف، فأتوا به أهله إلى بيته، فأرسل عبيد الله بن زياد جماعة من حرسه ليحضروا عبد الله بن عفيف الأزدي، فحالت بينهم جماعة الأزد وأحلافهم، فجمع ابن زياد قبائل مضر وأرسلهم مع محمد بن الأشعث وأسر جماعة من أشراف الأزد وأمر محمد بن الأشعث الكندي أن يقتحم عليهم ويُحضر ابن عفيف، فاقتتل الفريقان ثم أفرجوا حتى اقتحموا الدار على ابن عفيف فصاحت ابنته: أتاك القوم، فقال لها: لا عليك ناوليني سيفي فناولته وجعل يقاتلهم وهو لا يَرَى فتكاثروا عليه وأسروه، وأتوا به إلى ابن زياد فقال له: الحمد لله الذي أخزاك، فقال ابن عفيف: يا عدو الله وبماذا أخزاني!! .

والله لو فُرِّج لي عن بصري   ضاق عليكم موردي ومصدري

قال ابن زياد: يا عدو الله، ما تقول في عثمان، فشتمه ابن عفيف، وقال يا ابن مرجانة، يا عبد بني علاج، ما أنت وعثمان، إن أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، والله تعالى وليٌّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل، ولكن سلني عن ابيك وعنك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال ابن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما إني قد كنت أسأل الله ربي أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلما كُفَّ بصري يئست من الشهادة، والآن الحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرَّفني الاجابة منه في قديم دعائي، فأمر به ابن زياد فضُربت عنقه وصلبوه في السبخة رحمة الله وصلواته عليه.

٥- احتجاج جندب بن عبد الله الأزدي:

ويروى أن جندب بن عبد الله الأزدي وهو من زهاد أصحاب رسول الله ﷺ. عندما بلغه ما حدث على عبد الله بن عفيف الازدي غضب وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخذوا والله عبد الله بن عفيف فقبَّح الله العيش بعده، فقام وجعل يقاتل حتى أخذوه وأسروه، فقال له عبيد

الله بن زياد: يا عدو الله، ألست صاحب علي بن أبي طالب يوم صفين، قال: نعم، ولا زلت له وليا، ولكم عدوا، لا أبرأ من ذلك إليك ولا أعتذر في ذلك وأتنصل منه بين يديك، فقال ابن زياد له: أما إني سأتقرب إلى الله بدمك، فقال جندب: والله ما يقربك دمي من الله، ولكنه يباعدك منه، وبعد فإني لم يبق من عمري إلا أقله، وما أكره أن يكرمني الله بهوانك، ثم شفع به بعض سادات المصر فأطلق سراحه.

٦- إحتجاج عبيد الله بن الحر الجعفي:

وكان عبيد الله بن الحر الجعفي من سادات الكوفة قد اعتزل قتال الحسين عليه السلام وخرج من الكوفة ونزل قصر بني مقاتل، فمرّ الحسين عليه السلام من هناك فرأى فسطاطاً مضروباً فقال عليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟، قيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، فقال عليه السلام: أدعوه لي وبعث إليه، فلما أتاه الرسول قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين عليه السلام وأنا فيها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني. فرجع الرسول إلى الحسين عليه السلام فأخبره، فقام الحسين عليه السلام بنفسه حتى جاء ودخل عليه فسلم وجلس، ثم دعاه إلى الخروج معه، فأعاد ابن الحر مقالته، فقال: فإلا تنصرنا فإياك أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك، فقال ابن الحر: أما هذا فلا يكون ابداً إن شاء الله.

وفي خبر آخر أن عبيد الله بن الحر الجعفي قال: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبته وأنا أروم شيئاً إلا بلغته ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه فدونكِ فخذه، فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه، ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنتُ متخذ المضلين عضداً، لكن فرّ فلا لنا ولا علينا فإنه من يسمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا كبَّه الله على وجهه في نار جهنم، ثم سار الحسين عليه السلام وهكذا لم يوفق الله ابن الحر ليكون من أنصار الحسين عليه السلام.

فلما أن كان بعد مقتل الحسين عليه السلام جلس عبيد الله بن زياد يتفقد سادات الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر الجعفي، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه، فقال له عبيد الله بن زياد: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب أو مريض البدن!، فقال ابن الحر: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد منَّ الله عليَّ بالعافية، فقال ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدوّنا، قال ابن الحر: لو كنت مع عدوك لرئي مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى، فقال ابن زياد: وما منعك من نصرة أمير المؤمنين يزيد، فقال ابن الحر: منعني من ذلك قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾، فغضب ابن زياد وهم بقتل عبيد الله بن الحر لكنه خاف من فتنة في الكوفة فسكت، ثم غفل عنه ابن زياد غفلة، فخرج ابن الحر

حتى قعد على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا: خرج الساعة، فقال: عليَّ به، أراد ابن زياد أن يعتذر منه ويرضيه، فأحضرت الشرط، فقالوا لابن الحر: أجب الأمير، فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أني لا آتيه والله طائعاً أبدا.

ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي، فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثم خرج مع أصحابه حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه ثم أنشد — وقد قيل أنه هو أول رجل أنشد وناح على قبر الحسين عليه السلام -:

يقول أمير غادر حق غادر	ألا كنت قاتلتَ الشهيدَ ابن فاطمة
فيا ندمي ألا أكون نصرته	ألا كلُ نفسٍ لا تُسدَّد نادمة
وإني لئن لم أكن من حُماته	لذو حسرة ما إن تفارق لازمة
سقى الله أرواح الذين تأزّروا	على نصرِه سقياً من الغيث دائمة
وقفت على أجداثهم ومجالهم	فكاد الحشا ينفضّ والعين ساجمة
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى	سِراعاً إلى الهيجا حماةً خضارمة
تآسوا على نصر ابن بنت نبيهم	بأسيافهم آساد غيل ضراغمة
فإن يُقتَلوا فكل نفس تقية	على الأرض قد أضحت لذلك واجمة
وما إن رأى الراءون أفضل منهم	لدى الموت سادات وزهرا قماقمة
أتقتلهم ظلما وترجو ودادنا	فدع خطةً ليست لنا بملائمة
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم	فكم ناقم منا عليكم وناقمة
أهمُّ مرارا أن أسير بجحفل	إلى فئة زاغت عن الحق ظالمة
فكفّوا وإلا زُرتكم في كتائب	أَشَدُّ عليكم من زحوف الديالمة

ثم خرج على ابن زياد وكان معه سبع مائة فارس يصول بهم ويجول ويغير على أطراف البلاد، وله قصيدة أخرى يتلهف فيها على تركه نصر الحسين عليه السلام يقول فيها:

فيا لك حسرة ما دمتُ حيا	تردَّد بين حلقي والتراقي

حسين حين يَطلبُ بذل نصري — على أهل الضلالة والنفاق
غداة يقول لي بالقصر قولا — أتتركنا وتزمع بالفراق
ولو أني أواسيه بنفسي — لنلتُ كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه — تولى ثم ودَّع بانطلاق
فلو فلق التلهفَ قلبَ حيٍ — لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأولى نصروا حسينا — وخاب الآخرون أولوا النفاق

وقال في هذا الأمر قصائد أخرى.

الباب الثاني
مقدمات ثورة التوَّابين

١- التوبة والندم:

شَعَر الشيعة بعظيم الندم على خذلانهم الحسينعليه السلام ورأوا أنهم أخطؤوا خطأً كبيراً لا يغسله عنهم إلا بقتل قتلة الحسين عليه السلام او الموت في هذا الأمر، فما زالت الشيعة من سنة إحدى وستين هجرية وهي سنة مقتل الحسينعليه السلام مشغولين بجمع آلة الحرب والإستعداد للقتال والدعوة السرية للشيعة ومحبي آل البيتعليهم السلام إلى الطلب بدم الحسينعليه السلام فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر، وهم في كل ذلك في سر لا يعلنون، وأخلصوا نياتهم وصدقوا جدَّهم في هذا السبيل حتى أدرك عبيد الله بن زياد ما تنويه الشيعة وما تسعى إليه فازداد بهم تنكيلاً وتشريداً حتى ملأ بهم السجون حتى كانت سجونه في الكوفة تحوي أكثر من أربعة آلاف وخمس مائة من أبطال شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وممّن جاهد معه ومن هؤلاء من كان مسجوناً من أيام معاوية، فكانوا في السجن مقيَّدين مغلولين يُطْعَمون يوماً – ثم لا يُطْعَمون يوماً – واستمروا كذلك في السجن إلى حين موت يزيد لعنه الله.

لما جاء البريد إلى الكوفة بخبر هلاك يزيد وشاع هذا النبأ وَثَبَ الناس على دار ابن زياد ونهبوا أمواله وخيله وقتلوا غلمانه وكسروا حبسه، فخرجت الشيعة وكان فيهم: سليمان بن صرد الخزاعي، وإبراهيم بن مالك الأشتر، ويحيى بن عوف، وصعصعة بن صوحان العبدي، وابن صفوان وغيرهم من الأبطال.

٢- اجتماع الشيعة:

وكان رؤساء الشيعة في الكوفة وأكابرهم خمسة رجال، هم: سليمان بن صُرَد الخزاعي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان شيخاً كبيراً عمره ثلاث وتسعون سنة وشهد حرب صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، والمسيَّب بن نَجَبَة الفزاري، وهو من رؤساء أصحاب

علي عليه السلام، وعبد الله بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التيمي[1]، ورفاعة بن شداد البجلي، وكان هؤلاء الخمسة من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فاجتمع الخمسة في دار سليمان بن صرد وكان في الدار أكثر من مائة من فرسان الشيعة ووجوههم.

٣- كلام المسيب بن نجبة:

بدأ المسيب بن نجبة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال: أما بعد فإنا قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾، فإن أمير المؤمنين عليه السلام قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مُغرَمين بتزكية أنفسنا وتقريظ شيعتنا حتى بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وآله، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسراً، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له النَصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وآله، وقد قُتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله، لا والله لا عذر دون أن تَقْتلوا قاتله والموالين عليه أو أن تُقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن، أيها القوم ولُّوا عليكم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفون بها.

٤- كلام رفاعة بن شداد:

فقام رفاعة بن شداد بعد المسيب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الله قد هداك لأصوب القول ودعوت إلى أرشد الأمور، بدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب لك، مقبول قولك، قلت: ولُّوا أمركم رجلاً منكم تفزعون إليه وتحفّون برايته، وذلك رأي قد رأيناه مثل الذي رأيت، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً وفينا متنصّحا وفي جماعتنا محباً، وإن رأيتَ رأيَ أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود في بأسه ودينه والموثوق بحزمه...

ثم تكلم الباقون بنحو هذا القول وتوافقوا الجميع فولوا عليهم سليمان بن صرد الخزاعي.

---

(١) تيم بكر بن وائل

٥- خطاب سليمان بن صرد:

قام فيهم سليمان بن صرد فخطب فيهم خطاباً كان شعاره للأيام التالية حيث جعل يردده كل جمعة حتى حفظه من حفظه، وفي هذا الخطاب:

... فإني والله لخائف ألا يكون أُخّرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية، وشمل فيه الجور أولي الفَضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ونمنّيهم النصر ونحثهم على القدوم، فلما قدموا ونينا وعجزنا وادّهنا وتربصنا وانتظرنا ما يكونَ حتى قُتل فينا ولد نبيناصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستَصرخ فلا يُصرخَ، ويسأل النصف فلا يُعطاه، إتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريَّةً للرماح حتى أقَصدوه وعدوا عليه فسلبوه، ألا انهضوا فقد سخط ربكم لا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا مَن قَتله أو تبيروا، ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذل...

٦- إجابة الشيعة:

فاستجاب الشيعة لهذا النداء فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال: والله لو علمت أن قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها، ولكن هذا أُمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه، فأُشْهد الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوي صدقة على المسلمين أقوّيهم به على قتال القاسطين.

فقال سليمان بن صرد: أخوكم هذا غداً فريس أولِ الأسنّة، وقال له: أبشر بجزيل ثواب الله للذين لأنفسهم يمهدون.

ثم قام غيره فردد قوله، وأمرهم سليمان بجمع أموال من يريد التبرع عند عبد الله بن وال التيمي وذلك لتجهيز ذوي الخلة والمسكنة من الشيعة.

٧- استنهاض الشيعة:

ثم إن سليمان بن صرد أمر ببث الدعوة بين الشيعة ومحبي أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الكوفة وغيرها فانتشر الدعاة هنا وهناك يدعون الناس إلى الثأر لدماء الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان في الدعاة رجالٌ مفوَّهون خطابةً وبلاغةً وقدرةً على اجتذاب الناس.

ويُحكى أن من أبلغ الدعاة عبيد الله بن عبد الله المرّي الذي قيل فيه: ما رأيت من هذه الأمة أحداً كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المرّي في منطق ولا عظة وكان إذا اجتمعت إليه جماعة من الناس وعظهم وبدأ بحمد الله والثناء والصلاة على رسوله ﷺ ثم يقول: أما بعد فإن الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه بنبوّته وخصه بالفضل كله وأعزّكم باتباعه وأكرمكم بالإيمان به... فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيها، وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ﷺ!! لا والله، ما كان ولا يكون، لله أنتم، ألم تروا ويبلغكم ما اجتُرم إلى ابن بنت نبيكم ﷺ، أما رأيتم الى انتهاك القوم حرمته، واستضعافهم وحدته، وترميلهم إياه بالدم، وتجرارهموه على الأرض، لم يرقبوا فيهم ربهم ولا قرابته من الرسول ﷺ، اتّخذوه للنبل غرَضاً، وغادروه للضباع جزراً، فللّه عينا من رأى مثله! ولله حسين بن علي عليه السلام ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم، ابن أول المسلمين إسلاما، وابن بنت رسول رب العالمين ﷺ، قَلَّت حُماته وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه، وخذله وليه، فويل للقاتل، وملامة للخاذل! إن الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح لله في التوبة ويُقيل العثرة، إنا ندعوكم إلى كِتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطلب بدماء أهل بيته عليهم السلام وإلى جهاد المحلّين والمارقين، فإن قُتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيِنا.

وكان رحمه الله يكرر هذا الخطاب كل يوم حتى حفظته العامة.

٨- استنهاض شيعة المدائن:

ثم إن سليمان بن صرد كتب إلى سعد بن حذيفة بن اليمان رحمه الله بالمدائن كتاباً مع عبد الله بن مالك الطائي، وكان في هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومَن قِبَله من المؤمنين سلام عليكم، أما بعد:

فإن الدنيا دارٌ قد أدبر منها ما كان معروفاً وأقبَلَ منها ما كان منكراً... وشيعة آل نبيكم ﷺ نظروا لأنفسهم فيما ابتُلوا به من أمر ابن بنت نبيهم ﷺ الذي دُعي فأجاب، ودعا فلم يُجَب، وأراد الرجعة فحُبس، وسأل الأمان فمُنِع، وترَك الناسَ فلم يتركوه، وعدوا عليه فقتلوه، ثم سلبوه وجرّدوه ظلماً وعدواناً وغِرَّة بالله وجهلاً، وبعين الله ما يعملون....

رأوا أن قد أخطؤوا بخذلان الزكي الطيّب وإسلامه وترك مواساته والنصر له خطأً كبيراً ليس لهم من مخرج ولا توبة دون قتل قَاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم، فقد جدَّ إخوانكم فجدّوا، وأعدوا واستعدوا، وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه، وموطناً يلقوننا فيه، فأما الأجَل فغُرَّة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة...

ثم حرضهم على التوبة ولو كان فِيها حزُّ الرقاب وقتل الأولاد واستيفاء الاموال وهلاك العشائر، وذكَّرهم بإخوانهم الذين استُشهدوا قبلهم صلباً وصبراً وتمثيلاً.

وصل هذا الكتاب إلى سعد بن حذيفة فقرأه وبعثه إلى من كان بالمدائن من الشيعة، وقال لهم: أما بعد فإنكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين عليه السلام وقتال عدوه فلم يفجأكم أول من قتله، والله مثيبكم على حسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة، وقد بعث إليكم أخوانكم يستنجدونكم ويستمدونكم ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ، فماذا ترون؟ وماذا تقولون.

فأجابوا جميعاً: نجيبهم ونقاتل معهم، ورأينا في ذلك مثل رأيهم.

ثم كتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد كتاباً يخبره فيه بموافقتهم على القتال، وجاء في الكتاب:

ونحن جادُّون مُجدُّون مُعدُّون مُسرجون مُلجمون ننتظر الأمر ونستمع الداعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نعرِّج إن شَاء الله والسَلام.

٩- استنهاض شيعة البصرة:

ثم كتب سليمان بن صرد إلى المثنى بن مخرِّبة العبدي وهو شيخ الشيعة في البصرة يستنهضه على النصرة، وبعث الكتاب مع ظبيان بنَ عمارة التميمي من بني سعد فلما وصل الكتاب إلى المثنى بن مخرِبة استجاب، وكتب إلى سليمان:

أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك، فنحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت، والسلام.

وكتب بأسفل الكتاب:

تبصَّر كأني قد أتيتك مُعلماً على أتلع الهادي أجش هزيم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبَه محش لنار الحرب غير سؤوم
أخي ثقة ينوي الإله بسعيه ضروب بنصل السيف غير أثيم

١٠- إعلان الثورة:

استمر سليمان بن صرد وأصحابه دائبين يدعون الناس إلى أمرهم سرّاً إلى أن هلك يزيد بن معاوية بعد ثلاث سنوات وشهرين من استشهاد الحسين عليه السلام، فعند ذلك تعاظم أمر سليمان بن صرد وأصحابه واشتهرت دعوتهم وأعلنوها علناً على الشيعة وغيرهم، فاستجاب لهم ناس كثير أضعاف من كان استجاب لهم سراً قبل هلاك يزيد، وانتقض أمر والي الكوفة عمرو بن حريث المخزومي خليفة الخبيث عبيد الله بن زياد، فوثب به الناس وأخرجوه من القصرِ، واستمرت الأمور هكذا إلى أن أصبحت الكوفة في ولاء عبد الله بن الزبير وتولاها من قِبله عبد الله بن يزيد الأنصاري، ولم يكن أمره في الكوفة مستَحْكَماً.

في هذه الأحوال المضطربة مالت القلوب إلى رفع السيف والشروع في طلب الثأر، ثم بدأ الشيعة بزعامة سليمان بن صرد يرتفع صوتهم وتبدر منهم بعض الأعمال الدالة على اشتداد عظمهم وتعاظم قوتهم وقوّة نفوذهم حتى أصبحوا يسعون خلف من يعثرون عليه من بني أمية أو من أنسابهم أو أنساب عبيد الله بن زياد أو من شايعهم وبايعهم على قتل الحسين عليه السلام فيقتلونه إذا قدروا على ذلك.

بل حاولوا في بعض الأيام أن يقتلوا عبيد الله بن زياد، وكادوا أن ينجحوا في ذلك إلا أن الحظ لم يحالفهم، وذلك أن الشيعة بزعامة سليمان بن صرد قد علمت من خلال عيونهم بالبصرة أن عبيد الله بن زياد ينوي ترك البصرة واللجوء إلى الشام، فخرج سليمان على رأس آلاف الفرسان فكمنوا في الطريق بين البصرة والشام، ولكن كان عبيد الله بن زياد قد احتاط للأمر وأخبر عمر بن الجارود فشدَّه وستره تحت بطن الناقة وجعل عليها القرب المنفوخة — ولكنها خالية من الماء — وجعل الناقة وسط النوق، ولقد انطلت هذه الحيلة على فرسان الشيعة الذين فتَّشوا القافلة ولم يعثروا على ابن زياد.

١١- وفاق الشيعة والسلطة:

ولم يزل الشيعة يقومون بنحو هذه الأعمال حتى تحدَّث الناس بالكوفة أن الشيعة بزعامة سليمان بن صرد سيخرجون في الكوفة، فقام أميرها عبد الله بن يزيد الأنصاري فصعد المنبر

فخطب في الناس وكان في خطابه:

بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو، فقيل لي: زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي عليه السلام، فرحم الله هؤلاء القوم، قد والله دُللت على أماكنهم وأُمرت بأخذهم، وقيل ابدأهم قبل أن يبدؤوك، فأبيتُ ذلك، فقلت: إنَ قاتلوني قاتلتهم، وانَ تركوني لم أطلبهم، وعلام يقاتلونني!! فوالله ما أنا قتلت حسيناً، ولا أنا ممن قاتله، ولقد أُصبت بمقتله رحمة الله عليه، فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين عليه السلام فقد أقبل إليهم، وأنا لهم على قاتله ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين عليه السلام وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجّه إليكم، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضاً.... ثم استمر يحرضهم على قتال عبيد الله بن زياد.

ووافق الشيعة على هذا الطرح فأعلنوا عزمهم على الخروج خارج الكوفة لقتال عبيد الله بن زياد، وكفُّوا السيف عن أهل الكوفة، وبهذا التوافق بين الشيعة بزعامة بن صرد وسلطة الكوفة بقيادة عبد الله بن يزيد الأنصاري تم السكون في الكوفة وخروج الشيعة ينشرون السلاح ظاهرين معلنين يتجهزون بآلة السلاح والكراع يجاهرون بالجمع والسلاح دون وقوع نكير من الشيعة على سلطان الكوفة ولا من سلطان الكوفة على الشيعة.

الباب الثالث

ثورة التوابين

١- خروج التوّابين من الكوفة:

وفي الموعد المقرر أي غرَّة ربيع الآخرة من سنة خمس وستين خرج سليمان بن صرد ومعه وجوه أصحابه حتى أتى النخيلة وهو المكان الموعود للإجتماع، فلم يعجبه عُدَّة الناس، فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل، وبعث الوليد بن غصين الكناني في خيل، وقال لهما: إذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا: يا لثارات الحسين عليه السلام، وابلغا المسجد الأعظم فناديا بذلك، فذهبا ودخلا الكوفة فكانا أول خلق الله دعوَا: يا لثارات الحسين، وكان صوتاً مدويا له وقع في نفوس الناس حتى قيل أن رجلا من الأزد يُقال له: عبد الله بن خازم كان معه امرأته وكانت من أجمل الناس وأحبهم إليه، فلما سمع صوت: يا لثارات الحسين عليه السلام، ولم يكن ممن استجاب للدعوة فوثب إلى ثيابه، فلبسها، ودعا بسلاحه وأمر بإسراج فرسه، فقالت له امرأته: ويحك، أجننْت!؟ قال: لا والله، ولكني سمعتُ داعي الله، فأنا مجيبه، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموتَ أو يقضي الله من أمري ما هو أحب إليه، فقالت له امرأته: إلى من تدع بُنيَّك هذا؟ قال: إلى الله وحده لا شريك له، اللهم إني أستودعك أهلي وولدي اللهم احفظني فيهم وتب عليّ مما فرّطت في نصرة ابن بنت نبيّك صلى الله عليه وآله.

كما يحكى أن كرب بن مرّان كان في المسجد يصلي فسمع: يا لثارات الحسين عليه السلام، فقال هو: يا لثارات الحسين، أين جماعة القوم، فقيل له: بالنخيلة، فخرج حتى أتى أهله، فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته واسمها الرّواع، فقالت: يا أبت مالي أراك تقلّدت سيفك ولبست سلاحك، فقال لها: يا بنيَّة، إن أباك يفر من ذنبه إلى ربّه، فأخذت تنتحب وتبكي، ثم ودعهم ولحق بالقوم.

وهكذا ما زالوا ينادون: يا لثارات الحسين حتى بعد صلاة العشاء واستجاب لهذا النداء عدد من كان في النخيلة وفي الصباح كان العدد أربعة آلاف فارس فقال سليمان بن صرد:

سبحان الله ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألف، وأرسل رسله إلى الذين تخلّفوا عنه يذكرهم الله وما أعطوه من العهود والمواثيق فوافاه نحواً من ألف رجل.

٢- قرار المسير:

وما لبث سليمان بن صرد أن عزم على المسير بمن معه فقام في الناس متكئاً على قوسه، وقال:

أيها الناس من كان إنما أخرجته إرادة الله وثواب الآخرة فذلك منّا ونحن منه ورحمة الله عليه حيا وميتا، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فيئاً نستفيئه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان رب العالمين، وما معنا من ذهبٍ ولا فضة، ولا خز ولا حرير، وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا، ورماحنا في أكفنا، وزاد قدر البُلغة إلى لقاء عدونا.

فقام أصحابه يتنادون من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا، ما أخرجنا والله إلا التوبة من ذنوبنا والطلب بدماء أهل بيت نبينا ﷺ، وقد علمنا بأنا إنما نقدم على حد السيوف وأطراف الرماح.

فقال لهم سليمان: رحمكم الله، فعليكم بطول الصلاة في جوف الليل وذكر الله كثيرا على كل حال، وتقربوا إلى الله تعالى بما استطعتم.

٣- إقتراح جديد:

تقدم عبد الله بن سعد بن نفيل إلى سليمان بن صرد وعنده رؤوس أصحابه فقال له: إنما خرجنا نطلب بدم الحسين عليه السلام، وقتلة الحسين عليه السلام كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل فأنّى نذهب ههنا وندع الأقتال والأوتار، وقد أعجب هذا الرأي جماعة من أصحاب سليمان بن صرد وكادوا أن يميلوا إليه إلا أن سليمان بن صرد أصرَّ على المسير إلى عبيد الله بن زياد رأسَ القَتَلة وأميرهم قائلاً: .... فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده اهون شوكة منه.

٤- إقتراح السلطان:

ثم جاء أمير الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصاري إلى سليمان بن صرد في النخيلة وعرض عليه البقاء معه للقتال معاً قائلاً:

أنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدوا علينا برأيكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتيسّر ونتهيأ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم، فأبى سليمان بن صرد إلا تعجيل المسير بأصحابه.

ثم عرض عليه عبد الله بن يزيد عرضاً آخر أن ينتظر حتى يرسل معه جيشاً كثيفاً فأبى سليمان إلا أن ينفرد بمن له هذه الغاية وهي ثارات الحسين عليه السلام.

٥- إعلان المسير وبدايته:

ثم إن سليمان بن صرد عزم على المسير فخطب الناس وحضَّهم على ذكر الله والعبادة وطول الصلاة في جوف الليل والتقرب إلى الله بكل خير وأخبرهم عن عزمه المسير ليلاً إلى دير الأعور.

سارت الجموع من النخيلة إلى دير الأعور، ثم من دير الأعور إلى أقساس مالك علي شاطئ الفرات، فعرض الناس فرأى أن قد نقصوا نحو من ألف رجل، فقال ابن صرد: ما أحبّ أن من تخلّف عنكم معكم، ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالا، إن الله عز وجل كره انبعاثهم فثبّطهم وخصّكم بفضل ذلك فاحمدوا ذلك.

ثم ساروا ليلاً من أقساس مالك فأصبحوا صباحاً عند قبر الحسين عليه السلام.

٦- عند قبر الحسين عليه السلام:

لما انتهت جموع التّوابين إلى قبر الحسين عليه السلام بكوا بأجمعهم ورفعوا أصواتهم ورموا أنفسهم عن دوابهم ونادوا صيحة واحدة:

اللهم ارحم حسيناً عليه السلام الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي، الصدّيق ابن الصدّيق، يا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وآله، فاغفر لنا ما مضى منّا وتب علينا إنكَ التواب الرحيم، وارحم حسيناً عليه السلام وأصحابه الشهداء الصدّيقين، وإنا نشهدك يا رب أنّا على مثل ما قتلوا عليه فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وما زالوا يومهم على قبر الحسين عليه السلام يبكون ويئنون ويتمنون أن يكونوا أصيبوا معه، فما رئي يومٌ كان أكثر باكياً من هذا اليوم.

وقال سليمان بن صرد: اللهم ارحم حسيناً عليه السلام الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي،

الصديق ابن الصديق، اللهم إنَّا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم.

٧- وداع الحسين عليه السلام:

استمروا بالبكاء والنحيب والتضرع يوماً وليلة حتى أصبحوا وصلُّوا الغداة عند قبر الحسين عليه السلام، فأمرهم سليمان بن صرد بالمسير، فجعل الرجل منهم لا يسير حتى يأتي قبر الحسين عليه السلام فيقوم عنده ويترحم عليه ويستغفر له حتى ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود، وهم يقولون:

اللهم إنا خرجنا من الديار والأموال وفارقنا الأهلين والأولاد، نريد جهاد الفاسقين المحلّين الذين قتلوا ابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله فتب علينا وارزقنا الشهادة...

وكان سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة عند القبر كلما دعا قوم وترحموا على الحسين عليه السلام قالا لهم: إلحقوا بإخوانكم، فما زال الحال كذلك حتى بقي نحو ثلاثين من أصحابه، فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال:

الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين عليه السلام، اللهم إذا حرمتناها فلا تحرمناها فيه بعده.

ثم قال عبد الله بن وال: إني لأظن حسيناً عليه السلام وأباه عليه السلام وأخاه عليه السلام أفضل أمة محمد وسيلة عند الله يوم القيامة، أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم، إنهم قتلوا اثنين وأشرفوا بالثالث على القتل.

فقال المسيب بن نجبة: فإنَّا من قتلهم ومن كان على رأيهم بريء إياهم أعادي وأقاتل.

فقال المثنى من مخرّبة: إن الله جعل هؤلاء الذين ذكرتهم بمكانهم مع نبيهم صلى الله عليه وآله أفضل ممن هو دون نبيهم صلى الله عليه وآله، وقد قتلهم قومِ نحن لهم اعداء ومنهم براء، وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال إرادة استئصال من قتلهم، فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نناله فإن ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة.

ثم تكلم كل واحد منهم بنحو ذلك وودّعوا القبر وساروا وقام وهب ابن زمعه الجعفي على قبر الحسين عليه السلام باكياً قائلا:

والله ما أشك أن صاحب القبر هو وجده وأبوه وأمه وأخوه أفضل عند الله وسيلة يوم القيامة من جميع الخلق، ألم تروا إلى ما فعل به وبأهل بيته المحلون، ولم يراقبوا فيه من ربه، ولا قرابته من نبيه، لكنهم جعلوه للنبل غرضا، وغادروه لملك باغ مطعما، فلله الحسين ولله يوم الحسين، لقد عاينوا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر، وعفاف وبر، وذا بأس ونجدة، وأمانة وشدة، فهو ابن أول المؤمنين، وابن بنت نبي رب العالمين، قلّت حماته، وكثرت عداته فويل للقاتل وملامة للخاذل.

ثم أنشد وهو يودّعه أبياتاً لعبيد الله ابن الحر الجعفي يقول:

تبيت النشاوى من أمية نوَّماً ... وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وما ضيَّع الإسلام إلا قبيلة ... تأمَّر نوكاها ودام نعيمها

وأضحت قناة الدين في كفّ ظالم ... إذا اعوجّ منها جانب لا يقيمها

فأقسمتُ لا تنفك نفسي حزينة ... وعيني تبكي لا يجف سجومها

حياتي أو تلقى أمية خزية ... يذلُّ لها حتى الممات قرومها

٨- التوابون في الطريق:

سارت جموع التوابين من كربلاء فلزموا الطريق الأعظم فارتجز بعضهم يقول:

خرجن يلمعن بنا إرسالا ... يحملن منا فتية أبطالا

وقد تركنا الأهل والأموالا ... والخفرات البيض والحجالا

نريد أن نلقى بها إقبالا ... الفاسقين الغدر الضلالا

لنرضي المهيمن المفضالا ... ونأمن العقاب والنكالا

واستمرت كتائب التوابين تسير إلى الجصَّاصة ومنها إلى الأنبار ثم وصلوا الصدود ثم القيَّارة، وفي القيَّارة وصل إلى سليمان بن صرد كتاب من والي الكوفة عبد الله بن يزيد يكرر في الكتاب دعوته جماعة التوابين أن ينضموا إلى جيشه، وفي الكتاب: .....

يا قومنا لا تُطمِعوا عدوَّكم في أهل بلادكم فإنكم خيار كلكم، ومتى ما يُصِبكم عدوّكم

يعلموا أنكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم، ... يا قوم إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة، وإن عدونا وعدوكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا...

رفض التوابون هذا العرض الذي سبق وأن رفضوه قبلاً في الكوفة وفي النخيلة، ورفضه سليمان، فقال: والله إنكم لم تكونوا قط أقرب من إحدى الحسنيين منكم يومكم هذا الشهادة والفتح، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل، إنا وهؤلاء مختلفون، إن هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً...

ثم كتب سليمان إلى عبد الله بن يزيد كتاباً يعلمه رفضهم لعرضه وفيه: .... إنا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، إن القوم قد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا إلى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، والسلام عليك.

فلما وصل الكتاب إلى والي الكوفة وقرأه قال: استمات القوم، أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم، وايم الله ليُقتَّلُنَّ كراماً مسلمين...

٩- التوّابون في قرقيسيا:

ثم سار القوم إلى مدينة هيت، ومنها وصلوا إلى قرقيسيا وعليها زُفر بن الحارث الكلابي، فوجدوا أهلها قد تحصنوا منهم ولم يخرجوا إليهم، فبعث سليمان بن صرد المسيب بن نجبة فقال له: ائت ابن عمك – أي زفر بن الحارث – فقل له: فليخرج إلينا سوقاً فإنا لسنا إياه نريد، إنما صمدنا لهؤلاء المحلّين، فخرج المسيب من نجبة حتى انتهى إلى باب قرقيسيا، فقال: افتحوا الباب، ممن تتحصَنون!! فقالوا: من أنت، قال: أنا المسيب بن نجبة، فأتى الهذيل بن زفر بن الحارث إلى أبيه فقال له: هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك وسألناه من هو، فقال: المسيّب بن نجبة، فقال زفر لابنه الهذيل: أما تدري يا بني من هذا، هذا فارس مضر الحمراء كلها، واذا عدّ من أشرافها عشرة كان أحدهم، وهو بعد رجل ناسك له دين، إئذن له، فأذنوا

له، فدخل على زُفر فأجلسه إلى جانبه وساءله وألطفه في المسألة، وقال للمسيِّب: إنا لم نغلق أبواب هذه المدينة إلا لنعلم إيانا اعتريتم أم غيرنا، إنا والله ما بنا عجز عن الناس ما لم تدهمنا حيلة، وما نحب أنا بُلينا بقتالكم، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسن جميلة، ثم أمر بإخراج السوق وأمر للمسيب بألف درهم وفرس، فقال المسيب: أما المال فلا حاجة لي فيه، والله ما له خرجنا، ولا إياه طلبنا، وأما الفرس فإني أقبله لعلي أحتاج إليه إن ظَلَع فرسي أو غمز تحتي.

ثم إن زفر بن الحارث استضاف القوم وقدّم لهم ما يلزمهم وخرج إلى سليمان بن صرد ليشّيعه وأصحابه فقال له: .... قد جاؤوكم (أهل الشام) في مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثَير وحدٌّ حديد، وأيم الله لقلَّ ما رأيت رجالاً هم أحسن هيئة ولا عدةِ ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك، ولكنه قد بلغني أنه قد أقبلت إليكم عدة لا تُحصَى.

فقال ابن صرد: على الله توكلنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

١٠- التهيئة للحرب:

ثم إن زفر عرض على سليمان أن يبقى معه في قرقيسيا ليقاتلا معاً جيش أهل الشام الآتي بقيادة عبيد الله بن زياد فأبى سليمان إلا المسير فودّعه ونصحه بما ينفعه في قتال أهل الشام، ونصحه بأن يسبقهم إلى عين الوردة ويعسكر هناك، ويقاتلهم هناك، وقَبل سليمان هذه النصيحة، فعبَّأ جيشه كتائب كما قال له زفر ثم جدَّ السير إلى عين الوردة، فَوصلها قبل أهل الشام، فعسكر في غربيّها وأقام بها خمساً لا يبرح حتى اطمأنوا واستراحوا حتى اقترب جيش أهل الشام، فقام سليمَان بن صرد في عسكره يحرّضهم على الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة والإخلاص في الحرب التي سعوا إليها، ثم قال لهم: إن أنا قُتلت فأمير الناس المسيّب بن نجبة، فإن أصيب المسيّب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفيل، فإن قُتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال، فإن قُتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعة بنَ شداد.

١١- وقوع الحرب:

ثم إن سليمان بن صرد أرسل المسيّب بن نجبة في أربع مائة فارس ثم قال له: سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم فشنّ فيهم الغارة.

سار المسيّب مع فرسانه فكان أول عسكر هو عسكر ذي الكلاع الحميري، فما شعروا إلا والفرسان في عسكرهم وهم غارّون فما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا فقتلوا منهم رجالاً

وجرحوا فيهم جراحات كثيرة وغنموا العسكر وانصرفوا إلى سليمان بن صرد، وكانت هذه الغارة الأولى التي انتصر فيها التوابون.

وصل الخبر إلى قائد جيش أهل الشام وهو عبيد الله بن زياد، فأرسل الحصين بن نمير على رأس إثني عشر ألف مقاتل، فجاء مسرعاً فاصطف الجيشان متقابلَين فدعا أهل الشام إلى بيعة عبد الملك بن مروان، ودعا التوابون إلى قتل عبيد الله بن زياد وبيعة أهل بيت النبيﷺ، فردَّ كلٌ من الجيشين دعوة عدوه، ثم حملوا على بعضهم والتحم الجيشان وكانت الدولة للتوابين حتى تراجع جيش الشام إلى معسكره، وما زال الظفر عامة اليوم حليف التوابين حتى حجز الليل بينهما.

١٢- اليوم الثاني:

فلما كان من صبيحة اليوم الثاني أقبل ابن ذي الكلاع بثمانية آلاف فانضم إلى الحصين بن نمير فأصبحا جيشاً واحداً عشرين ألف مقاتل بقيادة ابن نميرٍ، ثم حملوا على التوابين، وحمل التوابون عليهم، فوقع عامة اليوم قتال مهول لم ير الشيب والمرد مثله، وكان في التوابين رجال يمرّون بين الصفوف يحرّضون على القتال ويذكرون بالله وبلقاء الأحبة في الجنة والراحة من الدنيا، ولم يكن في هذا اليوم دولة لأحدهما حتى حجز الليل بينهما فتحاجزا.

١٣- اليوم الثالث:

فلما كان من صبيحة اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أقبل أدهم بن محرز الباهلي في عشرة آلاف فانضم إلى ابن نمير فأصبحوا ثلاثين ألفاً يمدُّهم من خلفهم عشرات الآلاف بقيادة عبيد الله بن زياد، وفي رواية أبي مخنف أن جيش عبيد الله بن زياد كان ثلاث مائة ألف فارس!، وكانت الفرقة المواجهة للتوّابين عددها مائة ألف.

١٤- شهادة سليمان بن صرد:

وكيف كان فقد حمل أهل الشام على التوابين في قتالٍ شديد ظهر فيه أهل الشام لكثرتهم، فأحاطوا بالتوابين من كل جانب وحينها نزل سليمان ابن صُرد فنادى: عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده إليّ، ثم كسر جفن سيفه – وهذه علامة الاستماتة عند العرب – وتقدم نحو أهل الشام وهو يقول:

إليك ربي تبت من ذنوبي وقد علاني في الورى مشيبي

فارحم عُبَيْداً غير ما تكذيب　　　واغفر ذنوبي سيدي وحوبي

فجاءه ناس كثيرون فنزلوا عن خيولهم وكسروا جفون سيوفهم ومشوا مصلِتين سيوفهم نحو أهل الشام، فقاتلوا مستميتين فاستشهد سليمان بن صرد رحمه الله.

١٥- شهادة المسيب بن نجبة:

فأخذ الراية المسيب بن نجبه وقال لسليمان بن صرد: رحمك الله يا أخي لقد صدقتَ ووفيت بما عليك، وبقي ما علينا، ثم شدَّ على أهل الشام كرّات عدة حتى استشهد، وكان قتاله مشهوداً حتى قِيل فيه: والله ما رأيت أشجع منه انسانا قط ولا من العصابة التي كان فيها... وما ظننت أن رجلا واحدا يقدر أن يبلي مثل ما أبلى ولا ينكأ في عدوه مثل ما نكأ، وكان يقول قبل مقتله:

قد علمت ميَّالة الذوائب　　　واضحة اللّبّات والترائب

أني غداة الروع والتغالب　　　أشجع من ذي لَبِد مواثب

قطّاع أقران مخوف الجانب

١٦- شهادة عبد الله بن سعد:

ثم أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نُفيل فقال: أخويّ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا، وفي الأثناء وصل مائة وسبعين مقاتل مقدمة التوابين من أهل المدائن فقالوا: أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة، فقال لهم عبد الله بن سعد: ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء، ثم حمل على أهل الشام فطعن فيهم وهو يقول:

ارحم إلهي عبدك التوابا　　　ولا تؤاخذه فقد أنابا

وفارق الأهلين والأحبابا　　　يرجو بذاك الفوز والثوابا

ثم شدَّ فقاتل حتى استشهد رَحِمَهُ اللهُ.

١٧- شهادة عبد الله بن وال:

وأخذ الراية عبد الله بن وال، فقال: من أرادِ الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده حَزَن، فليتقرب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحِلّين

والرواح إلى الجنة رحمكم الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية، ثم قاتل حتى كشف أهل الشام وهو يقول:

نفسي فداكم أذكروا الميثاقا ... وصابروهم واحذروا النفاقا

لا كوفة نبغي ولا عراقا ... لا بل نريد الموت والعتاقا

ثم كشفوه واستشهد رحمه الله.

ويروي أبو مخنف أن خسائر أهل الشام في هذه الوقعات الرهيبة كانت ما يزيد عن ستين ألف فارس، وأما شهداء التوابين فكانت ما يقارب الاربعة آلاف رحمهم الله جميعاً.

١٨- قرار الانسحاب:

عندما استشهد ابن وال أخذ الراية رفاعة بن شداد الذي كان يرى ضرورة الإنسحاب من المعركة ونصحه عبد الله بن عوف بن الأحمر بالصمود إلى الليل فينسحبون تحت غطاء الليل فيأخذون جرحاهم ويسيرون العشرة والعشرون، فاتبع رفاعة بن شداد هذه النصيحة وعمل بها.

حاول أهل الشام استئصالهم قبل الليل وجهدوا في هذا السبيل إلا أن التوابين صمدوا وكانوا فرساناً أشداء فصمدوا إلى العشاء.

١٩- قرار المستميتين:

ولكن في التوابين جماعات رفضوا الانسحاب، واستماتوا حين علموا بقرار الإنسحاب:

١: ومن هؤلاء الوليد بن غصين الكناني الذي رفض أن يمسك الراية فقال لرفاعة بن شداد: إني أريد لقاء ربي واللحاق بإخواني والخروج من الدنيا إلى الآخرة... ثم قاتل مع أصحابه يعينهم على الصمود والبقاء حتى الليل وقاتل حتى قتل قبل الانسحاب.

٢: ومن هؤلاء المستميتين الذين رفضوا الانسحاب فارس من بني كندة اسمه عبد الله بن عزيز الكندي (الكناني) وكان معه ابنه محمد غلام صغير فتقدم فنادى أهل الشام فقال: يا أهل الشام هل فيكم أحد من كندة (كنانة)؟، فخرج إليه رجال فقالوا: نعم نحن هؤلاء، فدفع إليهم ابنه وقال لهم: دونكم أخوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة فأنا عبد الله بن عزيز

الكندي، فقالوا له: انت ابن عمنا فإنك آمن، فقال لهم: والله لا أرغب عن مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللأرض أوتادا وبمثلهم كان الله يُذكر، عندما قال هذا القول أخذ ابنه الصغير يبكي في أثر أبيه، فقال: يا بني، لو أن شيئاً كان آثر عندي من طاعة ربي إذاً لكنت أنت، عند ذلك اشتد جزع ابنه وبكاؤه، فناشده قومه الشاميون أن يعود عن نيته حتى أخذتهم الرقة وبكوا وجزعوا، ولكنه اعتزلهم وشدَّ على الصفوف فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى وأرضاه.

٣: ومن هؤلاء المستميتين كريب بن زيد الحميري كان معه راية بلقاء على مائة فارس فبلغه عزم رفاعة بن شداد على الإنسحاب ليلاً فجمع أصحابه من حمير وهمدان، فقال لهم: عبادَ الله، روحوا إلى ربكم، والله ما من شيء من الدنيا خَلَف من رضاء الله والتوبة إليه، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم، فأما أنا فوالله لا أولي هذا العدو ظهري حتى أرد موارد إخواني، فأجابوه وقالوا: رأينا مثل رأيك، فحمل الراية ومضى متقدما نحو أهل الشامَ فرأى الراية من أهل الشام ابن ذي الكلاع الحميري، فقال: والله إني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية، فاقترب من الراية فسألهم فأخبروه، فقال لهم: إنكم آمنون، فقال له كريب ابن زيد، إنا قد كنا آمنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله جميعا.

٤: ومن هؤلاء المستميتين الذين رفضوا الانسحاب صُخير بن حذيفة بن هلال المزني في ثلاثين مقاتل من مُزينة فقال لهم: لا تهابوا الموت في الله فإنه لاقيكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم، ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإن ما عند الله خير لكم، ثم حمل أمام قومه، وهو يقول:

بؤسا لقوم قتلوا حسينا ... بؤسا وتعسا لهم وحينا
أرضوا يزيد ثم لاقوا شينا ... ولم يخافوا بغيهم علينا

ثم تقدموا فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله تعالى جميعا.

٥: ومن هؤلاء المستميتين رجل من مزينة اسمه عبيدة بن سفيان المزني انسحب مع المنسحبين، فلما غفِل أصحابه عنه عاد راجعا، فشدّ على أهل الشام بسيفه يقاتلهم وهو يقول:

إني من الله إلى الله أفر ... رضوانك اللهم أُبدي وأُسِر

وكان معرقباً فرسه، فقالوا له: ممّن أنت؟، فقال: من بني آدم، فقالوا له: ممّن؟، فقال: لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني، يا مخرّبي البيت الحرام، فقاتلهم، فشدّوا عليه من كل جانب وشد عليهم كأشد رجل حتى قُتل رَحمه الله. فعرفه رجل من أهل الشام، فقال لهم: ويحكم، هذا فارس مزينة قاطبة.

ومن هؤلاء المستميتين عبد الله بن غزية الذي وقف على القتلى وهو يهم بالإنسحاب: فخاطب القتلى من إخوانه وقال: يرحمكم الله فقد صدقتم وصبرتم، وكذبنا وفررنا، ثم سار منسحباً مع الناس حتى الصباح وإذا به مع عشرين رجلاً قد أرادوا الرجوع إلى العدو والاستقتال، فجاء إليه رفاعة بن شداد وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس، فقالوا له ولأصحابه: ننشدكم الله ألا تزيدونا فلولاً ونقصاناً فإنا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوي النيّات، ولم يزالوا يناشدوهم حتى ردوهم عما كانوا قد عزموا عليه من العودة فبقوا مع المنسحبين.

٢٠- إنسحاب الفلول:

وهكذا عندما جنَّ الليل وحجز بين الفريقين انسحب رفاعة بن شداد فيمن بقي معه من الفرسان، وذلك بعد أن دفنوا قتلاهم وسووا عليهم الأرض حتى لا تتميز القبور فلا تعرف خشية من أن يعمد أهل الشام إلى نبشها وأخذها.

وحمل الذين عُقر بهم أو الجرحى وسار بالقوم متستراً بالليل، وسار كل الليل والصباح وكان يعبر المعابر ولا يمضي على معبر إلا قطعه خلفه، فلم يزل كذلك مجدّاً حتى وصل قرقيسيا فاستضافهم زفر بن الحارث الكلابي كما استضافهم عند ذهابهم. ثم رجع كل رجل إلى قومه.

ويروى أن جماعة شهداء التوابين في هذه المعركة الكريمة قد بلغوا قريبا من ثلاثة آلاف شهيد، وأما الناجين المنسحبين من جيش التوابين فقد بلغوا سبع مائة رجل بمن فيهم الجرحى والمرتثين، ثم ما لبث أن مات منهم متأثرا بجراحه ما يقارب المائتين، وما بلغ الكوفة من التوابين إلا خمس مائة رجل، والأمر لله تعالى من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبهذا يكون قد انتهى فصل من أروع فصول التوبة والندم في هذه الأمة على مقتل سيد الشهداء سبط رسول الله الحسين بن علي عليه السلام.

وكان هؤلاء الذين استشهدوا من أكابر رجال الكوفة وأفضالهم وفرسانهم وشجعانهم وأبطالهم وأهل الدين المستبصرين، ولا أرى أنا العبد القاصر إلا أن الله تعالى وهو الكريم الغفور قد غسل بدمائهم التي أراقوها في عين الوردة ذنبهم في تخاذلهم عن نصرة الحسين عليه السلام في كربلاء إن كانوا من المتخاذلين، فصلى الله عليهم وحشرهم مع سيدهم ومولاهم الذين غضبوا له، ونسأل الله أن يختم لنا بشهادة تلحقنا بسيدنا ومولانا الحسين بن علي وأصحابه صلوات الله تعالى عليهم.

الفصل السادس

ثورة المختار والأخذ بالثأر

الباب الأول

تاريخ المختار

١- الإخبار بالمختار:

روي في الأخبار أن الحسين عليه السلام خطب بالقوم يوم عاشوراء يحذرهم وينذرهم، فقال عليه السلام في خطبته:

... ألا ثم تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم الرحى، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي صلى الله عليه وآله، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً فلا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبَّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضَربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرّونا وكذّبونا وخذلونا.

سلام الله عليك يا أبا عبد الله، فقد استجاب العلي الأعلى لكلامك فلم تنقض السنين حتى بعث الله تعالى غلام ثقيف — أعني المختار ابن أبي عبيدة الثقفي — فانتقم منهم كما ستأتيك أخباره، وإليك التفصيل:

٢- المختار مع مسلم بن عقيل:

المختار بن أبي عبيدة الثقفي كان عمره يومئذ ستين عاما، وكان من أعيان قومه ورجالاتهم، وكان ممن بايع مسلم بن عقيل حين أوفده الحسين عليه السلام، وقد نزل مسلم بن عقيل حين نزل الكوفة في دار المختار، وكان المختار مناصِحاً لمسلم بن عقيل في دعوته ولكنه كان يوم خروج مسلم بن عقيل خارج الكوفة في قرية تُدعى لقفا، وكان خروج مسلم بن عقيل وإعلانه الحرب على عبيد الله بن زياد فجأة على غير ميعاد، وعندما وصل الخبر إلى المختار أقبل في جماعته ومواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء، فوصلها بعد الغروب وكان

مسلم قد اختفى حينها، فوقف المختار على باب من أبواب المسجد واسمه باب الثعبان، ويقال له باب الفيل، لا يدري ما يصنع فأشاروا عليه بالسكون فسكن، فجاء إلى عمرو بن حريث صاحب راية عبيد الله بن زياد فسلَّم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح، وذلك أن أَخذ له الأمان من عمرو بن حريث على أن يشهد له عند عبيد الله بن زياد ويشفع له عنده.

٣- المختار عند ابن زياد:

وبعد ارتفاع النهار فُتح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس، فدخل المختار فيمن دخل، فدعاه عبيد الله بن زياد فَقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل، فقال له: لم أفعل، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبتٌّ معه وأصبحت معه، فقال عمرو بن حريث: صدق، فرفع عبيد الله بن زياد القضيب وضرب به وجه الختار فخبط به عينه فشترها، وقال له: أولى لك، أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، ثم أمر به إلى السجن.

وروى محمد بن إسحاق أن عبيد الله بن زياد قام على منبر الكوفة بعد عاشوراء مزهواً بنصره واستتباب الأمر له، فصعد على منبر الكوفة وبيده عمود من حديد، فخطب الناس، وقال في خطبته: الحمد لله الذي أعزّ يزيد وجيشه بالعز والنصر، وأذل الحسين وجيشه بالقتل، فقام إليه المختار فقال له: كذبت يا عدو الله وعدو رسوله، بل الحمد لله الذي أعز الحسين وجيشه بالجنة والمغفرة، وأذلّك وأذلّ يزيد وجيشه بالنار والخزي، فحذفه ابن زياد بعمود الحديد فكسر جبينه، وقال لجلاوزته: خذوه، فأخذوه، فقال له الناس: أيها الأمير: هذا المختار، وقد عرفت حسبه ونسبه، وختنه عمر بن سعد، وختنه الآخر عبد الله بن عمر، فأوجس في نفسه خيفة، فحبس المختار ولم يجترىء على قتله.

٤- المختار في السجن:

يروي ابن نما وغيره أن عبيد الله بن زياد أمر بالمختار وعبد الله بن الحارث بن عبد المطلب المعروف بـ(ببَّة) إلى الحبس، فلما أدخلوهما إلى الحبس التقيا في الحبس بميثم التمار رَحِمَهُ الله وهو من خاصة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وممن اغترف من عجائب علم علي عليه السلام، فقال ميثم للمختار: أنت تخرِج ثائرا بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الذي يريد قتلنا، وتطأ بقدميك على وجنتيه، ويروى أن ببّة علم في هذا السجن أنه لن يموت وأنه سيبقى حتى يلي أمر البصرة، وهذا ما حدث.

بقي المختار في السجن إلى حين قُتل الحسين عليه السلام وأُحضرت السبايا إلى مجلس عبيد الله بن زياد، فأمر ابن زياد بإحضار المختار، فلما أُحضِر المختاَر ورأى السبايا على هيئة منكرة

زفر زفرة شديدة وجرى بينه وبين ابن زياد كلام أغلظ فيه المختار، فغضب ابن زياد فأرجعه إلى السجن وعزم على أن يبقيه في السجن إلى أن يموت فيه، فجعله في السجن في طامورة تحت الارض بعشرين ذراعاً، مغلولة يده إلى عنقه، لا يستطيع الإلتفات يميناً ولا شمالاً بسبب القيد وهو مع ذلك قد اسودَّ وجهه وهو جريح وجرحه يخرِج القيح.

بقي المختار في سجن عبيد الله بن زياد، وكان ابن زياد لا يشك أنه يموت في حبسه، وقد جهد المختار في إيصال خبره إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب ليشفع له ويسعى في إخراجه من هذا السجن ولم يجد إلى ذلك حيلة حتى يسر الله له قضاء حاجته في قصة[1] طريفة أدت إلى أن يشفع فيه صهره وزوج أختِه عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى يزيد

---

(١) ملخص هذه القصة الطريفة التي رواها أبو مخنف أنه كان في الكوفة معلم صبيان ذو عقل وأدب وكان مواليا لأهل البيت (عليهم السلام) فشرب الماء مرة فقال: اللهم العن من قتل الحسين (عليه السلام) ومن منعه من شرب الماء، وكان في جملة الصبيان الذين يتعلمون عند هذا المعلم ولد سنان بن أنس النخعي الملعون، فلما سمعه قال: هكذا تسب الخليفة وتلعن الأمير عبيد الله بن زياد، ثم ما لبث الصبي أن جرح نفسه بسكين وفضخ رأسه بحجر وخضَّب وجهه بالدم، ثم مضى إلى أمه فلما رأته أمه صرخت وسألته فقال: إن المعلم شرب الماء ولعن الخليفة ولعن الأمير عبيد الله بن زياد فلما لمته على ذلك فعل بي ذلك، فما كان من أمه إلى أن أخذته بهذا الحال إلى دار ابن زياد صارخة حتى خرج سنان بن أنس وأخبرته الخبر فأدخله على ابن زياد وحكى له، فأمر ابن زياد بإحضار المعلم مكتوف اليدين مكشوف الرأس، فأحضروه على هذا الحال ثم أمر به إلى السجن حتى يسأل الشهود. فأمر أن يجعلوه في الطامورة وكان لها ثلاثة أبواب تحت الارض على كل باب قفل يُقفل ويُختم بخاتم عبيد الله بن زياد.قال المعلم -واسمه عمير بن عامر الهمداني – وهو يروي القصة: أدخلوني الباب الأول والثاني حتى نزلت تحت الطامورة بعشرين ذراعاً، فلما نزلتُ لم أبصر شيئاً، فصبرت ساعة حتى أضاء بصري فرأيتُ قوماً يستغيثون فلا يُغاثون، وسمعت في آخر الطامورة أنيناً عالياً، فأخطَيت الرقاب حتى وصلت إلى الأنين وإذا برجل مقيّد، مغلولة يداه إلى عنقه، وهو جالس لا يقدر أن يلتفت يمينا لا شمالاً، وهو يتنفّس الصعداء، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، ورفع رأسه ونظر إليّ، وإذا بشعره قد غطى عينيه ووجهه، فقلتُ: يا هذا، ما الذي جنيت حتى نزلت بك هذه المصيبة، فقال: استوجبت ذلك لأني من شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وموالي ولده الحسين (عليه السلام)، فقلت: من أنت من أصحاب الحسين (عليه السلام)؟، فقال: أنا المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، ثم قال المختار بعد أن عرف قصّته: ليس هذا موضع المعلّمين بل موضع من يأخذ بثأر الحسين (عليه السلام)،ولكن انت يا عمير لا تغتم وطب نفساً وقرَّ عينا فإنك تخرج عما قريب، ولم تمض الأيام حتى صار بين المعلم والمختار علقة، وما لبثا وهما يتحدثان ان سمعا فتح الأقفال، فقال المختار: هذه الساعة يفرّج الله عنك وتخرج، فقال عمير: والله يصعب عليّ فراقك وإن كنت كارهاً لهذا الموضع فلما وجدتك اشتهيت أن لا أفارقك طرفة عين، فقال المختار: أريد أن توصل إليّ ورقة ولو قدر شبر، وقلما ولو قدر ابهام، ومداداً ولو في قشرة جوزة، وعندما خرج المعلم من السجن لم يكن همّة إلا تحقيق حاجة المختار وبذل في سبيل ذلك الأموال وصادف أن السجان كان ممن يوالي أهل البيت (عليهم السلام) ويكتم أمره، فاستطاع أن يوصل للمختار ما أراد فكتب كتابين أحدهما إلى أخته واسمها صفيّة، وثانيهما إلى زوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب، أخذهما المعلم ولم يزل يجد السير أياماً وليالي حتى وصل إلى المدينة، فدخل دار عبد الله بن عمر وكانت زوجته أخت المختار لعظيم حزنها على أخيها لا تأكل وكان زوجها يحضر غرائب الطعام مطبوخاً ومشوياً لتأكل وهي تقول: لا آكل حتى أعرف خبر أخي بأنه طيب سالم، وما أن سمعت أن رجلا

بن معاوية فشفعه وكتب إلى ابن زياد يأمره بتخلية سبيله، فأخلي سبيله وأجّله ثلاثة أيام في الكوفة كي يخرج منها.

٥- خروج المختار من السجن:

خرج المختار من الكوفة إلى مكة وهو يتوعد عبيد الله بن زياد ويعلن أنه سيثأر للحسين بن علي عليه السلام وأنه سيقتل عبيد الله بن زياد وسيقتل على دماء الحسين عليه السلام عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام.

أقبل المختار إلى مكة فبايع عبد الله بن الزبير على أن لا يقضي الأمور دونه وعلى أن يكون أول من يأذن له، وأنه إذا ظهر وغلب استعان به على أفضل عمله، وبقي معه في مكة وقاتل معه أيام القتال أحسن القتال، واستمر على ذلك حتى هلك يزيد بن معاوية وعلا شأن عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق، ولكن عبد الله بن الزبير لم يف للمختار بما بايعه عليه فلم يستعمله على شيء، فتركه بعد خمسة أشهر من هلاك يزيد وقدم الكوفة معلناً شعار الثأر للحسين عليه السلام.

خرج المختار من مكة ليلا فلم يصبح إلا على مرحلتين منها فلما صار بالقرعاء لقيه رجل من الكوفة فسأله عن أحوالها فقال: خلفتهم كغنم لا راعي لها، فتبسم المختار، وقال: أنا والله راعيها الذي يحسن رعايتها، فتوجه نحو العراق، ولما وصل إلى القادسية عدل عنها إلى كربلاء واغتسل ولبس ثياب الزيارة وسلم على قبر الحسين عليه السلام واعتنقه وقبله وبكى، وقال: يا سيدي، آليت بجدك المصطفى صلى الله عليه وآله، وابيك المرتضى عليه السلام، وأمك الزهرا عليها السلام، وأخيك الحسن المجتبى عليه السلام، ومن قتل معك من أهل بيتك وشيعتك في كربلا، لا أكلت طيب الطعام، ولا شربت لذيذ الشراب، ولا نمت علي وِطيء المهاد، ولا خلعت عن جسدي هذه البراد، حتى أنتقم لك ممن قتلك أو أُقتل كما قُتلتَ، فقبح الله العيش بعدك.

من أهل الكوفة على باب دارها حتى خفق فؤادها وخرَّت مغشياً عليها، عندما قرأ عبد الله بن عمر الكتاب بكى وخنقته العبرة ودخل على زوجته فبشرها وأطلعها على الكتابين فبكت بكاءً شديداً وأصرت على زوجها أن تدخل على هذا المعلم الكوفي لتنظر إلى من نظر إلى غرّة أخيها، فأذن لها فدخلت عليه وجلست عنده واستخبرت أخباره واستقصت حتى وصف لها كل ما هو فيه من عبد وجروح فلما سمعت خرجت صارخة فجزّت شعرها وشعر بناتها ورمت به بين يدي زوجها فقال لها: ويلك ما هذا، فقالت: والله لا اجتمعت انا وأنت تحت سقف واحد وأخي على تلك الحال. عاجل عبد الله بن عمر الرسول إلى يزيد يطلب شفاعته في المختار وجعل مع الكتاب شعر زوجته وبناته، فلما وصل الرسول وهو هذا المعلم الكوفي بنفسه احتال بأنواع الحيل للدخول على يزيد فلما دخل وأقرأه الكتاب ورأى الشعور اصفرّ وجهه وتغيّر لونه وقضى في الإفراج عن المختار وكتب بذلك كتاباً إلى عبيد الله بن زياد، الذي وصله كتاب واضطر مرغما إلى إطلاق المختار من محبسه.

ثم ودع القبر وركب وسار إلى الكوفة حتى وصل نهرها وذلك يوم الجمعة فنزل عن راحلته واغتسل ولبس ثيابه واعتم بعمامة وتقلد سيفه ثم ركب فرسا له،، اقبل حتى دخل الكوفة نهارا جهارا، فجعل يمر بمجالس القوم فيسلم ويقول: أبشروا بالفرج فقد جئتكم بما تحبون، فأنا المُسَلَّط على الفاسقين، والطالب بدماء الطاهرين، ثم جاء المسجد الأعظم فنزل وصلى فيه ركعتين والناس يستشرفوه ويقولون: هذا المختار، وما قدم والله إلا لأمر عظيم.

٦- المختار في الكوفة:

وكانت الشيعة في الكوفة قد أوكلت أمرها إلى سليمان بن صرد الخزاعي إلا أن المختار لم يرتض ذلك وأعلن أنه هو المتولي لأخذ الثأر وطلب من الشيعة أن يناصروه وأن يتركوا سليمان بن صرد مستنداً في ذلك إلى أسباب ثلاثة:

الأول: أنه وكيل محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بمحمد ابن الحنفية فكان يقول للشيعة: إن المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء، وكان يقول: إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر ومعدن الفضل ووصي الوصي والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الأعداء وتمام النعماء.

الثاني: أنه يسعى إلى الثأر بعد إحكام الأمور، وأما سليمان بن صرد فإنما يسعى إلى الشهادة والتوبة، وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا - يعني سليمان بن صرد - إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصر بالحروب ولا له علم بها، إني إنما أعمل مثال قد مُثّل لي وأمر قد بيّن لي فيه عزٍّ وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم، فاسمعوا مني قولي، وأطيعوا أمري، ثم أبشروا وتباشروا، فإني لكم بكل ما تأملون خير زعيم.

الثالث: أن المختار كان يرى أن الثأر للحسين عليه السلام ينطلق من السيطرة على الكوفة، بخلاف مقولة سليمان بن صرد الذي كان يرى أن الثأر ينطلق من محاربة وقتال رأس قتلة الحسين عليه السلام وهم عبيد الله بن زياد وأهل الشام.

لأجل هذه الأسباب الثلاثة مال إلى المختار جماعة من الشيعة وعقدوا عليه وبايعوه على القتال معه وتركوا سليمان بن صرد واستمر في الدعوة إلى نفسه في أصحابه إلا أنه لم يعظم أمره لأن عامة شيوخ الشيعة كانت في دعوة سليمان بن صرد ولم يكن للمختار في ظل سليمان بن صرد إلا قليل من الأنصار والأعوان الذين اعتقدوا به ومالوا إليه.

٧- نبوءة المختار:

اشتهر عن المختار أنه كان ومن أول أمره يتنبأ بأنه سيقتل قتلة الحسين عليه السلام وقد روى المؤرخون كثيراً من هذه النبوءات على لسان المختار، وإليك بعض كلماته غير ما تقدم.

١- روى ابن العرق مولى لبني ثقيف قال: أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استَقبلتِ المختار ابن أبي عبيدة خارجاً يريد الحجاز حين خلّى سبيله ابن زياد، فلما استقبلته رحّبتُ به، وعطفت عليه فلما رأيتَ شتر عينه استرجعتُ له وقلت له بعدما توجّعتُ له: ما بال عينك، صرف الله عنك السوء، فقال: خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى، فقلت له: ما له شلّت أنامله، فقال المختار: قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأرجله وأعضاءه إرباً إرباً، فعجبتُ لمقالته، فقلت له: ما علمك بذلك رحمك الله، فقال لي: ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه... ثم قال المختار: .... إن الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرتُ فيه فقل: إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي عليه السلام، فوربك لأقتلن بقتله عدّة القتلى التي قُتلت على دم يحي بن زكريا عليه السلام، فقلت له: سبحان الله، وهذه الأعجوبة مع الأحدوثة الأولى، فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه.

٢- وعندما كان في مكة مضى فاستوطن في ثقيف مدة فكان يقول لهم: أنا صاحب الغضب ومبير الجبارين.

٣- دخل عليه يحيى بن أبي عيسى وحميد بن مسلم الازدي وهو في سجن الكوفة فقال لهما: أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفَين الأخيار لأقتلن كل جبّار بكل لدن خطّار ومهنّد بتّارَ في جموع من الأنصار ليسوا بميلٍ أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمتُ عمود الدين ورأبتُ شعب صدع المسلمين وشفيتُ غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر النبيين لم يكبر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى.

٨- سر النبوءات:

استغلّ أعداء المختار هذه النبوءات ليصفوه بالكهانة وهو وصف مقارن للوصف بالكذب والكفر في أذهان المسلمين في تلك الأيام، وبذلك استطاعوا أن يشيعوا بين الناس أنه كاهن كاذب سجّاع كافر، ومن ثم نشروا عنه أكاذيب وأفعال وأوصاف غريبة لا أصدق أنا شيئاً

منها، ولا أراه إلا مسلماً كريما أخذته الغيرة فثار للثأر بدماء الحسين عليه السلام وفقه الله إلى النصر، ولعل السبب في صدور هذه النبوءات الصادرة من المختار هي أن يكون المختار قد سمع بذلك من الصادقين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومنهم ميثم التمار، ولنا في ذلك خبر يقول بأنه عندما كان المختار في سجن ابن زياد كان في السجن معه عبد الله بن الحارث بن نوفل وصاحب علي عليه السلام ميثم التمار، فطلب عبد الله بن الحارث حديدة يزيل بها شعر بدنه يتهيأ للموت، وقال: لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيتُ ما على بدني من الشعر، فقال المختار : والله لا يقتلك ولا يقتلني ولا يأتي عليك إلا قليل حتى تل البصرة، فقال الميثم للمختار: وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام وتقتل هذا الذي يريد قتلنا — عبيد الله بن زياد — وتطأ بقدميك على وجنتيه.

الباب الثاني
دعوة المختار

١- نداء المختار:

عندما خرج سليمان بن صرد الخزاعي مع جماعة الشيعة من الكوفة إلى قتال عبيد الله بن زياد استغل أنصار عبد الله بن الزبير وقتلة الحسين عليه السلام ووالي الكوفة عبد الله بن يزيد هذا الأمر اعني غياب الشيعة من الكوفة، فمشى عمر بن سعد وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث وهم من قتلة الحسين عليه السلام، مشوا إلى والي الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصاري فقالوا له:

إن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان بن صرد إنما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد وخلّدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فساروا إليه فما شعر المختار إلا وقد أحاطوا به وبداره، فاستخرجوه وسجنوه وبقي في السجن إلى حين وصل الخبر بعودة رفاعة بن شداد على رأس التوابين المنسحبين من معركة عين الوردة، فكتب المختار إلى رفاعة بن شداد من السجن:

أما بعد فمرحباً بالعُصَب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضي انصرافهم حين قَفلوا، أما وربّ البنية ما خطا خاط منكم خطوة ولا رتا رتوة إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا، إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون، وأمير الجيش وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار، فأعدّوا واستعدوا وأبشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وإلى الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام.

وكتب بنحو ذلك إلى المثنى بن مخرّبة العبدي في البصرة وإلى سعد بن حذيفة بن اليمان في البصرة وإلى يزيد بن أنس وجماعة من أعيان الشيعة.

٢- إجابة الشيعة:

فكتبوا إليه وهو في السجن يقبلون دعوته – وأنهم مجتمعون عليه وإن شاء أخرجوه من السجن - فاستمهلهم، ولم يلبث أن شفع فيه عبد الله بن عمر ابن الخطاب عند وال الكوفة عبد الله بن يزيد وصاحبه إبراهيم بن محمد بن طلحة فأخرجاه من السجن بعد أن حلف لهما أنه لا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وأنثاهم أحرار.

٣- الإستئذان من محمد ابن الحنفية:

بعد استشهاد سليمان بن صرد تعاظمت دعوة المختار وهو في السجن فانتشر دعاته يبايعون الناس له، فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يتعاظم وهو في السجن، وبعد خروجه من السجن عظمت شوكته وأجمعت عليه الشيعة وقوي جانبه، وكان الذي قوّى جانبه، وشدّد أمره أن جماعة من أكابر الشيعة ووجهائهم اجتمعوا في منزل سِعر ابن أبي سِعر الحنفي، فقال جماعة منهم عبد الرحمان بن شريح الشبامي الهمداني:

إن المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا محمد ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى إبن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في اتّباعه اتبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فأجمع رأيهم على تعجيل الخروج فخرجوا حتى لقوا محمد ابن الحنفية فقالوا له: أما بعد فإنكم أهل البيت خصّكم الله بالفضيلة، وشرّفكم بالنبوة، وعظّم حقّكم على هذه الأمة، فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي مخسوس النصيب، قد أُصبتم بحسين عليه السلام عظمت مصيبة اختصصتم بها بعدما عمّ بها المسلمون، وقد قدم علينا المختار ابن أبي عبيدة يزعم لنا أنه قد جاءَنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك، ثم إنا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وان نهيتنا عنه اجتنبناه.

فقال لهم محمد ابن الحنفية: أما بعد فأما ما ذكرتم ما خصّصنا الله به من فضل فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلله الحمد، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين عليه السلام فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كُتبت عليه وكرامة أهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكان أمر الله مفعولاً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

وكانت هذه الكلمة من ابن الحنفية أكثر من كافية شافية إذ هي اذن صريح بقبول هذه الدعوة، فخرج هؤلاء الأشراف وقد فهموا الإذن بالخروج مع المختار.

٤- الإستئذان من زين العابدين عليه السلام:

وروى جعفر بن نما أن محمد بن الحنفية لم يأذن من رأسه بل قال لوفد الكوفة: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين عليه السلام فلما دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قال عليه السلام: يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر فاصنع ما شئت، فخرج وفد الكوفة وهم يقولون أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد ابن الحنفية.

٥- إجتماع الشيعة على المختار:

جاء الوفد إلى الكوفة وكثير من الشيعة ينتظرون مقدمهم ليعلموا الخبر، لكنهم دخلوا على المختار قبل أن يدخلوا على بيوتهم وقالوا له: قد أمرنا بنصرتك، فقال: الله أكبر، أنا أبو إسحاق، إجمعوا إلي الشيعة. فجمع له من كان قريباً مِنَ الشيعة فقام المختار فقال: يا معشر الشيعة، إن نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى، فسألوه عما قدمت به عليكم، فنبّأهم إني وزيره وظهيره ورسوله وخليله، وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين.

فقام هؤلاء الأشراف واحداً واحداً كل منهم يقرر ويقول بأنهم قدموا على محمد بن علي عليه السلام وأمرهم بمناصرة المختار ومؤازرته والانقياد له.

٦- إبراهيم بن مالك الأشتر:

انقادت الشيعة إلى المختار ولم يبق منهم إلا إبراهيم بن مالك الأشتر، وهو أحد أهم زعماء الشيعة ورؤساء عشائر اليمن، وكان لا نظير له وابن مالك الأشتر البطل المشهور الذي كان سيد الكوفة وعشائرها بلا منازع على الاطلاق.

وكان قد همَّ المختار أن ينطلق بثورته دون إبراهيم الأشتر إلا أن جماعة من أصحابه نصحوه وقالوا له: إن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا وألا يضرنا خلاف من خالفنا فإنه فتى بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عزّ وعدد.

فأمرهم المختار أن ينطلقوا ويسألوه النصرة، فجاؤوا إليه وقالوا له: إنا ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه الملأ من الشيعة إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلّين والدفع عن الضعفاء، وقال له بعضهم: إن أباك قد هلك وهو سيّد الناس، وفيك منه — إن رعيت حق الله — خَلَف، قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييتَ من ذلك أمراً قد مات، إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها، إنه قد بنى أولك مفتخراً.

فأجابهم الأشتر إلى دعوتهم إلا أنه رفض قيادة المختار فقال لهم: إني قد أجبتكم إلى ما وعدتموني إليه من الطلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته على أن تولوني الأمر، فقالوا له: أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو الرسول والمأمور بالقتال، وقد أُمِرنا بطاعته.

فلم يرتض الأشتر ولم يوافق وانصرفوا عنه خائبين، ورجعوا إلى المختار الذي أصرّ على إبراهيم فانتظر أياما ثم جاءه مع أصحابه فلم يعلموا إلا وهم على باب إبراهيم بن مالك الأشتر، فاستأذنوا ودخلوا وجلس المختار على فراش إبراهيم وقال: الحمد لله واشهد أن لا إله إلا الله وصلّى الله على محمد والسلام عليه أما بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد ابن أمير المؤمنين الوصي عليه السلام، وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا فإن فعلت اغتبطت، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله محمداً وأولياءه عنك. ثم أراه الكتابَ فإذا فيه:

٧- كتاب محمد ابن الحنفية إلى الأشتر:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيّي الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء اهل بيتي، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنك إن نصرتني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة، ولك بذلك أعنّة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام، عليّ الوفاء بذلك عليَّ عهد الله، فإن فعلت ذلك نلتَ به عند الله أفضل الكرامة، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً، والسلام عليك.

٨- موافقة ابن الأشتر:

فلما انتهى إبراهيم من قراءة الكتاب ارتاب أن يكون كتبه محمد ابن الحنفية، فقال: فمن

يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفيّة إليّ فقام جماعة من سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب (بضعة عشر نفراً)، فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي عليه السلام إليك.

قبل إبراهيم شهادتهم فقام عن مجلسه وأجلس عليه المختار وبايعه ودعا عشيرته وإخوانه ومن يطيعه إلى طاعة المختار وأمسى إبراهيم الأشتر يروح كل عشية إلى المختار، وببيعة إبراهيم للمختار تمّت العدة فتشاوروا في أمرهم واجتمع رأيهم على الثورة وحددوا الوقت ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ست وستين.

الباب الثالث

ثورة المختار

١- الثورة:

هيأ المختار عدة الثورة واختلفت إليه رجاله وأُحصي عدد الذين بايعوه على الثورة فكانوا اثني عشر ألف رجل، ثم علمت شرطة الكوفة بذلك وكان على رأس الشرطة إياس بن مضارب فجاء إلى والي الكوفة عبد الله بن مطيع، فقال له: إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين، ثم قال له: لو بعثت في كل جبّانة بالكوفة عظيمة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة هاب المريبُ الخروج عليك.

٢- إستنفار السلطة في الكوفة:

وهكذا قررت قيادة الكوفة استنفار رجالها وهم عشرات الآلاف (أي سائر مجتمع الكوفة عدا الشيعة منهم) والسيطرة على طرق الكوفة الداخلية ومداخلها ومخارجها وجبّاناتها ومواضع الاجتماع، وجمع رجال الكوفة ومنع الحركة.

فكانت الرؤوس هم إياس بن مضارب على رأس الشرطة كلها، وراشد ابنه في كناسة الكوفة وحول السوق، وعبد الرحمان بن سعيد بن قيس الهمداني في جبّانة السبيع، وكعب ابن أبي كعب الخثعمي في جبّانة بشر، وزحر بن قيس في جبّانة كندة، وشمر بن ذي الجوشن في جبّانة سالم، وعبد الرحمان بن مخنف بن سليم الأزديِ في جبّانة الصائديين، ويزيد بن الحارث بن رؤيم في جبّانة مراد، وشبث بن ربعي في السَّبَخة، وكل هؤلاء رؤوس عشائر مطاعون ومطيعون لوالي الكوفة وأعداء للشيعة وللمختار، ومعظمهم من قتلة الحسين عليه السلام، ولذا كانوا عازمين على منع قومهم أو غيرهم من أي حدث فملؤوا هذه الجبابين وحشوها بالعساكر.

وكان هذا الاستنفار يوم الاثنين أحد عشر من ربيع الأول سنة ست وستين، أي قبل ثلاثة أيام من الموعد المحدد لثورة المختار.

٣- شرارة الثورة:

ولكن وقبل ليلة واحدة من الموعد المقرّر للثورة فيما كان إبراهيم بن مالك الأشتر يسير إلى دار المختار على رأس كتيبة من أصحابه نحو مائة مقاتل عليهم الدروع تحت الأقبية وليس معهم سلاح إلا السيوف، وكان إبراهيم الأشتر قد أنف أن يخضع لاستنفار السلطة وإرهابها فأبى إلا أن يسير بهذا النحو وإلا أن يمر وسط الكوفَة جانب القصر ووسط السوق، فرآه إياس بن مضارب رئيس الشرطة فقال للجمع: من أنتم؟ ما أنتم؟ فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال إياس: ما هذا الجمع معك؟ وما تريد؟ والله إن أمرك لمريب، وقد بلغني أنك تمر كل عشية ههنا، وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه، فقال إبراهيم: لا أبا لغيرك. خلّ سبيلنا، فقال إياس: كلا والله لا أفعل، فقال إبراهيم لصديق له من الشرط من أصحاب إياس اسمه أبو قطن ومعه رمح طويل: أدن مني، فظن أبو قطن أنه يريد أن يجعله شفيعه لأنه صديقه، فدنا منه فتكلم معه وتناول إبراهيم الرمح من يد أبي قطن وقال: إن رمحك هذا الطويل، فعاجَلَه وأخذه وقال لإياس بن مضارب: يا عدو الله، ألست من قتلة الحسين عليه السلام، ثم حمل بالرمح على إياس بن مضارب فطعنه في نحره وصرعه، وقال لرجل من قومه: انزل عليه فاحتز رأسه، فنزل واحتز رأسه وتفرقت الشرطة.

ومضى إبراهيم إلى المختار فقال له: حدث أمر لا بد من الخروج الليلة، قال المختار: ما هو؟ قال إبراهيم: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب، فقال المختار: فبشّرك الله بخير، فهذا طير صالح، وهذا أول الفتح إن شاء الله.

٤- إندلاع الثورة:

وهكذا أعلن المختار ساعة الثورة، وأمر أصحابه فنادوا بشعارهم المشهور (يا منصور أمت) وأشعلوا النيران ورفعوها للمسلمين، ونادى المنادي: يا لثارات الحسين عليه السلام، وكانت الخطة أن يبقى المختار في داره يضم إليه من يأتيه من الشيعة وأن يدور إبراهيم الاشتر في نواحي الكوفة وفي قومه لينضم إليه من لا يتمكن من المجيئ إلى دار المختار حذراً من رجال ابن مطيع المنتشرين في كل نواحي الكوفة ولا سيما بعد مقتل إياس، ثم يرجع إلى المختار بمن انضم إليه.

خرج إبراهيم الاشتر في كتيبته يسير في سكك الكوفة طويلاً من الليل فمرّ في مسجد

السكون وجبّانة كندة وجبانة أثير، ووصل الكناسة ولم يدخلها، ثم مرّ بمسجد الأشعث، وقد التقى في أثناء سيره هذا كتائب وخيول للأعداء فكان يشدُّ عليهم ويهزمهم، وربما شدَّ على كتائب تفوقه عدّة وعدداً فيهزمهم ويشردهم ويقول لأصحابه: يا شرطة الله إنزلوا فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله ﷺ، ولقد تعجب أعداؤه من هذه الانتصارات التي يحققها الأشتر حتى قالوا: إن هذا الأمر يُراد، ما يلقون لنا جماعة إلا هزمزهم.

ثم رجع إبراهيم الأشتر الى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون يحاصرهم شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر، فعندما علموا بمجيء ابراهيم الاشتر من خلفهم تفرقوا وذهبوا في الأزقة والسكك.

وعندما اجتمع إبراهيم بالمختار قررا الخروج من الدار إلى السبخة في ظهر دير هند، وأرسلوا الكتائب في الأحياء والسكك لتخبر الشيعة بموقع المختار، ومن هؤلاء، أبو عثمان النهدي الذي خرج في جماعة من أصحابه ينادي: يا منصور أمت ويا لثارات الحسين عليه السلام، ألا إن أمير آل محمدﷺ ووزيرهم قد خرج من منزل دير هند وبعثني إليكم داعيا ومبشرا، فاخرجوا إليه يرحمكم الله، فخرجت الشيعة من بيوتهم يتداعون وينادون: يا لثارات الحسين، وقاتلوا من منعهم حتى خُلّي لهم الطريق، فلم ينبلج الفجر حتى كان قد اجتمع للمختار ثلاثة آلاف وثمانمائة مقاتل منَ أصل اثني عشر ألفاً بايعوه.

وكانت هذه الليلة ليلة ليلاء مهولة شبَّهوا القتال فيها بالقتال ليلة الهرير في صفين لهولها وشدتها ولولا بأس الشيعة وصبرهم وما أبلوه ولا سيما الأشتر والمختار وغيرهما من صناديد الشيعة لما كان بالامكان لهم أن يصمدوا هذه الليلة.

ويروى أن ممن انضم في هذه الليلة إلى جانب المختار عبيد الله بن الحر الجعفي فجاء في جماعة قومه وقاتل قتالاً شديداً.

٥- الانتصار الأول:

علم والي الكوفة عبد الله بن مطيع بخروج المختار وبمقتل إياس ين مضارب رئيس شرطته فولّى مكانه ابنه راشد بن إياس في نفس الليلة وأمر فنادى المنادي: ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة، فتوافى الناس إلى المسجد، فبعث شبث ابن ربعي في ثلاثة آلاف، وراشد بن إياس في أربعة آلاف وبعث حسان بن فائد العبسي في ألفين،

وعمرو بن الحجاج في ألفين، وشمر بن ذي الجوشن في ألفين، ونوفل بن مساحق بن مخرمة في خمسة آلاف، فكانت عساكر الكوفة الذين حاربهم المختار نحواً من عشرين ألف مقاتل، فأرسل المختار إبراهيم الاشتر ليقاتل راشد بن إياس، ونعيم بن هبيرة ليقاتل شبث بن ربعي فهُزِم وقُتل نعيم بن هبيرة وأُسر أصحابه وتفرق الباقي، فوصل خبر هزيمته إلى المختار وأصحابه فدخلهم همٌ عظيم، وجاءهم شبث بن ربعي فحاصرهم، وأما ابراهيم الاشتر فإنه لقي راشد بن إياس بن مراد فقال لأصحابه: لا يهولنَّكم كثرة هؤلاء فوالله لرُبَّ رجل خيرٌ من عشرة، ولرُبَّ فئة قليلة قد غلبت فئةً كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين، ثم شدوا عليهم واشتد القتال فما لبث أن قتلوا راشد بن إياس وانهزم أصحابه.

ثم مضى ابراهيم بن الأشتر فوافى حسان بن فائد العبسي فما لبث أن هزمه وأسر حسان بن فائد ثم أمَّنوه فأطلقوا سراحه.

لما وصل الخبر بهذه الانتصارات إلى أصحاب المختار المحصورين كبّروا وصمدوا واستعدوا للحملة على شبث بن ربعي وجثوا على الركب وهم كذلك فإذا بابراهيم الأشتر وأصحابه قد حملوا على شبث بن ربعي وأصحابه حتى هزموهم وأدخلوهم بيوت الكوفة.

٦- السيطرة على الكوفة:

وبهذا يتحقق الانتصار الأول على جيوش الكوفة المعادية، إذ رجعت هذه الآلاف منهزمة إلى ابن مطيع وقد فتّ في أعضادهم مقتل راشد بن إياس، إجتمعت جماعة المختار خارج الكوفة عند مسجد وبيوت مزينة وأحمس وبارق، واجتمعت جماعة ابن مطيع في وسط الكوفة، أرادوا إعادة تنظيم صفوفهم، فقال إبراهيم الاشتر للمختار: قد هزمهم الله وفلّهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل ههنا!! سر بنا فوالله ما دون القصر أحد يمنع ولا يمتنع كثير امتناع.

قَبِل المختار هذه النصيحة وبذلك تم القرار الهام بالزحف نحو قصر الإمارة وأي جيش للعدو يجدوه في الطريق لا يصمدوا له بل يسرّحوا له كتيبة من كتائبهم ويستمروا بالمسير نحو القصر ليقتحموه، وهذا ما حدث إذ أمر المختار كل جريح أو ذي علة أو كبير السن أن يبقى في الموضع ويضع الباقي فيه وكل متاع وثقل وساروا إلى داخل الكوفة على مقدمتهم إبراهيم الأشتر.

في طريقهم التقوا بعمرو بن الحجاج فتركوا له يزيد بن أنس ليصمد له، واستمروا بالمسير، ثم التقوا بشمر بن ذي الجوشن فتركوا له سعيد بن منقذ الهمداني، واستمروا بالمسير، فالتقوا

نوفل بن مساحق في خمسة آلاف فاصطفّ له إبراهيم بن الاشتر وأمر الخيول وقرّبها من بعضها ثم قال: امشوا إليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنَّكم أن يُقال جاءكم شبث بن ربعي وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل يزيد بن الحارث وآل فلان فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة، ثم قال: إن هؤلاء لو قد وجدوا حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب، ثم هيَّأ نفسه ثم شدَّ على القوم، وقال: شُدُّوا عليهم فدىً لكم عمي وخالي، فما لبث أن هزمهم وركب بعضهم بعضاً، ووصل الأشتر إلى نوفل بن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه ليضربه، فقال ابن مساحق: يا ابن الأشتر، أنشدك الله، أتطلبني بثأر، هل بيني وبينك من إحنة؟، فخلى الأشتر سبيله، وقال له: اذكرها.

٧- استسلام سلطة الكوفة:

وبهذه الهزيمة لم يبق بين الأشتر وبين القصر أحد، فساروا ودخلوا الكناسة ثم السوق والمسجد، ثم حاصروا القصر وتفرقت شراذمة الناس والشرطة وغيرها ولم يبق مع ابن مطيع في القصر إلا جماعة من أعيان ووجهاء الكوفة، والكل محاصر غير قادر على أي فعل وقد جاءت بقية المبايعين إلى المختار حتى استتموا معه عشرة آلاف مقاتل.

استمر الحصار ثلاثة أيام، وبعدها فرَّ ابن مطيع خارج القصر واختبأ في دار أبي موسى الأشعري، وأما بقية من في القصر فإنهم أخذوا الأمان من ابن الأشتر، ثم فتحوا القصر وخرجوا منه ودخله المختار وبايعه الناس وأشراف الكوفة.

وبذلك تم انتصار المختار وسيطرته على الكوفة وبث عماله في آذربايجان وأرمينية وجوخى وحلوان وغيرها من نواحي أعمال الكوفة.

٨- نصرة أهل البيت عليهم السلام:

كان عبد الله بن الزبير كما تقدم قد بويع له بالخلافة واستولى على الحجاز وعلى البصرة في العراق، وكان هذا الرجل من ألد أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله، وكان يهددهم ويتوعدهم حتى يبايعوا له، وهم يأبون ذلك إلى أن حصرهم في مكة وهدَّدهم بالقتل والحرق بالنار إن لم يبايعوا له، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم، وضرب لهم أجلاً.

فبعث محمد ابن الحنفية ثلاثة رجال من أصحابه إلى المختار وإلى من بالكوفة يعلمهم الحال ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين عليه السلام وأهل بيته، وصل الرسل إلى المختار

فدفعوا إليه الكتاب، فبكى ونادى في الناس فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب، وقال: هذا كتاب مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم ﷺ وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار.... فانتدب من الشيعة أربعة آلاف فارس على رأسهم أبو عبد الله الجدلي إلا أنه سرحهم على وجه السرعة قطعات قطعات تتلو بعضها بعضاً دون انتظار، كل قطعة المائة ونحوها.

فجدّ أبو عبد الله الجدلي السير بمن معه من أولي القوة ما يقارب المائة والخمسين، فوصل المسجد الحرام فدخل هو وأصحابه المسجد وهم ينادون: يا لثارات الحسين عليه السلام، فانتهوا إلى زمزم قبل أجل التحريق بيومين، ووجدوا الحطب العظيم قد أحاط بذرية آل محمد ﷺ ليشعل به عند انقضاء الأجل، فطردوا الحرس، وطمع بهم ابن الزبير ظناً منه أن هؤلاء كل الجيش وكاد يقاتلهم عند المسجد الحرام، لكن ما لبث أن بدأت الرايات تصل تباعاً، فوصل أبو المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وظبيان ابن عمارة في مائتين، دخلوا المسجد يكبرون وينادون: يا لثارات الحسين عليه السلام، ولم تمض الأيام حتى اجتمع مع محمد ابن الحنفية اربعة آلاف رجل فهابه ابن الزبير وكفَّ عنه.

ثم بعث المختار بجيش من ثلاثة آلاف على رأسهم شرحبيل بن ورس إلى المدينة، فالتقى بجيش للزبير على رأسه عباس بن سهل بن سعد بالرقيم فكايدهم عباس بن سهل وأخذهم غيلة فأفنى الجيش عن آخره إلا ثلاثمائة رجل تمكنوا من الفرار وقتل شرحبيل بن ورس.

الباب الرابع
الثأر من قتلة الحسين عليه السلام

١- النبوءة بقتل قتلة الحسين عليه السلام:

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال عن الحسين عليه السلام: اللهم اخذل من خذله، واقتل من قتله، واذبح من ذبحه، ولا تمتعه بما طلب.

كما ورد عن الحسين عليه السلام أنه قال في كربلاء يدعو على جيش اليزيديين: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحدا...

وما كان الله تعالى بالذي يخيّب عبده فاستجاب لرسوله صلى الله عليه وآله كما استجاب للحسين عليه السلام، ولم تمض السنون حتى أذنَ الله بفناء القتلة أعداء الله بأن سلّط عليهم شيعة آل البيت الأطهار عليهم السلام.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: تظاهرت الأخبار أنه لم ينج أحد من قاتلي الحسين عليه السلام من قتل أو بلاء افتضح به قبل موته.

٢- إنتقام الله تعالى:

لقد انتقم الله تعالى من قتلة الحسين عليه السلام بطرق شتى وسنتعرض في هذا البحث لمن انتقم الله منه بطريقة إعجازية، ولن نستطيع أن نذكر كافة الأخبار والحكايات الواردة في هذا الشأن نظراً إلى كثرتها وضعف أسانيد أو رواة بعضها فمن أراد تتبعها فليراجع كتاب مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني فقد ذكر من ذلك الشيء الكثير، إلا أننا لن نخلي كتابنا هذا من اليسير تبركاً، فنقول:

١- روى عن عبد الله بن رباح القاضي قال: لقيت رجلا مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فسئل عن بصره، فقال: كنت شهدت قتل الحسين عليه السلام عاشر عشرة غير أني لم أطعن

برمح ولم أضرب بسيف ولم أرم بسهم، فلما قُتل رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الآخرة ونمت، فأتاني آت في منامي فقال: أجب رسولَ الله ﷺ، فقلت: مالي وله، فأخذ بتلابيبي وجرَّني إليه فإذا النبي ﷺ جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه آخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي العشرة، فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً، فدنوت منه وجثوت بين يديه، وقلت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ فلم يرد عليّ، ومكثَ طويلاً ثم رفع رأسه وقال: يا عدو الله، انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقّي وفعلتَ وفعلتَ، فقلت: يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال: صدقت ولكنك كثّرت السواد، ادنُ مني، فدنوت منه، فإذا طست مملوء دماً، فقال لي: هذا دم ولدي الحسين عليه السلام، فكحلني من ذلك الدم، فانتبهت وحتى الساعة لا أبصر شيئاً.

٢- وروي عن رجل من بني أبان بن دارم قد اسودّ وجهه بعد أن كان جميلاً شديد البياض، فقيل له في ذلك، فقال: إني قتلت شاباً أمرد (أبيض) مع الحسين عليه السلام بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي، وقالت جاريته: ما يدعنا ننام الليل من صياحه، وسألوا امرأته، فقالت: قد أبدى على نفسه، قد صدقكم.

٣- وكان رجل لا تزال تفوح منه رائحة القطران، فسألوه فأخبرهم أنه كان يبيع أوتاد الحديد في جيش عمر بن سعد لعنه الله، فرأى في منامه علياً عليه السلام فسقاه قدحاً من القطران فلما استيقظ ما زال يبول القطران ثلاثة أيام ثم انقطع البول وما زالت تفوح منه رائحة القطران أبداً.

٤- وقالت جارية: كان عندنا رجل خرج على الحسين عليه السلام ثم جاء بجمل وزعفران، قالت: فلما دقُّوا الزعفران صار ناراً، قالت: فجعلت المرأة تأخذ منه الشيء فتلطخه على يدها فيصير منه برص، قالت: ونحروا البعير فلما جزّوا بالسكين صار مكانها ناراً وجعلوا يسلخونه فيصير مكانه ناراً، قالت: فقطعوه فخرج منه النار، قالت: فطبخوه ففارت القدر ناراً فجعلوه في الجفنة فصار ناراً.

٥- وعن السدي أنه سَمَرَ في طفّ كربلاء وكان قريب العهد من قتل الحسين عليه السلام وكان سميره الأخنس بن زيد وهو الذي أُمّر على الخَيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطي جسم الحسين عليه السلام بسنابك الخيل وهشَّم أضلاعه، وخرَم أذني صفية بنت الحسين عليه السلام لقرطين كانا في أذنيها، وجرّ نطعاً من تحت علي بن الحسين عليه السلام وهو عليل فكبّه على وجهه.

فقال السدي: فتأوهت الصعداء وتزفرت كملاً، فقال الأخنس: ما بالك، فقد ذكرتُ مصاباً يهون عنده كل مصاب، ثم قال: أما كنت حاضراً يوم الطف؟ فقال السدي: لا، والحمدلله، فقال: أراك تحمد الله على أي شيء؟ قال السدي: على الخلاص من دم الحسين عليه السلام لأن جدّه صلى الله عليه وآله قال: إن من طولب بدم ولدي الحسين صلى الله عليه وآله يوم القيامة لخفيف الميزان، ثم ساق أحَاديث أخرى في عقوبة قتلة الحسين عليه السلام، فقال الأخنس: لا تصدق هذا الكلام يا أخي، ثم قال: ترى قالوا: قال رسول صلى الله عليه وآله: قاتل ولدي الحسين عليه السلام لا يطول عمره، وها أنا وحقك قد تجاوزت التسعين ثم ساق إجرامه بحق الحسين عليه السلام وأهله.

قال السدي: فبكى قلبي هجوعاً وعيناي دموعاً وخرجت أعالج على إهلاكه وإذا السراج قد ضعفت فقمت أزهرها، فقال: أجلس - وهو يحكي متعجباً من نفسه وسلامته - ومدّ إصبعه ليزهرها فاشتعلت به ففركها في التراب فلم تنطفئ، فصاح بي: أدركني يا أخي فكببت الشربة عليها وأنا غير محب لذلك، فلما شمّت النار رائحة الماء ازدادت قوة، وصاح بي: ما هذه النار، وما يطفئها؟؟ قلت: ألق نفسك في النهر، فرمى بنفسه، فكلما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنه كالخشبة البالية في الريح البارد، هذا وأنا أنظره، فوالله الذي لا إله إلا هو لم تطفأ حتى صار فحماً وصار على وجه الماء، ألا لعنة الله على الظالمين، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

٦- ومن الذين عجّل الله تعالى نقمته عليهم رجل يُقال له ابن أبي جويرية المزني وهذا الرجل قتله الله في عرصة كربلاء عندما أوقد الحسين عليه السلام وأصحابه النار من خلفهم قبل شروع القتال، فلما نظر هذا الرجل إلى النار تتقد صفق بيديه ونادى: يا حسين وأصحاب الحسين أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل، فقيل له: ابن أبي جويرية المزني، فقال الحسين عليه السلام: اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا، فنفر به فرسه فألقاه في تلك النار فاحترق في الدنيا قبل نار جهنم لعنه الله وأرداه.

٧- ويُحكى مثل ذلك عن ابن خوزة التميمي الذي دعا عليه الحسين عليه السلام فقال: اللهم حزه إلى النار، فاضطرب به فرسه في جدول فوقع وتعلقت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى وشدّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمنى فأطارت، وعدا به فرسه فضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات.

٨- ورجل آخر يُقال له: تميم بن الحصين الفزاري نادى في عرصة كربلاء: يا حسين ويا أصحاب الحسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيّات، والله لا ذقتم منه

قطرة حتى تذوقوا الموت جزعاً، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل، فقيل: تميم بن حصين، فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار، اللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطأته الخيل بسنابكها فمات إلى لعنة الله.

٩- ويُحكى مثل هذا الحديث عن عبد الله بن حصين الأزدي البجلي الذي نادى بأعلى صوته: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوقون منه قطرة حتى تموتوا عطشاً، فقال الحسين عليه السلام: اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً، قال حميد بن مسلم: والله لعُدته في مرضه بعد ذلك فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيته يشرب الماء حتى يبغر ثم يقيئه ويصيح العطش العطش، ثم يعود ويشرب حتى يبغر ثم يقيئه ويتلظى عطشاً، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ أنفاسه.

٣- تمرد قتلة الحسين عليه السلام:

بعد أن استتبّ الأمر في الكوفة ونواحيها لزعامة المختار، بدأ في مواجهة جيش الشام القادم بزعامة عبيد الله بن زياد، فأرسل يزيد بن أنس في حملة سيأتي بيانها إلا أن يزيد بن أنس مات مريضاً فرجع أصحابه وتفرق بعضهم، فكان الخبر عظيماً عند أهل الكوفة، فأمر المختار إبراهيم الأشتر أن يخرج في سبعة آلاف رجل ويضم إليه جيش يزيد بن أنس فخرج إبراهيم الأشتر من الكوفة، وعندما خرج إبراهيم الأشتر طمع أعداء المختار وقتلة الحسين عليه السلام أن ينالوا من المختار، واجتمع شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وكعب ابن أبي كعب وعبد الرحمن بن مخنف وغيرهم ممن كان من أعوان بني أمية وممن اشترك في قتل الحسين عليه السلام كحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج، وعزموا على الخروج على المختار.

انتظروا حتى ابتعد إبراهيم الاشتر عن الكوفة ووصل إلى ساباط، فخرجوا وأخذوا الجبابين كجبّانة السبيع وجبانة كندة وجبّانة بشر وجبّانة مخنف وجبّانة بني سلول وجبّانة مراد كما أخذوا الكناسة والتمارين والسبخة.

عندما رأى المختار هذه التحركات العظيمة الخطر بعث رسولاً فأمره أن يسرع إلى إبراهيم الأشتر ليبلغه كتابه، وفي الكتاب: أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إليّ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المختار في الكوفة صار يماطل مع أعدائه هؤلاء ويمنِّيهم أنه يفعل ما يحبون.

وصل رسول المختار إلى إبراهيم الأشتر عشية اليوم، فلما وصل الخبر إلى إبراهيم سار من نفس هذه العشية حين بلغه الخبر، وسار الليل كله لم يسترح إلا استراحة كلا استراحة، حتى وصل صباحاً إلى سورا، ومنها سار بقية يومه حتى بات ليلته في المسجد الأعظم في الكوفة ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد.

وفي صبيحة اليوم الثالث وقعت الواقعة وهزم إبراهيم بن الأشتر قبائل مضر وعليها شبث بن ربعي ولم ينقض النهار حتى تم القضاء على تمرد الجبارين، وأحصى عدد من قتل من الخارجين في هذه الوقعة فكان ستمائة وأربعين رجلاً. فنادى منادي المختار: من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمد ﷺ، ثم جعل أصحاب المختار يفتشون الدور ويخرجون القوم مكتَّفين إلى المختار، فكان المختار كلما قدم إليه رجل يسأل عنه فإن كان ممن قاتل الحسين عليه السلام أمر به فضربت عنقه.

٤- قرار استئصال قتلة الحسين عليه السلام:

وبالفعل فعند الإنتهاء من هذا التمرد علم المختار أن العداء بينه وبين قتلة الحسين عليه السلام من سادات أهل الكوفة قد استحر، وأنه آن الأوان لتجريد السيف فيهم، فقال لأصحابه: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين عليه السلام يمشون أحياء في الدنيا آمنين، بئس ناصر آل محمد ﷺ أنا إذاً في الدنيا، أنا إذاً الكذاب كما سمّوني، فإني بالله أستعين عليهم، فسمّوهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنوهم، ثم قال: اطلبوا لي قتلة الحسين عليه السلام فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم.

٥- تتبع قتلة الحسين عليه السلام:

وبالفعل فإن المختار جهد في قتل قتلة الحسين عليه السلام ومن شهد قتله ومن عُدّ من أعدائه، فلم يمض الزمان حتى كان قد قتل منهم ثمانية عشر ألف قتيل ممن شهد مقتل الحسين عليه السلام، ولم يسلم إلا الذين فروا من الكوفة وهربوا إلى آفاق البلاد وكثير منهم هرب إلى البصرة، ومع ذلك لم يسلموا من المختار إذ عمد إلى دورهم فهدّمها.

وما زال المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام حتى استأنس لذلك آل محمد ﷺ وشيعتهم فقد ورد في الخبر أن شيخاً مبجلا من أهل الكوفة دخل على الإمام الباقر عليه السلام يوم النحر فتناول يده ليقبّلها فمنعه الإمام عليه السلام، ثم قال له: مَن أنت، فقال الشيخ: أنا أبو محمد الحكم بن المختار ابن أبَي عبيدة الثقفي، فمدَّ الإمام عليه السلام يده إليه يقربه – وكان متباعداً – حتى كاد

يقعده في حجره، ثم قال الشيخ: أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي، وقالوا – والقول والله قولك –، قال عليه السلام: وأي شيء يقولون، قال الشيخ: يقولون كذّاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال عليه السلام: سبحان الله، أخبرني أبي – والله – أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أو لم يبن دورنا!! وقتل قاتلينا!! وطلب بدمائنا، فرحمه الله، وأخبرني – والله – أبي أنه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي عليه السلام يمهّد لها الفراش ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث، رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا.

وكان الذي يعين المختار ويحرّضه على الثأر هو أبو عمرة صاحب شرطته، وكان لقبه (كيسان)، وكان أبو عمرة هذا مولًى لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فكان صاحب سر المختار والغالب على أمره، وكان يدله على قتلة الحسين عليه السلام، ولا يبلغه عن رجِل من أعداء الحسين عليه السلام أنه في دار أو في موضع إلا قصده وهدم داره بأسرها وقتل كل من فيها من ذي روح حتى قيل أن أهل الكوفة أصبحوا يضربون به المثل فيقولون لمن ضربه الفقر: (دخل أبو عمرة بيته) وحتى غلب لقبه (كيسان) على دعوة المختار وعلى المذهب المنسوب إليه وهو مذهب الكيسانية.

٦- تفاصيل الثأر:

ونحن سنذكر هنا بعض التفصيلات التي وصلتنا من حوادث الثأر التي رواها المؤرخون:

١- أتوه بخمس مائة أسير من الوادعيين (من قبيلة وادعة)، فقال المختار: أنظروا كل من شهد منهم قتل الحسين عليه السلام فأعلموني به، فقتل نحواً من مائتين وخمسين رجلاً منهم قيل أنه ممن شهد قتل الحسين عليه السلام، فكان كل واحد منهم يقدَّم فتضرب عنقه.

٢- قتل في التمرد المتقدم ذكره عبد الرحمن بن سعيد بن قيس سيد همدان في سبعمائة وثمانين من قومه من همدان.

٣- قتل عبد الله بن أسيد النزال الجهني ومالك بن النسير – وهو الذي ضرب الحسين عليه السلام وأخذ البرنس – وحمل ابن مالك المحاربي، بعث إليهم مالك بن عمرو النهدي، فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم وجاء بهم إلى المختار، فقال لهم: يا أعداء الله، وأعداء كتابه، وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله، وآل رسوله، أين الحسين بن علي عليه السلام، أدّوا إليّ الحسين عليه السلام، قتلتم من أُمرتُم بالصلاة عليه في الصلاة!!، فقالوا: رحمك الله، بعثنا ونحن كارهون، فامنن علينا واستبقنا، فَقال المختار: فهلا مننتم على الحسين بن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله واستبقيتموه وسقيتموه، ثم أمر بقطع

يدي ورجلي مالك بن النسير صاحب برنس الحسين عليه السلام فلم يزل ينزف حتى مات، وقدَّم الآخرين فقتلهما.

٤- بعث عبد الله بن كامل إلى بني ضبيعة فأخذ زياد بن مالك، وبعثه إلى بني عنزة فأخذ منهم عمران بن خالد ثم أخذ عبد الرحمن ابن أبي خشكارة البجلي – وهو قاتل مسلم بن عوسجَة – وعبد الله بن قيس الخولاني فأدخلوهم على المختار فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم، لقد جاءكم الورس بيوم نحس – والورس هو الذي نهبوه من متاع الحسين عليه السلام – ثم أمر بهم فأُخرجوا إلى السوق وضُرِبت أعناقهم.

٥- بعث المختار السائب بن مالك الأشعري فأخذ عبد الله وعبد الرحمن ابنا صخلب، ثم أخذ عبد الله بن وهب بن عمرو إلى المختار فأمر بهم فقتلوا في السوق.

٦- بعث عبد الله بن كامل ليحضر عثمان بن خالد الدهماني الجهني وبشرِ بن سوط القابضي، وكانا قد اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه، فوصل عبد الله بن كامل إلى مسجد بني دهمان وقد اختفيا، فقال عبد الله بن كامل لبني دهمان: عليّ مثل خطايا بني دهمان منذ يوم خُلقوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم فاستمهلوه فأمهلهم، فخرجوا يطلبوهما فوجدوهما يستعدان للخروج إلى الجزيرة، فأخذهما وضربِ أعناقهما، ثم أتى إلى المختار فأخبره فأمره أن يرجع ويحرقهما بالنار وقال: لا يدفنان حتى يُحرقا.

٧- بعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر كليم بن طفيل الطائي السنبسي – وكان قد رمى الحسين عليه السلام بسهم وسلب العباس بن علي عليه السلام – فأتاه عبد الله وأخذه، فاستغاث أهله بعدي بن حاتم الطائي وهو سيد سادات بني طيء ومن أعيان أصحاب علي عليه السلام، فلحقهم في الطريق فكلم فيه عبد الله بن كامل، فقال عبد الله ما إليَ من أمره من شيئ إنما ذلك إلى الأمير المختار، فذهب عدي بن حاتم إلى المختار، فقالت الشيعة لعبد الله بن كامل: إنا نخاف أن يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله، قال: شأنكم به، فلما انتهوا به إلى دار العنزيين وهو مكتوف، نصبوه ثم قالوا له: سلبت ابن علي عليه السلام ثيابه، والله لنسلبن ثيابك وأنت حي تنظر، فنزعوا ثيابه، ثم قالوا: رميت حسيناً عليه السلام واتخذته غرضاً لنبلك... فرموه رشقاً واحداً فوقعت به منهم نبال كثيرة حتى أصبح كالقنفذ من كثرة النبل فخرّ ميتاً.

٨- رأى الشيعة المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على باب قصر الإمارة قد بايع المختار أيام انتصاره الأول وكان معه ابنه حيان، فلما رأوه قالوا: هذا والله من رؤوس الجبارين، فشدوا عليه وعلى إبنه فقتلوهما.

٩- كان قاتل حبيب بن مظاهر رحمه الله اسمه بديل بن صريم التميمي وقد احتز رأس حبيب رحمه الله فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى القصر فرأه ابنه القاسم بن حبيب وكان في الكوفة وهو يومئذ مراهق فأقبل مع الفارس لا يفارقه إذا دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه، فارتاب به الرجل فقال: ما لك يا بني؟!، قال: لا شيئ، قال: بلى يا بني أخبرني، قال له: إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي أفتعطينيه حتى أدفنه، قال: يا بني، لا يرضى الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً، فقال له: ولكن الله لا يثيبك إلا أسوأ الثواب، أما والله لقد قتلت خيراً منك، ثم بكى، ثم مضى القاسم حتى أدرك الرجولة، فلم يكن له هم إلا اتباع أثر قاتل أبيه ولم يدركه إلا زمن مصعب بن الزبير عندما غزا باحميرا، دخل عسكر مصعب فإذا قاتل حبيب في فسطاط فعرفه فأقبل يلتمس غرته فدخل عليه وهو نائم نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد جسمه واشتعلت روحه في النار لعنه الله.

١٠- أخذ المختار بجدل بن سليم الكلبي – وهو الذي قطع اصبع الحسين عليه السلام ليسلب الخاتم – فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وتركه يتشحط بدمه حتى هلك لعنه الله.

١١- وبعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر زيد بن الرقاد الجنبي – وهو قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل – فأحاط به الرجال، فخرج ليقاتلهم فقال لهم ابن الكامل: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن أرموه بالنبال وارجموه بالحجارة، ففعلوا به ذلك فوقع، فقال ابن كامل: إن كان به رمق فأخرجوه، فكان به رمق فأخرجوه وأحرقوه وهو حي لم تخرج روحه حتى مات حريقاً بالنار لعنه الله.

١٢- وطلب المختار أحضار عمرو بن صبيح وكان يقول: لقد طعنت بعضهم – الحسين وأهل بيته عليهم السلام – وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحداً – وكان ممن رماهم عبد الله بن مسلم بن عقيل – فأتوه ليلاً وهو على سطح بيته لا يشعر بعدما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذاً وأخذوا سيفه، فأدخلوه على المختار وهو يشتم الشيعة ويتمنى أن بيده السيف حتى يقاتلهم ويقتلهم، فأمر المختار بطعنه بالرمح فطعنوه حتى مات لعنه الله.

١٣- وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوي – يقال أنه قتل أحد ولد الحسين عليه السلام – لكنه كان قد هرب الى الجزيرة فهدم داره.

١٤- وطلب عبد الله بن عروة الخثعمي – قاتل جعفر بن عقيل – وكان يقول: رميت فيهم باثني عشر سهماً ضيعة، فقدموا ليأخذه إلا أنه فرّ هارباً إلى مصعب بن الزبير فهدموا داره.

١٥- وكان المختار قد عزم قتل أسماء بن خارجة الفزاري، فوصله الخبر فولى هارباً إلى البادية، فأمر بداره فهدمت وكذا دور بني عمه. ويقال أن أسماء بن خارجة ممن سعى في قتل مسلم بن عقيل.

١٦- بلغ المختار أن شمر بنِ ذي الجوشن سلب من أملاك الحسين عليه السلام إبلاً فأخذها وقدم بها إلى الكوفة فنحرها وقسّم لحومها، فقال المختار: أحصوا لي كل دار دخل فيها شيئ من ذلك اللحم فأحصوها، فأرسل إلى كل من أخذ منها شيئاً فقتلهم وهدم دورهم.

١٧- ولم يكتف المختار بقتل قتلة الحسين عليه السلام بل أمر صاحب شرطته أبا عمرة أن يستأجر ألف رجلَ من الفعلة بالمعاول ويتبع دور من خرج إلى قتال الحسين عليه السلام فيهدمها، وهذا ما فعله أبو عمرة الذي كان عارفاً بقتلة الحسين عليه السلام ومتحمساً الى قتلهم والتنكيل بهم فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدمها على من فيها فإن خرج منها أحد قتله، ما زال هذا دأبه حتى ضرب به المثل فيقال لمن فجأه الفقر والمصائب: (دخل أبو عمرة داره).

الباب الخامس

قتل أكابر المجرمين

١ – قتل خولي بن يزيد صاحب رأس الحسين عليه السلام:

بعث معاذ بن هانئ بن عدي لإحضار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين عليه السلام، فأحاطوا بداره فاختبأ فخرجت امرأته وكانت شيعية، فقالوا لها: أين زوجك، فقالت: لا أدري أين هو – وأشارت بيدها إلى مكان اختبائه – فاستخرجوه وأتوا به إلى المختار الذي أخذه إلى جانب أهله ثم أمر بإحراقه ولم يتحرك المختار من مكانه حتى أصبح رماداً لعنه الله.

٢ – قتل عمرو بن الحجاج الزبيدي:

عند هزيمة الثورة التي قام بها وجهاء الكوفة من قتلة الحسين عليه السلام على المختار، خرج عمرو بن الحجاج الزبيدي وكان من الذين شهدوا مقتل الحسين عليه السلام على رأس خمسة آلاف مقاتل، فركب راحلته هارباً من طريق واقصة فلم ير حتى الساعة ولا يدرى أرض بخسته أم سماء حصبته، وهذا ممن ثأر الله منه، وقيل: بل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه.

٣– قتل حرملة بن كاهل قاتل الرضيع عليه السلام:

قتل المختار حرملة بن كاهل الأسدي وهو قاتل عبد الله الرضيع ابن الحسين عليه السلام، تفصيل ذلك أن المنهال بن عمرو كان في الحج فدخل على علي بن الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: يا منهال ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي، فقال المنهال: تركته حياً بالكوفة، فرفع علي بن الحسين عليه السلام كلتا يديه ثم قال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حر النار، فلما قدم المنهال الى الكوفة لقي المختار وحادثه، فصادف أن وجه المختار بعض أصحابه في طلب حرملة ولم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون حتى قالوا: أيها الأمير البشارة البشارة، قد أُخذ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جيئ به فلما نظر إليه المختار

قال لحرملة: الحمد لله الذي مكنني منك، ثم قال: الجزّار الجزّار، فأتي بجزّار، فقال له: إقطع يديه، فقطعها، ثم قال: إقطع رجليه، فقطعها، ثم قال: النار النار، فأتي بنار وقصب فألقي عليه فاشتعل فيه النار، فسبّح المنهال تعجباً من تحقق كلام زين العابدين عليه السلام، وأخبر المختار بموافقة دعاء زين العابدين عليه السلام لما حدث لحرملة فنزل المختار عن دابته وصلى ركعتين شكراً وأطال السجود.

أقول: توضيح ذلك أن زين العابدين عليه السلام دعا الله أن يذيقه حر الحديد مرتين، ودعا بعدها أن يذيقه حرّ النار مرّة واحدة، وهذا ما تحقق بعينه إذ قد ذاق حر الحديد عندما قطع يديه، ثم ذاق حرّ الحديد عندما قطع رجليه، ثم ذاق حرّ النار عندما أحرق، ويقال أن المختار عندما علم أن فعله كان موافقاً لدعاء زين العابدين عليه السلام وأن الله تعالى أستجاب لزين العابدين عليه السلام على يديه بقي يومه صائماً لله تعالى شكراً على هذه النعمة.

٤- عقاب مرّة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليه السلام:

وبعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر مرة بن منقذ العبدي –وهو قاتل علي بن الحسين عليه السلام– فقاتلهم وأفلت منهم إلا من ضربة ضربها عبد الله بن كامل فاتقاها مرّة بيده اليسرى فشلت يده ثم فرّ إلى مصعب بن الزبير.

٥- قتل سنان بن أنس قاتل الحسين عليه السلام:

وطلب المختار إحضار سنان بن أنس –ادّعى قتل الحسين عليه السلام– لكنه كان قد هرب إلى البصرة فأمر بداره فهدّمت، ثم إنه خرج من البصرة نحو القادسية وكان علية عيون فأخبروا المختار فأرسل إليه من أخذه بين العذيب والقادسية فقطع أنامله ثم قطع يديه ورجليه وأغلى له زيتاً في قدر ورماه فيه.

وفي رواية أبي مخنف أن الذي قبض على سنان بن أنس النخعي هو إبراهيم الأشتر، فقال لسنان: يا ويلك أصدقني، ما فعلت يوم الطف؟!، قال سنان: ما فعلت شيئاً غير أني أخذت تكة الحسين عليه السلام من سرواله، فبكى إبراهيم الأشتر عند ذلك، فجعل يشرّح لحم فخذ سنان ويشويها على نصف نضاجها ويطعمه إياه، وكلما إمتنع من الأكل ينخزه بالخنجر، فلما أشرف على الموت ذبحه وأحرق جثته عجل الله عليه النار.

٦- قتل محمد بن الأشعث آسر مسلم بن عقيل:

وطلبوا محمد بن الأشعث كبير كندة والذي أسر مسلم بن عقيل من بيت طوعة، فذهبوا

إليه وهو في قرية بالقادسية، فخرج هارباً إلى البصرة ولحق بمصعب ابن الزبير فأمر المختار بداره فهدمت، وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي التي كان هدمها زياد بن سمية لعنه الله.

فبقي محمد بن الأشعث عند مصعب في البصرة إلى أن جاء مصعب ابن الزبير ليدخل الكوفة فجاء معه محمد بن الأشعث على رأس قتلة الحسين عليه السلام الذين فروا من الكوفة، ولما وقع القتال بينهم وبين جيش المختار فأبصر به مالك بن عمرو أبو نمران النهدي فاستقتل هو وأصحابه نحو خمسين رجلاً فكرّوا على محمد بن الأشعث وأصحابه فقتلوه وقتلوا جماعة وقتلوا رحمهم الله، وقيل أن قاتله هو عبد الله بن قراد، وقيل بل عبد الملك بن أشاءة الكندي، والله العالم.

ومحمد بن الأشعث هذا هو الذي قال للحسين عليه السلام يوم كربلاء: يا حسين ابن فاطمة أيه حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك، فقال الحسين عليه السلام: هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ثم قال عليه السلام: والله إن محمداً لمن آل إبراهيم وإن العترة لمن آل محمد، من الرجل، فقيل: محمد بن أشعث بن قيس الكندي، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أر محمد بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرّز فسلط الله عليه عقرباً فلدغه فمات بادي العورة.

٧- قتل قيس بن الأشعث:

وكان قيس بن الأشعث من قتلة الحسين عليه السلام وهو الذي سلبه القطيفة حتى كان يقال له(قيس القطيفة)، فلما رأى ثورة المختار أنف أن يأتي البصرة فيشمت به أهلها فأتى إلى عبد الله بن كامل فاستجار به، وكان عبد الله بن كامل من أخص أصحاب المختار – فأجاره وأقبل إلى المختار وأخبره، فسكت المختار وشغله بالحديث ثم قال له: أرني خاتمك، فناوله إياه، فجعله في إصبعه، ثم دعا أبا عمرة فدفع إليه الخاتم وقال له سراً أن ينطلق إلى إمرأة عبد الله بن كامل فيقول لها: هذا خاتم بعلك علامة لتدخليني إلى قيس بن الأشعث، فذهب أبو عمرة فأدخلته عليه فانتضى سيفه فضرب عنقه وأخذ رأسه وأتى به المختار فألقى بالرأس بين يديه وقال للمختار: هذا بقطيفة الحسين عليه السلام، فاسترجع ابن كامل وقال للمختار: قتلت جاري!!، فقال له المختار: لله أبوك، أسكت، أتستحل أن تجير قتلة لابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله.

٨- قتل شبث بن ربعي:

وقبض ابراهيم بن مالك الأشتر على شبث بن ربعي وهو من أكابر المجرمين الذين ولغوا بدماء الحسين عليه السلام وأهل بيته، فقال له إبراهيم:أصدقني ما فعلت يوم الطف، فقال شبث بن ربعي لعنه الله: ضربت وجهه بالسيف، فقال إبراهيم: يا ويلك، يا ملعون، ما خفت من الله تعالى ولا من جده رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم جعل يشرّح أفخاذه حتى مات، ثم قطع رأسه وأحرق جثته، لعنه الله تعالى.

٩- قتل أبجر بن كعب:

وقبض إبراهيم الأشتر على أبجر بن كعب الطاغي الملعون، فقال له إبراهيم: يا ويلك، ما فعلت يوم الطف؟!، فقال الملعون: أخذت قناع زينب عليها السلام من رأسها وقرطيها من أذنيها فجذبتها حتى خرمت أذنيها، فقال إبراهيم وهو يبكي: يا ويلك، ما قالت لك؟، قال أبجر: قالت لي: قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله تعالى بنار الدنيا قبل نار الآخرة، فقال إبراهيم: يا ويلك، ما خجلت من الله تعالى، ولا راقبت جدَّها رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أدركتك الرأفة عليها، ثم قطع رجليه وقلع عينيه وعذَّبه بأنواع العذاب، وإنما لم يقطع يديه لأنهما كانت قد قطعتا سابقاً.

١٠- قتل الذين رضّوا صدر الحسين عليه السلام:

أخذ المختار الأشخاص العشرة الذين وطئوا صدر الحسين عليه السلام بخيولهم (وقد ذكرنا أسماءهم فيما سبق)- فأمر بهم فشُدَّت أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد ثم أمر الخيل فوطأت صدورهم حتى هلكوا لعنهم الله.

١١- قتل الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام:

وفرَّ الشمر بن ذي الجوشن الملعون المعروف عند هزيمة الثورة التي قام بها هو وأصحابه على المختار حتى وصل الى قريه اسمها الكلتانية، فأقام هناك سراً يكاتب مصعب بن الزبير في البصرة، وكان المختار بعث مسالح إلى تلك المنطقة، فعلموا بمكان اختباء الشمر بن ذي الجوشن وأصحابه فشنوا الغارة عليهم ليلاً وهم نائمون فلم يفجأهم إلا والفرسان فوقهم، فأعجلوا الشمر قبل أن يلبس ثيابه وسلاحه فقتلوه ورموا جثته للكلاب، وقيل بل أخذوه أسيراً فجاؤوا به الى المختار فاغلى له دهناً في قدْر فقذفه فيها فتفسخ، وأما رأسه ورؤوس من معه فنصبوها في الكوفة في رحبة الخدائين.

١٢- قتل عمر بن سعد:

روي أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد في كربلاء: أي عمر، أتزعم أنك تقتلني ويوليك الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع فإنك لن تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، فكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم.

وفي خبر أخر أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: قطع الله رحمك وسلّط عليك من يذبحك على فراشك.

وفي خبر ثالث أنه عليه السلام قال له: أنه لن يأكل من برّ العراق بعده إلا قليلا، فقال عمر بن سعد مستهزئاً: في الشعير كفاية يا أبا عبد الله.

إستهزأ عمر بن سعد بهذا القول كما استهزأ بالقولين السابقين، ولكن حدث ما قاله الحسين عليه السلام فلم يستطع عمر بن سعد الوصول إلى الري، ثم لم يلبث أن قتله المختار بأن أرسل من يذبحه وهو على فراشه ثم نصب رأسه في الكوفة وغيرها، وكان من قصته أن عمر بن سعد كان ختنا للمختار على أخته، وكان المختار قد أعطى أمانا لعمر بن سعد كتب فيه: أنه لا يؤخذ بحدث كان منه قديماً... إلا أن يحدث حدثاً.

فكان عمر بن سعد يعيش في الكوفة مطمئنا مستنداً إلى هذا الأمان، فذهب جماعة من الشيعة إلى الحجاز ودخلوا على محمد بن الحنفية ثم جرى الحديث فذكروا المختار وأنه يدعو إلى الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، فقال محمد ابن الحنفية: يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عليه السلام جلساؤه على الكراسي يحدثونه، والظاهر أنه كان يكني بذلك عن عمر بن سعد وأضرابه.

وصل الكلام الى المختار فعزم على إرضاء محمد ابن الحنفية وقتل البقية الباقية من قتلة الحسين، فعزم على قتل عمر بن سعد، فقال لأصحابه: لأقتلنّ غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين، بعض الجلساء فهم أنه يشير إلى عمر بن سعد فأرسل إليه يحذره، إلا أن عمر بن سعد آثر أن يبقى في بيته مستنداً إلى الأمان وأن لا يخرج من بيته لأن في خروجه من البيت نقض لشرط الأمان.

عند الصباح أرسل المختار نوائح يبكين الحسين عليه السلام على باب دار عمر بن سعد، فلما

جئن يبكين قال عمر بن سعد لإبنه حفص: يا بني إئت الأمير فقل له: ما شأن النوائح يبكين الحسين عليه السلام على بابي، فأتاه فقال له ذلك، فقال المختار: إن الحسين عليه السلام أهلٌ أن يُبكى عليه، فقال حفص لخاله المختار: أصلحك الله إنههن عن ذلك، قال المختار: نعم، فأرسل أبا عمرة، وأمره أن يأتيه برأس عمر بن سعد، فذهب أبو عمرة ودخل على عمر بن سعد، وقال له: أجب الأمير، فدخل الرعب قلب عمر بن سعد فلم يدر كيف يقوم حتى عثر في جبته فضربهَ أبو عمرة بالسيف واحتز رأسه وجاء به إلى المختار، وقد كان ما زال عنده حفص بن عمر بن سعد، فدخل عليه أبو عمرة فوضع الرأس بين يديه، فنظر المختار الى حفص وهو ابن أخت المختار، فقال له: أتعرف هذا الرأس، فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في الحياة بعده، فقال له المختار: صدقت، فإنك لا تعيش بعده فأمر به فقتل وأحتزوا رأسه فجعلوه إلى جانب رأس أبيه، فقال المختار: هذا بالحسين عليه السلام، وهذا بعلي بن الحسين عليه السلام، ولا سواء والله لو قتلت ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله.

ويروى أنهم سألوا الإمام الباقر عليه السلام عن أن المختار كيف خالف الأمان فقال: أن الأمان كان مشروطاً بأن لا يحدث حدثاً وإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث.

وقد روى بعضهم قتل عمر بن سعد بكيفية أخرى، وهي أن عمر بن سعد اختفى في الكوفة فأرسل المختار من ظفر به وأحضره بين يدي المختار، فقال له: يا عمر بن سعد أنت قتلت رضيع الحسين عليه السلام قبَّحك الله من بين الأخوة، لا ذمّة النبي صلى الله عليه وآله حفظت، ولا حق الأخوة رعيت، والله العظيم لئن لم تنشدني أبياتك النونية لأعذبنَّك أشدَّ العذاب، فأنشدها عمر بن سعد وهي القصيدة التي قالها حينما عزم على قتال الحسين عليه السلام وهي:

فوالله ما أدري وإني لصادقٌ ... أفكر في أمري على خطرينِ
أأترك ملك الري والري منيتي ... أم أصبح مأثوماً بقتل حسينِ
حسين ابن عمي والحوادث جمة ... ولكنَّ لي في الري قرةُ عيني
يقولون أن الله خالق جَنَّة ... ونارٍ وتعذيبٍ وغلّ ِيدين
فإن صدقوا بما يقولون إنني ... أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمةٍ ... وملكٍ عقيمٍ دائم الحجلين

وأن إله العرش يغفر زلتي ولو كنتُ فيها أظلم الثقلين
ولكنما الدنيا بخيرٍ معجلٍ وما عاقل باع الوجودَ بدين

فلما سمع المختار هذه القصيدة قال له: يا ويلك، هكذا يكون اعتقاد المسلمين!!!، ثم أمر به فقتل.

١٣- رأس عمر بن سعد عند ابن الحنفية:

ثم أن المختار أرسل بالرأسين – رأس عمر بن سعد ورأس إبنه حفص – إلى محمد بن الحنفية وكتب له:

بسم الله الرحمن الرحيم:

... أما بعد فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وإبنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين عليه السلام وأهل بيته – رحمة الله عليهم – كل ما قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقي، ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أدمياً...

ويقال بينما محمد بن حنفية جالس في نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار لمجالسة عمر بن سعد، فما تم كلامه إلا والرأسان عنده فخرَّ ساجدا وبسط كفيه، وقال: اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار وأجزه عن أهل بيت نبيك محمد صلى الله عليه وآله خير الجزاء، فوالله ما على المختار بعد هذا عتب.

١٤- رأس عمر بن سعد عند زين العابدين عليه السلام:

ثم إن محمد بن الحنفية بعث برأس عمر بن سعد إلى زين العابدين عليه السلام فخرَّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً.

الباب السادس

قتل عبيد الله بن زياد وأهل الشام

١- الوقعات:

فور انتصار المختار وسيطرته على الكوفة لم تكن همته إلا مقارعة جيش أهل الشام، وبالفعل فقد تحقق عدة وقعات، نذكر منها:

١- وجه المختار يزيد بن أنس على رأس ثلاثة آلاف فارس ليقاتل عبيد الله بن زياد الذي كان يرابض في أرض الجزيرة على حدود الموصل وصل يزيد بن أنس إلى منطقة يقال لها بنات تلى، فالتقى جيشاً من جيوش عبيد الله بن زياد من ثلاثة آلاف فارس على رأسهم ربيعة بن مخارق فواقعهم فهزمهم وقتل ربيعة بن مخارق وحازوا العسكر وغنموه وقتلوا أهل الشام قتلاً ذريعاً.

٢- التقى يزيد بن أنس المتقدم ذكره بجيش آخر على رأسه عبيد الله بن حملة فيه ثلاثة آلاف فارس مضافاً إليه جميع فلول المنهزمين من جيش ربيعة من مخارق المتقدم ذكره، وكان النصر في هذه الوقعة أيضاً ليزيد بن أنس وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة وقتلهم الله تعالى قتلاً ذريعاً، وقتل عبيد الله بن حملة، وأسر ثلاث مائة أسير من أهل الشام فضربوا أعناقهم من عند أخرهم.

٢ – جيش ابن الأشتر:

بعد أن قضى المختار وابراهيم بن مالك الأشتر على تمرد قتلة الحسين عليه السلام لم يمض يومان حتى تجهّز إبراهيم للخروج إلى قتال جيش عبيد الله بن زياد، فخرج الأشتر مع عشرين ألف مقاتل وفيهم عشرة آلاف فارس.

وروى شيخنا الطوسي رحمه الله أن إبراهيم بن الأشتر كان في ألفين من مذحج وأسد،

وألفين من تميم وهمدان، وألف وخمس مائة من قبائل المدينة، وألف وخمس مائة من كندة وربيعة، وألفين من الحمراء. وقال بعضهم: كان ابن الاشتر في أربعة الاف من القبائل، وثمانية الاف من الحمراء، وشيع المختار إبراهيم بن الاشتر (رحمهما الله) ماشيا، فقال له إبراهيم: اركب رحمك الله، فقال: إني لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأحب أن تغبر قدماي في نصر آل محمد (عليهم السلام).

ثم ودعه وأمره بتعجيل القتال، وأمره بالإحسان الى عبيد الله بن الحر الجعفي الذي خرج مع ابراهيم الاشتر خشية غدره وأنشأ المختار يقول:

أما ورب المرسلات عرفا نقتلن من بعد صفّ صفاً
وبعد ألف القاسطين ألفا نكشفهم لدى الهياج كشفا
إنا وحق المرسلات عرفا حقا وحق العاصفات عصفا
لنعسفن من بغانا عسفا حتى نسوم القوم منا خسفا
زحفاً اليهم لا نمل الزحفا حتى نلاقي بعد صف صفاً

٣ – إلتقاء الجيشين:

مضى الأشتر حتى خرج من الكوفة وسار إلى المدائن ثم دخل في أرض الموصل حتى التقى بجيش ابن زياد في أرض خازر، فنزل الأشتر في قرية باربيثا ونزل عبيد الله بن زياد بجيشه قريبا من القرية على شاطئ خازر على بعد أربعة فراسخ من عساكر الأشتر (أي عشرين كيلو متر تقريبا)، وكان جيشه ثلاثة وثمانين ألف مقاتل، فيهم ستون ألف فارس، وفي روايه أبي مخنف أن عدة جيش ابن زياد كانت تربوا على أربعمائة ألف مقاتل.

وكانت هذه البلاد (بلاد الجزيرة) موطن سكن القبائل القيسية التي كانت دماؤها ما زالت تقطر من معركة مرج راهط بقيادة مروان بن الحكم الأموي التي أبيدت فيها قيس وقتلت قتلا ذريعا، لذلك كان معظم جيش ابن زياد من قبائل كلب المعادية للقبائل القيسية عداء مستحرا، ولهذا فإنه عندما اصطف جيش ابن زياد في مقابل جيش الأشتر كان منيه القيسيين جميعا أن ينهزم جيش ابن زياد، ولذلك فإن عمر بن الحباب السلمي – القيسي – وهو على ميسرة جيش ابن زياد، أرسل إلى إبراهيم الأشتر أنه يريد أن يلقاه الليلة، فلقيه ليلاً فبايعه،

وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس عند احتدام المعركة، فأراد الأشتر ان يتأكد من صدق نيته فسأله عن تعجيل الحرب أو تأجيلها بقوله: ما رأيك؟ أُخَندق عليَّ وأتلوَّم يومين أو ثلاثة؟، فقال عمير بن الحباب: إنا لله! لا تفعل، هل يريد القوم إلا هَذه، إن طاولوك وماطلوك فهو خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة، ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً.....، فقال إبراهيم الأشتر: الآن علمت أنك مناصح لي، صدقت، الرأي ما رأيت، أما إن صاحبي –المختار– أوصاني بهذا، وبهذا الرأي أمرني، فقال عمير بن الحباب، فلا تعدون رأيه، فإن الشيخ –المختار– قد ضرسته الحروب، وقاسى منها ما لم تقاس، أَصبِح مُنَاهِضَ الرجل.

٤- الإستعداد للحرب:

وهكذا عزم الأشتر على الشروع في الحرب صباحاً فهيأ لها طوال الليل ولم يدخل عينه غمض حتى إذا كان في السحر الأول عبأ أصحابه وكتَّب الكتائب، وأمَّر الأمراء، فجعل على ميمنته سفيان بن يزيد بن معقل الأزدي، وعلى ميسرته علي بن مالك الجشمي، وعلى أعنة الخيل الطفيل بن لقيط النخعي، وعلى الرجالة مزاحم بن مالك السكوني، فوقف بهم وتقدمت الرجالة.

وأما ابن زياد فعبأ جيشه فجعل على ميمنته شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي، وعلى جناح ميمنته عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى جناح ميسرته حملة بن عبد الله الخثعمي، وفي القلب الحصين بن نمير السكوني.

فلما أنفجر الفجر صلى الأشتر بجيشه صلاة الغداة بغلس، ثم زحف بالجيش على رسله رويداً رويداً حتى وقف على تلّ عظيم مشرف على جيش ابن زياد وهم غارُّون لم يتحركوا بعد، فأصابهم الدهش والفشل عندما رأوا الأشتر قد أشرف عليهم، فركب الأشتر فرسه ودار على الرايات كلما مرّ على راية وقف عليها، وقال لهم: يا أنصار الدين وشيعة الحق وشرطة الله، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين ابن علي عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه، هذا الذي بعث إلى الحسين بن علي عليه السلام أن لا أمان لك عندي أو تنزل على حكمي ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته وساق حرم رسول الله صلى الله عليه وآله كسبايا الروم والترك والديلم من بلد إلى بلد حتى أدخلوا على يزيد، فوالله ما عمل فرعون ببني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله

عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قد جاء كم الله به وجاءه بكم، فوالله إني لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله إنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم ﷺ.

٥ـ المعركة الفاصلة

انقض أهل العراق على جيوش ابن زياد قائلين: اللهم إنا خرجنا ثائرين بدماء أهل بيت نبيك ﷺ فانصرنا عليهم كيف شئت وأنى شئت يا رب العالمين، وتنادوا يا لثارات الحسين عليه السلام.

وتقدم من أهل الشام عوف بن ضبعان الكلبي على فرس له أدهم ونادى بجيش الأشتر: يا شيعة آل أبي تراب، يا شيعة المختار الكذاب، يا شيعة ابن الأشتر المرتاب، من كان منكم يدل بشجاعة وشدة فليبرز إليّ إن كان صادقا، ثم جال بين الصفين، وهو يقول:

إني ابن ضبعان الكريم المفضل ليث نزال في مثار النسطل

من عصبة تبرأ من دين علي كذاك كانوا في الزمان الأول

فما لبث عوف بن ضبعان حتى خرج إليه من أهل العراق الأحوص بن شداد الهمداني، وهو يقول:

أنا ابن شداد على دين علي لست لمروان بن ليلى بولي

لأوقدن نارها في الجحفل ثم أخوض النار حتى تنجلي

فجعل الشامي يشتم الأحوص، فقال الأحوص: دع عنك هذا إن كنت عربيا فإن الذي بيننا أجل من الشتم، أنتم تقاتلون عن بني مروان، ونحن نطلب بدم ابن نبي الرحمان، فادفعوا إلينا ابن زياد لنقتله ببعض موالينا الذين قتلوا مع الحسين عليه السلام ولا نراه والله كفوا له، فقال الشامي: جربناكم يوم صفين عند التحكيم، فحكّمناكم وعدوتم علينا، فقال الأحوص: إن الحكم في الخديعة لا يتخذ فاصلا في الشريعة، ما اسمك أيها الرجل، قال: منازل الأبطال، فقال الأحوص: ما أقرب اسمك من اسمي، فأنا مقرب الآجال، ثم حمل عليه الأحوَص فالتقيا بضربتين، سبقت ضربة الأحوص منها، فسقط الشامي قتيلا، وجال الأحوص فصاح: يا قتلة الحسين عليه السلام، هل من مبارز، فخرج داود بن عروة الدمشقي على كميت له، مقنعا بالحديد، وهو يقول:

أنا ابن من قاتل في صفينا ولم يكن في دينه غبينا

بل كان في إيذا مكينا مجربا يوم الوغى حرونا

فجاوله الأحوص وهو يقول:

يا ابن الذي قاتل في صفينا ولم يكن في دينه غبينا

كذبت بل كان به مفتونا لا يعرف الحق ولا اليقينا

ثم صمد له الأحوص فضربه ضربة ألحقته بصاحبه، وعاد إلى صفه.

ثم خرج من أهل الشام الحصين بن نمير السكوني وكان من أعاظم فرسان أهل الشام وذووي باسهم وهو رئيس قلب الجيش يومئذ، وهو من قتلة الحسين عليه السلام، فجعل يقول:

يا قادة الكوفة أهل المكر وشيعة المختار وابن الأشتر

هل فيكم قرن كريم العنصر مجرب في بأسه ذو مفخر

يبرز نحوي عامدا لا يمتري فيستقي الحتف بكأس ممقر

فخرج إليه شريك بن خريم التغلبي، وهو يقول:

يا قاتل الشيخ الكريم العنصر بكربلا في التقاء العسكر

أعني حسينا ذا السنا والمفخر نجل النبي المصطفى من حيدر

خذها إليك من هِزَبْر قسور ضربة قرم ربعي مضري

فتقدم إليه الحصين فالتقيا ضربتين فما كذب التغلبي أن ضرب الحصين على أم رأسه فخر منها قتيلا، فكبر أهل العراق، ودخل أهل الشام شيء عظيم من الجزع عليه.

٦- المعركة.. وإبادة أهل الشام:

ثم وقعت المعركة فجال أصحاب ابن الاشتر جولة، فناداهم الأشتر: يا شرطة الله، الصبر الصبر، فتراجعوا فقال لهم عبد الله بن يسار بن أبي عقب الدؤلي: حدثني خليلي أنا نلقى أهل الشام على نهر يقال له الخازر، فيكشفونا حتى نقول: هي هي، ثم نكرٍّ عليهم فنقتل أميرهم، فابشروا واصبروا فإنكم لهم قاهرون.

وكان إبراهيم الأشتر كأحسن ما يكون البطل الشجاع، ابن أبيه، موقفه حميد، ورأيه رشيد، وقوله سديد، وبأسه شديد، فكان إذا انهزمت ميسرته كرَّ عليها وكشف عن رأسه وناداها: يا شرطة الله إليَّ إليَّ، أنا ابن الأشتر، إن خير فرّاركم كُراركم، فترجع الرايات إليه فتثبت، وكان الأشتر إذا حمل بالقلب على قلب جيش ابن زياد يقول لصاحب رايته: إنغمس فيهم، فيشد بأصحابه شدة رجل واحد، ولا يضرب رجلاً إلا صرعه، وكانت الرجال تنفر من بين يديه فرار الغنم بين يدي الذئب، وكان أهل العراق ينادون: يا لثارات الحسين عليه السلام.

فلم ينقض النهار حتى وقعت الهزيمة في جيش ابن زياد ولاذوا بالفرار، فتبعهم أصحاب المختار يضربون في ظهورهم فدخل الفرار في النهر فغرقوا، ولم يفلت من الجيش كثير أحد حتى حاز الأشتر كل جيش ابن زياد.

٧- قتل عبيد الله بن زياد:

ولم تهدأ فورة ابن الأشتر وأصحابه حتى رأوا عبيد الله بن زياد الملعون ابن الملعون مقتولاً في القتلى، فأخذوا رأسه وأحرقوا جثته، وكان جسده مشحماً كثير الشحم، فجعلوا شحمه وقوداً يضيئون به طوال الليل، وقيل: بل صلبوه منكساً.

وفي رواية أبي مخنف أن الأشتر كَمن لعبيد الله بن زياد وتمكن من أخذه أسيراً مكتوفاً ثم شرّح لحمه بيده ثم شوى لحمه ثم أطعمه منها ثم ذبحه وأحرقه بالنار.

وقيل أن الذي قتل عبيد الله بن زياد هو شريك بن جدير كان من أصحاب علي عليه السلام وشهد معه صفين، ثم سكن بيت المقدس، فلما بلغه قتل الحسين عليه السلام غضب وعاهد الله إن ظهر من يطلب بدمه أن يقتل ابن زياد أو يموت في ذلك، فلما ظهر المختار سار مع الأشتر ولم يكن له همّة إلا قتل عبيد الله بن زياد، وقيل أن قاتله هو إبراهيم الأشتر.

فيروى أنه قريبا من غِروب شمس يوم المعركة حين انهيار جيوش أهل الشام نظر إبراهيم الأشتر إلى رجل عليه بزَّة حسنة ودرع سابغة وعمامة خز دكناء وديباجة فوق الدرع، وقد أخرج يده من الديباجة وفيها صفيحة مذهبة، فقصده إبراهيم فلم يلبث أن ضربه ضربة شرّقت بيديه وغربت برجليه، فامتد إبراهيم منعطفا من سرجه ورجلاه في الركاب إلى الأرض وتناول الصفيحة، وغار الفرس فما لحقه، وكان الظلام من الغروب قد ترك الناس لا يبصر بعضهم بعضا.

ثم بعد انجلاء المعركة بحثوا عن عبيد الله بن زياد، فقال إبراهيم الأشتر لأصحابه: إني

تبعت البارحة رجلا وقد اختلط الظلام، وفي يده هذه الصفيحة، وتحته فرس جواد، فقتلته وأنا أشم منه رائحة المسك، فأخذت الصفيحة وفاتني الفرس، فانظروه بجانب الفرات، فذهب القوم فإذا هو عبيد الله بن زياد فأتوا برأسه ووضعوه بين يديه، فلما رآه عرفه، وقال: الله أكبر، وخرّ ساجدا، ورفع رأسه وهو يقول: الحمد لله الذي جعل قتله على يدي.

وروى شيخنا الطوسي في أخباره عن هذه المعركة أنهم بعد وقوع الهزيمة على جيش أهل الشام تساءلوا عن عبيد الله بن زِياد فقال ابن الأشتر: إني رأيت بعدما انكشفت الناس طائفةً منهم قد صبرت تقاتل، فأقدمتُ عليهم، وأقبل رجل آخر في كبكبة كأنه بغل أقمر، يفري الناس، لا يدنو منه أحد إلا صرعه، فدنا مني فضربت يده فأبنتها، وسقط على شاطئ النهر، فشرقت يداه وغربت رجلاه، فقتلته ووجدت منه ريح المسك، وأظنه ابن زياد فاطلبوه، فجاء رجل فنزع خفيه وتأمله، فإذا هو ابن زياد (لعنه الله) على ما وصف ابن الاشتر، فاحتز رأسه.

فأنشد بعض الشعراء في هذه الحادثة:

فدى لغلام من عرانين مذحج — جريء على الأعداء غير نكول
أتاه عبيد الله في شر عصبة — من الشام واستجلى بخير قبيل
فلما التقى الجمعان في حومة الوغى — وجرّ الردى في الحرب فضل ذيول
فولى عبيد الله خوفا من الردى — وخشية ماضي الشفرتين صقيل
فيعلوه إبراهيم بالسيف فاصلا — فطاح على البوغاء شر قتيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم — شفوا بعبيد الله كل غليل

٨- قتل قاتل هانيء بن عروة

وفي هذه المعركة عينها قتل راشد التركي وهو غلام عبيد الله بن زياد، وهو الذي ضرب عنق هانيء بن عروة المرادي في سوق الكوفة، وقد قتله يوم الخازر عبد الرحمان بن الحصين المرادي، وقال عبد الرحمان المرادي يرتجز سرورا بقتله:

إني قتلت راشد التركيا — ولَّيته أبيض مشرفيا
أرضي بذاك الله والنبيا

٩- إبادة أهل الشام:

ولم يقتل من أهل العراق إلا ثلاثمائة وسبعون، وكان قتلى أهل الشام في هذه الواقعة ما لا يحصى عدداً، وعن الشعبي أنه قال: لم يقتل قط من أهل الشام بعد صفين مثل هذه الواقعة، وعن عمر بن شبة روى مسنداً: أنهم عددوا القتلى بالقصب لكثرتهم فكانوا سبعين ألفاً.

أقول: وهذا ما عدا القتلى الذين لم يشملهم العدد كالذين غرقوا في النهر وجرفهم التيار، ولقد كان في القتلى رؤوس أهل الشام وعظماؤهم كالحصين بن نمير السكوني — وهو الذي استهزأ بالحسين عليه السلام في كربلاء ورد عليه مقالته - وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري، وابن حوشب، وغالب الباهلي، وأبي أشرس بن عبد الله، وعبد الله بن إياس السلمي، وربيعة بن مخارق الغنوي، وشرحبيل وهو الذي ضرب الحسين عليه السلام على عارضه يوم كربلاء من خلفه، وغيرهم كثير لا يحصى.

١٠- إرسال الرؤوس:

وثم إن ابراهيم الأشتر حزَّ رؤوس قتلى أهل الشام وجعلوها على الرماح والخشب ومشوا بها فكان منظراً مهيباً نحواً من سبعين ألف رأس من رؤوس أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مشى بها الجيش إلى الكوفة، وربما كان الرجل الواحد يضع على قناته الواحدة ستة رؤوس أو أكثر أو أقل لكثرة الرؤوس، وأرسل الأشتر رؤوس عبيد الله بن زياد وكبار الرؤساء من أهل الشام إلى المختار وجعل في آذانهم الرقاع بأسمائهم، فوصلت الرؤوس الى المختار وهو يتغدى فحمد الله ثم قام فوطأ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بالنعل الى غلامه، وقال له: إغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر، ويروى أن مقتل عبيد الله بن زياد في هذه الوقعة كان في العاشر من محرم ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام، وقيل بل في شهر صفر.

ثم إن المختار ألقى الرؤوس في القصر ثم جعلها في المسجد في الرحبة، فجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً، وهذا الخبر رواه الترمذي في صحيحه، ونقله البعض عن ابن بطة وعن خصائص النطنزي والخوارزمي الحنفي وهم من علماء أهل السنة.

١١- رأس عبيد الله بن زياد عند زين العابدين عليه السلام:

ثم إن المختار أرسل برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس أصحابه إلى محمد ابن الحنفية

بمكة فلما وصلت الرؤوس الى محمد ابن الحنفية خرَّ ساجداً ودعا للمختار، فقال: جزاه الله خير الجزاء فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم، اللهم واحفظ لإبراهيم الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى، ويروى أن زين العابدين عليه السلام كان يدعو كل يوم أن يريه الله قاتل أبيه الحسين عليه السلام مقتولاً، فلما قتل المختار عبيد الله بن زياد وأنفذ الرؤوس إلى علي بن الحسين عليه السلام وأمر رسوله وقال له: إنه يصلي من الليل وإذا أصبح وصلى صلاة الغداة هجع ثم يقوم فيستاك ويؤتى بغدائه، فإذا أتيت بابه فاسأل عنه فإذا قيل لك أن المائدة وضعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرأسين (رأس عبيد الله وعمر بن سعد) على مائدته، وقل له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا ابن رسول الله قد بلّغك الله ثأرك، ففعل الرسول ما أمره به المختار فأدخل عليه الرؤوس وهو يتغدى صلوات الله عليه فقال عليه السلام: أدخلت على ابن زياد لعنه الله وهو يتغدى ورأس أبي عليه السلام بين يديه فقلت: اللهم لا تمتني حتى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدى، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي، ثم أمر بالرأس فرمي، ويروى أن على بن الحسين عليه السلام خرّ ساجدا فقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً.

١٢- خاتمة في بيان حال المختار الثقفي

لا ريب أن المختار كان ذا شخصية مذهلة، فهو من بيت الزعامة الثقفية في الطائف قبل الهجرة النبوية وبعدها، وكان عمه واليا لعلي عليه السلام على المدائن، وكان المختار في نفسه بطلا شجاعا متوقد الذكاء عالي الهمة شديد العزم حازما ألمعيا متفرسا كثير التجارب محنكا، قال ابن نما يصف المختار: فنشأ مقداما شجاعا لا يتقي شيئا، وتعاطى معالي الامور، وكان ذاعقل وافر، وجواب حاضر، وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة، وفطنة تدرك الاشياء بفراستها، وهمة تعلو على الفراقد بنفاستها، وحدس مصيب، وكف في الحروب مجيب، وقد مارس التجارب فحنكته، ولامس الخطوب فهذبته ـ

ولقد اختلفت الأمة على عادتها في وصف المختار فمنهم من يرفعه أرقى الدرجات، ومنهم من يهبط به أسفل الدركات، وقد مال العامة وأعوان بني أمية إلى الثاني فوصفوه بأشنع الأوصاف حتى اتهموه بأنه كذاب وأنه ادعى النبوة، وأنه كان يتنبأ ويتكهن.

والصواب الذي أعتقده هو أن المختار كان بين الأمرين وأنه بريء حتما من كل ما وصفه العامة الذين يأخذون معالم دينهم من أعداء آل محمد وأعداء شيعتهم، فالصواب أنه بطل شجاع عالج أمور السلاطين فزلَّت قدمه في أمور كثيرة كما هو حال كل من يتولى هذه

الأمور، وانتقم الله على يديه من الجبابرة الطغاة الذين ظلموا الحسين عليه السلام وآل بيته، ولذا نرجوا أن يغفر الله له ذنبه ويكفر عنه سيآته ويرفع شأنه، ويدل على ما أقول أمور:

الأول: ما دل على مدح المختار ببعض فضائله

١: فقد روى الكشي في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة[1].

٢: روى الكشي بإسناده قال: دخلنا علي أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ، وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال: من أنت؟ قال: أنا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعدا من أبي جعفر عليه السلام فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده. ثم قال: اصلحك الله ان الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول والله قولك قال: وأي شئ يقولون؟ قال: يقولون: كذاب، ولا تأمرني بشئ الا قبلته، فقال: سبحان الله، أخبرني أبي والله ان مهر أمي كان مما بعث به المختار، أولم يبن دورنا؟ وقتل قاتلنا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله. واخبرني والله أبي أنه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي يمهدها الفراش، ويثنى لها الوسائد ومنها أصاب الحديث، رحم ألله أباك رحم الله أباك، ما ترك لنا حقا عند أحد الا طلبه، قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا.[2]

٣: وروى الكشي بإسناده عن الاصبغ، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيس يا كيس.[3]

٤: وروى الكشي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث الينا المختار برؤس الذين قتلوا الحسين عليه السلام.[4]

٥: وروى الكشي بإسناده ان علي بن الحسين عليه السلام لما اتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، قال: فخر ساجدا وقال الحمد الله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيرا.[5]

---

(١) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤٠

(٢) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤٠ح١٩٩

(٣) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤١ح٢٠١

(٤) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤١ح٢٠٢

(٥) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤١ح٢٠٣

٦: وعن أبي حمزة الثمالي قال: كنت أزور على بن الحسين عليهما السلام في كل سنة مرة في وقت الحج فأتيته سنة وإذا على فخذه صبي فقام الصبي فوقع على عتبة الباب فانشج فوثب إليه مهرولا، فجعل ينشف دمه ويقول: إني أعيذك أن تكون المصلوب في الكناسة، قلت: بأبي أنت وأمي وأي كناسة؟ قال: كناسة الكوفة، قلت: ويكون ذلك؟ قال: إي والذي بعث محمدا بالحق، لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة، وهو مقتول مدفون منبوش مسحوب مصلوب في الكناسة ثم ينزل فيحرق ويذرى في البر، فقلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ فقال: ابني زيد، ثم دمعت عيناه، وقال: لأحدثنك بحديث ابني هذا، بينا أنا ليلة ساجد وراكع ذهب بي النوم فرأيت كأني في الجنة وكأن رسول الله وعليا وفاطمة والحسن والحسين قد زوجوني حوراء من حور العين فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى ووليت، هتف بي هاتف، ليهنئك زيد فاستيقظت وتطهرت وصليت صلاة الفجر فدق الباب رجل فخرجت إليه فإذا معه جارية ملفوف كمها على يدها، مخمرة بخمار، قلت: حاجتك؟ قال: أريد علي بن الحسين، قلت: أنا هو، قال: أنا رسول المختار بن أبي عبيد الثقفي يقرئك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار، وهذه ستمائة دينار، فاستعن بها على دهرك، ودفع إلي كتابا كتبت جوابه، وقلت: ما اسمك؟ قالت: حوراء فهيؤها لي وبت بها عروسا، فعلقت بهذا الغلام فأسميته زيدا وستري ما قلت لك، قال أبو حمزة الثمالي: فوالله لقد رأيت كل ما ذكره عليه السلام في زيد[1].

الثاني: ما دل على بعض مساوىء المختار

١: روى الكشي في الصحيح عن حبيب الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين عليهما السلام[2].

٢: روى الكشي بإسناده عن عمر بن علي، أن المختار أرسل إلى علي ابن الحسين عليه السلام بعشرين الف دينار، فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودورهم التي هدّمت، قال: ثم أنه بعث إليه باربعين ألف دينار بعد ما أظهر الكلام الذي أظهره، فردها ولم يقبلَها.[3]

٣: روى الكشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب المختار بن أبي عبيد إلى علي بن الحسين عليهما السلام وبعث إليه بهدايا من العراق، فلما وقفوا على باب علي بن

(١) بحار الأنوار ج٤٥ص٣٥١

(٢) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤٠ح١٩٨

(٣) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤١ح٢٠٤

الحسين دخل الآذن يستاذن لهم، فخرج إليهم رسوله، فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذابين ولا أقرأ كتبهم. فمحوا العنوان وكتبوا المهدي محمد بن علي، فقال أبو جعفر: والله لقد كتب إليه بكتاب ما أعطاه فيه شيئا إنما كتب إليه يا ابن خير من طشى ومشى، فقال أبو بصير: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: أما المشي فأنا أعرفه، فأي شئ الطشى؟ فقال ابو جعفر عليه السلام: الحياة.(١)

٤: قال ابن نما: وكان المختار يجالس محمد بن الحنفية ويأخذ عنه الأحاديث، فلما عاد الى الكوفة ركب مع المغيرة يوما فمر بالسوق، فقال المغيرة: يا لها غارة ويا له جمعا، إني لأعلم كلمة لو نعق لها ناعق ولا ناعق لها لاتبعوه، ولا سيما الأعاجم الذين إذا القي إليهم الشي قبلوه. فقال له المختار: وما هي يا عم؟ قال: يستأدون بآل محمد صلى الله عليه وآله، فأغضى عليها المختار، ولم يزل ذلك في نفسه، ثم جعل يتكلم بفضائل آل محمد صلى الله عليه وآله وينشر مناقب علي والحسن والحسين عليهم السلام ويسير ذلك ويقول: انهم أحق بهذا الامر من كل أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويتوجع لهم مما نزل بهم.

الثالث: ما دل على نجاة المختار وأن الله تعالى يغفر له

ويدل على نجاة المختار ما رواه الشيخ الطوسي بإسناده عن بعض من رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يجوز النبي صلى الله عليه وآله الصراط يتلوه علي، ويتلو عليا الحسن، ويتلو الحسن الحسين فإذا توسطوه نادى المختار الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله عليه إني طلبت بثارك فيقول النبي صلى الله عليه وِآله للحسين عليه السلام: أجبه، فينقض الحسين عليه السلام في النار كأنه عقاب كاسر فيُخرِجُ المختار حممة، ولو شق عن قلبه لوجد حبهما في قلبه.(٢)

أقول: فيخرج المختار من النار بما فعل من أخذه بالثأر، والله على كل شيء قدير.

---

(١) اختيار معرفة الرجال ج١ص٣٤١ح٢٠٠، بحار الأنوار ج٤٥ص٣٤٤

(٢) تهذيب الأحكام ج١ص٤٦٦ح١٥٢٨

الخاتمة

١- الأمة الملعونة

لقد عرفت أن الله تعالى غضب على هذه الأمة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام، غضب الله عليها جميعها إلا قليلاً منها لأنها قتلته أو شاركت في قتله بَيدها أو سيفها أو مالها أو لسانها أو أعانت عليه أو رضيت ولقد سنَّ الله تعالى في خلقه أن الإثم لثلاثة هم الفاعل والمعين والراضي، فكل من قتل أو أعان أو رضي فهو من قتلة الحسين عليه السلام.

وركب معهم في سفينة السوء أو أبحر معهم في بحر الخطايا أمةٌ خذلت حسيناً وهم يعلمون، فلم ينصروه وهم بالنصرة مأمورون، ضنُّوا بأنفسهم عن نفسه وبولدهم عن ولده، ولم يبالوا – بعد أن غيَّبوا دمهم الخبيث إلى حين – بدم الحسين عليه السلام أن يُهدر، ولا بالحق أن يُهجر، ولا بالمعروف أن يُنكر، ولا بدين الله أن يُنحر.

غضب الله على هذه الأمة فكانت أمةً ملعونةً لعنها الله تعالى فصبَّ عليها العذاب صبّا، وأُلقي بأسها بينها فأريقت دماؤها أنهاراً وذلَّت أعناق كانت طوالاً حتى صافحوا بأيديهم أرجل أعدائهم وأقرّوا بألسنتهم وبطلاقة ليزيد وغير يزيد أنهم العبيد وأن نساءهم الإماء، فتبّاً وترحاً.

٢- بقاء غيظ المؤمنين والملائكة:

كما عرفت أن الله تعالى غضب على قتلة الحسين عليه السلام ولعنهم لعناً وبيلاً فسلّط عليهم – على كثرتهم – شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله – على قتلهم – فتتبّعوهم تحت كل حجر ومدر وبين أوراق الشجر فضيّقوا عليهم الآفاق حتى هدّموا بيوتهم وقتلوهم وصلبوهم وأحرقوهم – غير مأسوف عليهم – فلم يبقوا منهم باقية.

ولكن هل شفى الله صدور المؤمنين وهل أذهب غيظ قلوبهم؟؟؟

وهل انتقم الله تعالى لدماء الحسين عليه السلام؟؟؟ وهل انتصر له؟؟؟

أما في الجواب على السؤال الأول فنقول وبأعلى أصواتنا:

لا، لم يشف الله صدور المؤمنين ولم يُذهب غيظ قلوبهم.

وإذا أردت أن تعرف مصداق ذلك فانظر إلى الإمام القائم عليه السلام واسمع زيارة الناحية حين يقول: لأندبنَّك صباحاً ومساءً.

وانظر إلى ملائكة الله الحافين بقبر الحسين عليه السلام وهم ألوف يبكونه عند قبره وهم شعث غبر منذ يوم قتل إلى يوم قيام القائم عليه السلام، فقد جاء في الخبر الموثوق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: وكَّل الله تعالى بقبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلُّون عليه كل يوم شعثاً غبراً من يوم قتل إلى ماشاء الله - يعني بذلك قيام القائم .

وجاء في الزيارة الطويلة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: يا أبا عبد الله، يا حسين بن رسول الله، جئتك مستشفعاً بك إلى الله، اللهم إني أستشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكة الذين يضجّون عليه ويبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون، وهم من خشيتك مشفقون، ومن عذابك حذرون، لا تغيّرهم الأيام ولا يهرمون، في نواحي الحير يشهقون، وسيّدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبونَ، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، واشتد منهم الحزن بحَرقة لا تطفأ.

وانظر إلى المؤمنين وهم يبكون الحسين عليه السلام كل حين وقد قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر.

٣- عدم تحقق الإنتقام لدماء الحسين عليه السلام:

أما في الجواب على السؤال الثاني فنقول وبأعلى أصواتنا أيضاً:

لا، لم ينتقم الله تعالى للحسين عليه السلام ولم ينتصر له، ومصداق ذلك ما جاءنا في الخبر المعتبر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، فقال عليه السلام: الحسين بن علي عليه السلام منهم، ولم يُنصر بعد، ثم قال: والله لقد قُتِل قتلة الحسين عليه السلام ولم يُطلب بدمه بعد.

وإذا أردت أن تعرف مصداق ذلك ومعدنه فانظر إلى كل شيء كان حين قتل الحسين عليه السلام تجده اليوم ما زال على حاله في جوهره وحقيقته، وإنما تبدّل شكله وتغيّر منظره، وهذا تبدل لا يعني أهل الحقيقة بشيء، ولا ينظرون إليه من قريب ولا بعيد.

نظرة بسيطة إلى الأشياء تجعلك تدرك بسهولة هذه الحقيقة المهولة:

٤- قادة المسلمين:

انظر إلى قادة المسلمين وملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم فلا ترى إلا نسخا عن يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن وشريح القاضي وأضرابهم وأشباههم، نسخاً عنهم مُعدَّلة وغير مُعدَّلة، وربما نجد في هؤلاء نسخاً مشوهة عن أولئك، وربما يختجل أولئك من هؤلاء، وليس لهؤلاء فضيلة على أولئك إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليه السلام، ولو كانوا في زمان الحسين عليه السلام لما كان فعل هؤلاء يقصر عن فعل أولئك.

٥- عامة المسلمين:

وانظر إلى جماهير المسلمين فلا تجد إلا نسخا عن أهل الشام أو أهل الكوفة، إما أناس يؤمنون بالباطل فينصرونه، وإما أناس يجهلون الحق أو لم يدخل إلى أعماق قلوبهم فيخذلونه، ما زالوا كأولئك ينعقون مع كل ناعقٍ، ويميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق، همج رِعاعٍ همّهم الدنيا وزينتها وزبرجها وعلفهم ولباسهم وزينتهم ووجاهتهم، لا يبالون – بعد أن تُحفظ لهم دنياهم – أيّة حرمة هتكت وأي كريمة انتهكت وأيّة دماء سفكت، إن هؤلاء نسخة عن أولئك نسخاً معدّلة وغير معدّلة، وربما تجد في هؤلاء نسخاً مشوّهة عن أولئك، وربما يختجل أولئك من هؤلاء وأفعال هؤلاء، وليس لهؤلاء فضيلة على أولئك إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليه السلام، ولو كانوا في زمان الحسين عليه السلام لكانوا ما بين قاتل ومعين وراضٍ خاذل، فقبحاً لفلول الشرك وإخوان الشياطين.

٦- الحق وأهله:

وانظر إلى الحق فما زال مجهولاً أو مهجوراً أو مُحارباً أو منكوراً، ما زال الحق لا يُعْمَل به، وما زال الباطل لا يُتَنَاهى عنه، بل لقد تنامى الباطل وتعاظم، وانظر إلى أهل الحق أنصار الحسين عليه السلام وشيعته الصالحين الذين قصروا أنظارهم إلى محمد صلى الله عليه وآله وآله وحبسوا أنفسهم عليهم فهم بحبلهم مستمسكون وبأمرهم يعملون فإنهم – وإن كثر المدَّعون – ما زالوا أقل من القليل وأندر من الكبريت الأحمرِ ما زالوا مشرَّدين مقهورين إذا غابوا لم يُفقَدوا، وإذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا نطقوا لم يُسمعوا، وهم ملح الدنيا وجمالها وأوتاد الأرض وجبالها، إذا دُعوا لبُّوا، وإذا سمعوا الهيعة هبُّوا، يستأنسون بالمنية دون إمامهم كأُنس الرضيع بثدي أمه،

أيديهم على مقابض سيوفهم وعيونهم في عيون أئمتهم المعصومين وآذانهم على كلماتهم مقصورين، لا يسمعون غيرهم ولا يلتفتون إلى من دونهم ولا يتخذون من دون الله ولا المؤمنين وليجة، إنما هؤلاء نسخة عن أنصار الحسين عليه السلام لا يقصرون عنهم فضيلة إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليه السلام ولو كانوا في زمان الحسين صلى الله عليه وآله لكانوا معهم مضرّجين بدمائهم كالأضاحي على صعيد كربلاء، ويا لها من فضيلة فاتت فيا ليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً، وانظر إلى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فما زالوا سبايا وإن تبدل نحو السبي وطريقته، وهذا سيد ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته ولحمه ودمه غائب يترقب.

٧- بقاء قضية الحسين عليه السلام:

إذن ما زال كل شيء على حاله حين قُتل الحسين عليه السلام، وكأنه قتل البارحة بل إنما قُتِل الساعة، وما هذه القرون التي مرّت في عدادَ ساعة الدهر الكبير إلا لحظات بارقة.

كل شيء استفز الحسين عليه السلام واستوجب خروجه ما زال موجوداً...

وكل شيء حارب الحسين عليه السلام وأعان عليه وقتله ما زال موجوداً...

وكل شيء طالب الحسين عليه السلام به ما زال مفقوداً..؟

وبكلمة واحدة ما زال رأس قضيّة الحسين عليه السلام معلقاً على رماح الظالمين في كربلاء وفي أزقة الكوفة وفي أنحاء العراق والشام وعلى أعواد المسجد الكبير وفي كل أنحاء العالم، ما زال إسلام محمد صلى الله عليه وآله بلا ناس وما زال الناس بلا إسلام محمد صلى الله عليه وآله.

فأين الانتقام، وأين الانتصار، وأين الثأر، وأين الطالب بالثأر، لقد ظهر لك أن دماء الحسين عليه السلام ما زالت تغلي وتصرخ وهي في محلها الأعلى، وحق للملائكة الحافين بقبر الحسين عليه السلام أن يستمروا بالصراخ والعويل.

٨- متى الإنتقام لدماء الحسين عليه السلام:

والسؤال الآن... متى يتحقق الثأر والانتصار لدماء الحسين عليه السلام؟ .

وجوابنا على هذا السؤال واضح جلي لا يشوبه لبس ولا يعتريه غموض وهو بصريح العبارة ومختصرها: أنه على يد حفيده الإمام القائم عليه السلام حين خروجه، وإنما يتحقق الانتصار للحسين عليه السلام والثأر لدمائه على يده فقط، وفي زمانه فقط، ولن يثأر له أو ينتصر له أو ينتقم

له غيره عليهما السلام، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ فقال عليه السلام: ذلك قائم آل محمد صلى الله عليه وآله يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفا.

وفي خبر آخر معتبر عن الصادق عليه السلام قال: لما كان من أمر الحسين بن علي عليه السلام ما كان ضجّت الملائكة إلى الله تعالى، وقالت: يا ربّ، يُفعَل هذا بالحسين صفيِّك وابن نبيِّك، قال: فأقام الله لهم ظلّ القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم له من ظالميه.

وفي خبر آخر عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ألستم كلكم قائمين بالحق؟ قال عليه السلام: بلى، قلت: فلم سمّي القائم قائماً، قال عليه السلام: لما قُتل جدي الحسين عليه السلام ضجّت الملائكة إلى الله عز وجل بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيدَنا أتغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك، فأوحى الله عز وجل إليهم: قرّوا ملائكتي، فوعزتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثم كشف الله عز وجل عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسرّت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال الله عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم.

وفي خبر آخر عن كرام وهو كرام الخثعمي قال: حلفت فيما بيني وبين نفسي أن لا آكل طعاماً بنهار أبداً حتى يقوم قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: رجل من شيعتكم جعل لله عليه أن لا يأكل طعاماً بنهار أبداً حتى يقوم قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: فصم إذا يا كرام، ولا تصم أيام العيدين ولا ثلاثة أيام التشريق ولا إذا كنت مسافراً ولا مريضاً، فإن الحسين عليه السلام لما قُتل عجّت السماوات والأرض ومن عليهما والملائكة فقالوا: يا ربنا إءذن لنا في هلاك الأرض حتى نجدّهم من جديد الأرض بما استحلّوا حرمتك وقتلوا صفوتك، فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي اسكنوا، ثم كشف حجاباً من الحجب فإذا خلفه محمد صلى الله عليه وآله واثنا عشر وصياً له، ثم أخذ بيد فلان القائم من بينهم فقال: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي بهذا أنتصر لهذا، قالها ثلاث مرات.

وجاء في أخبار الملائكة الذين يقاتلون مع الإمام القائم عجل الله فرجه أن منهم الأربعة آلاف ملك الذين أذن لهم في نصرة الحسين عليه السلام، وهم فرقة المنصور وأنهم عندما هبطوا إلى الأرض وجدوا الحسين عليه السلام شهيداً فهم في الأرض ينتظرون قيام القائم عجل الله فرجه يبكون إلى وقت خروجه، وهذا ما يفيدنا أنهم إنما ينصرون للحسين عليه السلام عند خروج القائم عجل الله فرجه.

وجاء في الخبر المعتبر عن الصادق عليه السلام أنه قال لشيخ من الشيعة: أين أنت من قبر جدي المظلوم الحسين عليه السلام فقال الشيخ: إني لقريب منه، فقال عليه السلام: كيف إتيانك له، قال: إني لآتيه وأُكثِر، فقال عليه السلام: يا شيخ، ذاك دم يطلب الله تعالى به.

وجاء في زيارة من الزيارات المروية عن الإمام الصادق عليه السلام يقولِ لجده الحسين عليه السلام: أشهد أنك صادق صدّيق صدقت فيما دعوت إليه، وصدقت فيما أتيتَ به، وأنك ثأر الله في الأرض من الدم الذيَ لا يُدرَك ثأرُهُ من الأرض إلا بأوليائك.

وفي زيارة أخرى عنه عليه السلام قال: وأنك ثأر الله في الأرض والدم الذي لا يُدرِك تِرته أحدٌ من أهل الأرض، ولا يدركه إلا الله وحده.

٩- معنى ثأر الله:

وعندما نقول أن الحسين عليه السلام ثأر الله فلهذا معنى عظيم أوضحه الصادق عليه السلام في قوله في الخبر قال: إن الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشرار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى بن زكريا عليه السلام ببخت نصر.

لقد أوضح الإمام عليه السلام في الزيارات المتقدمة وما شابهها من الأخبار أن دم الحسين عليه السلام يختلف عن بقية دماء الأولياء لأنه دم يطلبه الله بنفسه لنفسه!! .

ولكنه عليه السلام أوضح في هذا الخبر أن المنتقم لهذا الدم العظيم هو ولي الله تعالى مع أن دماً مثل دم يحيى بن زكريا عليه السلام وهو نبي قديس فقد انتقم الله له بشرير من شرار خلق الله هو بخت نصر!! .

ومن ثم فقد أصبح ظاهراً أن دم الحسين عليه السلام له مزية على دم مثل دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فإن دم يحيى هو ثأر أولياء الله، وأما دم الحسين عليه السلام فهو ثأر الله تعالى وهو دم يطلبه الله لنفسه.

١٠- لماذا الحسين عليه السلام ثأر الله:

وأما السبب الذي استلزم هذه المزية واستوجب هذه الخصيصة في دم الحسين عليه السلام حتى كان ثأر الله دون دم يحيى بن زكريا عليه السلام وإخوانه من الأنبياء والأولياء الشهداء فهو أعظم من أن يدركه مثلي، ولعله أحد أمرين:

الأول: ميزة في ذات الحسين عليه السلام تميز بها يحيى بن زكريا عليه السلام، ولعل هذه الميزة تكون في عمق ولاية الحسين عليه السلام لله تعالى بعد اشتراكه مع يحيى بن زكريا عليه السلام في أصل الولاية لله تعالى، وذلك على اعتبار أن الحسين كجدّه وأبيه وأخيه والأوصياء من بنيه صلوات الله عليهم أجمعين حازوا أعلى درجات الفناء في الله تعالى شأنه حتى كانوا وجه الله تعالى وظل أسمائه الحسنى وبهذه الدرجة الخاصة التي لم يدركها أحد من أولياء الله تعالى كان لهم هذه الميزة بأن يكون التعرض لهم تعرضا لذات الله تعالى، وثأرهم ثأر الله، ودمهم دماً يطلبه الله.

الثاني: ميزة في أهداف ثورة الحسين عليه السلام وأسباب مقتله، توضيح ذلك: ان الحسين عليه السلام الذي هو خالصة الله تعالى إنما تحرَّك بأمر من الله تعالى ولهدف يريده الله تعالى ألا وهو حاكميته تعالى على عباده وبلاده، هذه الحاكمية التي أُزيحت يوم السقيفة.

وقد قُتل الحسين عليه السلام في خروجه هذا، ولم يقتله من قتله إلا لهذا السبب وبانقياد منهم لحاكمية الشيطان، ولهذا كان بعض من قتل تجري دموعه على خديه حين قتل الحسين عليه السلام، وما كان الظالمون يريدون قتل الحسين عليه السلام لو لم يُصرّ على معاندة حاكمية الشيطان ونصرة حاكمية الله تعالى وبأمر من الله تعالى، فالحسين إذن كبش الله تعالى، قدَّمه بيده لغرض من أغراضه، وبذلك كان دمه دماً لله تعالى يطلبه بذاته جلَّ جلاله، فلا جرم كان المنتقِم هو الله تعالى بيده، ويده تعالى لا تكون إلا ولياً من أوليائه وخالصة من خالصاته، ولا جرم كان المنتَقَم منه هو حاكمية الشيطان التي مآلها الزوال والفناء حين يتحقق إنتقام الله تعالى لدماء الحسين عليه السلام.

١١- ما بين قتل الحسين عليه السلام والإنتصار:

وما بين قتل الحسين عليه السلام والإنتقام له مرحلة عظمى من مراحل الدهر الكبير، سمَتُها البارزة حاكمية الشيطان وغياب حاكمية الله تعالى، ففي الخبر عن الصادق عليه السلام قال: لمَا قُتل الحسين عليه السلام سمع أهلنا قائلاً بالمدينة يقول: اليوم نزل البلاء على هذه الأمة فلا يرون فرحاً حتى يقوم قائمكم...

وفي خبر آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لا جرم ما وُفِّقوا ولا يوفقون أبداً حتى يقوم ثائر الحسين عليه السلام.

وعن الصحابي الصالح أبي ذر الغفاري عندما أخرجه عثمان إلى الربذة قال له الناس: يا أبا ذر أبشر، فهذا قليل في الله، فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتِل الحسين بن علي

عليه السلام قتلاً أو قال ذبح ذبحاً، والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإن الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً ويبعث ناقماً من ذريته فينتقم من الناس.

وستستمر حاكمية الشيطان بروزاً وظهوراً حتى تصبح هذه الأمة أذلَّ من الأَمَة وأضعف من المشلول، وحتى يصبح أفرادها كغنم في زريبة لا يبالي قصّابها على أي رأس منها وضع يده، وحتى يعود الإسلام غريباً، وحتى تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، وحتى تدلهم الظلمات.

فقد جاء في الخبر المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء.

وفي الخبر المشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله بين الخاصّة والعامّة: أن المهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلأت جوراً وظلماً، منها الخبر الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً. وهذا الخبر الصحيح والمروي بأسانيد جليلة، والذي له شواهد قوية في بعضها يقول:(له غيبة تضل فيها الأمم)، يدل على استمرار الضلال وتحكمه ليس في ملة الإسلام فحسب بل في سائر الأديان وكل الخلق حتى يضل الخلق جميعاً عن أديانهم.

وفي خبر آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه لحذيفة بن اليمان: ...

ثم يلي الحسين عليه السلام فتقتله، فلُعنت أمة تقتل ابن بنت نبيها، ولا تعز من أمة، ولعن القائد لها والمرتب لفاسقها، فوالذي نفسَ علي بيده لا يزال هذه الأمة بعد قتل الحسين ابني في ضلال، وظلمة، وعسفة، وجور، واختلاف في الدين، وتغيير وتبديل لما أنزل الله في كتابه، وإظهار البدع، وإبطال السنن، واختلال، وقياس مشتبهات، وترك محكمات، حتى تنسلخ من الإسلام وتدخل في العمى والتلدد والتكسع... الحديث طويل أخذنا بعضه.

والأخبار في هذا النحو كثيرة قد رأينا مصداقها بأعيننا ولمسنا تحققها بأيدينا حتى باتت أعمال هذه الأمة يستبشعها ويمجُّها أبناء الشرك والضلالة.

١٢- معنى حاكمية الشيطان:

وعندما نقول ان هذه هي مرحلة غلبة حاكمية الشيطان على حاكمية الله تعالى فلا نعني أبداً ولا نقصد بأي وجه من الوجوه غلبة ولي الشيطان على ولي الله، فإن هذا محال لأن

ولي الله هو من الله تعالى، وكما أن الله تعالى هو القهّار الغالب على أمره، فكذلك ولي الله تعالى فهو قهّار غالب على أمره، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

وإنما المعنى المقصود من غلبة حاكمية الشيطان هو أن العباد والبلاد تركت تولّي الله ووليَّه وانقادت إلى الشيطان وأشركت به وتولّت وليّه، فالمغلوب للشيطان حقيقة هو العباد والبلاد حيث سيطر عليهم ظلمات الشيطان وحرموا من إشراقة نور الله تعالى، وأما ولي الله فهو على حاله في الحالين لا يضرُّه إدبار العبادَ عنه كما لا ينفعه إقبالهم عليه، وإنما سعيه إذا سعى لإنقاذهم من براثن الشيطان ونقلهم إلى يد الرحمن، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو في الحالين على حاله يد الرحمن ونور الله في عباده وبلاده، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

١٣- السبب في غلبة حاكمية الشيطان:

ومن الضروري جداً أن تعرف أن السبب الذي يستدعي غلبة حاكمية الشيطان على حاكمية الله تعالى في أكثر مراحل التاريخ هو أن حاكمية الشيطان لها طرق شتّى من القهر والغلبة والجهل والغرور والمال والتغرير والمكر والخيانة والغدر والخديعة والأموال والشهوات، وأما حاكمية الله تعالى فليس لها إلا طريق واحد لا غيره، وهو الثقة بالله تعالى والإعتصام بحبله، وهو معنى ولاية الله تعالى، فحاكمية الله تعالى في الأرض ليس لها إلا طريق واحد وهو ولايته تعالى شأنه.

١٤- طهارة حاكمية الله تعالى:

ولو أن الله تعالى كان يقبل تحقق حاكميته عن أي طريق كان – سبحانه وتعالى عما يصفون – لكان هو الحاكم على مرّ التاريخ ولكان الشيطان هو المعزول المقهور على مرّ التاريخ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، ولكن الله – جلّت عظمته وتقدّستَ كلمته – شاء أن تكون حاكميته عن طريق انقياد العباد إلى ولايته، وما ومضات حاكمية الله تعالى التي تحقّقت في تاريخ هذه الأرض إلا من خلال هذا الطريق العظيم، والحكمة التي تدعونا إلى فهم هذا الحكم الإلهي والإعتقاد به إعتقاداً راسخاً هو معرفتنا وإقرارنا المطلق بأن الله تعالى سبوح قدوس ذو الجلال والإكرام، فجلَّ عن كل سوء ونقص، ومن جلاله

تعالى أن يجلَّ كل ما ينتسب إليه تعالى عن كل نقص وسوء، ومن ثم فلا ينتسب إلى الله تعالى شأنه إلا القدوس المطهَّر، ومن ثم فالحاكمية إذا أنتسبت إلى الله لا ريب يجب أن تكون مقدسة مطهرة عن كل نقص وسوء، فلا جرم ينحصر طريقها بالولاية المقدسة التي تفرزها التقوى المقدسة.

١٥- طهارة حاكمية الله من معرفته:

ومن هنا ظهر لك أن طهارة ولاية الله تعالى هي بالحقيقة والجوهر وصف من أوصاف الله تعالى، ومن هنا فمن عرف الله تعالى المعرفة الواجبة استحال عليه أن ينسب إلى الله تعالى نسبه غير مقدسة في أي ميدان ومن كل الجهات.

وفي الخبر المعتبر المروي بأسانيد متكثرة عن زرارة بن أعين، عن الصادق عليه السلام قال: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، فقال زرارة: ولم؟، قال عليه السلام: يخاف – وأومأ بيده إلى بطنه – ثم قال: يا زرارة، وهو المنتظر وهو الذي يشك الناس في ولادته... إلى أن يقول: غير أن الله تعالى يحبّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون، قال زرارة: فقلت: جعلت فداك فإن أدركت ذلك الزَمان فأي شيئ أعمل، قال: يا زرارة، إن أدركت ذلك الزمان فأدم هذا الدعاء: "اللهم عرفني نفسك فإنك أن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني ".... الحديث.

وهذا الحديث صريح في أن معرفة النبي صلى الله عليه وآله والولي إنما هي تبع معرفة الله وليس العكس كما يتخيلة كثير من الجهال، وإن كان العكس معنى صحيحاً ليس المجال مجال بيانه، ومعنى هذه التبعية – كما أفهمه – هو أن من عرف الله تعالى وآمن به، وعرف أنه القيوم ذو الجلال، علم أنه لا يمكن أن يهمل عباده دون عَلَم يبين لهم، كيف وهو القيوم، وإذا نصب لهم علماً فلا يمكن إلا أن يكون مطهراً كيف وهو ذو الجلال والإكرام، فمن عرف الله تعالى ونزّهه نزَّه النبي والولي عن كل سوء ونقص، ومن لم يعرف الله تعالى ولم ينزهه أحتمل في النبي والولي كل احتمال، فعرض على قلبه الريب ودخلت عليه المذاهب والإحتمالات وضاع عن دينه.

ومن ثم فكل من ينسب الى النبي أو الولي ما لا يليق بالقدوس من الصفات، وكذا كل من يحتمل بهما ذلك، فقد جهل حال أنبياء الله وأوليائه، وكان جهله هذا بهما ناشئاً عن جهله بالله تعالى شأنه جل جلاله.

١٦- أسباب خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه:

ومن هذه العصارة السريعة نستنتج أن هذه الأمة ــ من حين قتل الحسين عليه السلام ــ قد غرقت في ظلمات الظلم والبدع حين أعرضت عن وليها، وستبقى تغوص في بحر الظلمات حتى ترتطم بقعره، وستبقى ترتطم إلى حين تدرك ظلمها وعجزها عن ولاية أمرها، وذلك أوان خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي سينتقم لدماء الحسين عليه السلام وينتصر لقضيته ويعيد الحق إلى نصابه ويخرج الأمة من الظلمات إلى النور، لا محيص ولا مفر عن ذلك مهما اغتر المغترون ومهما جهل الجاهلون.

ونستنتج أيضاً أن المهدي عجل الله فرجه إنما يخرج إذا تهيأت أسباب إستقرار حاكمية الله تعالى وتغلبها على ولايات الشيطان.

وقد عرفت فيما قدمناه أن السبب الوحيد لحاكمية الله تعالى هو انقياد العباد لولايته تعالى وإعراضهم عن ولاية الشيطان، فعندما يشيع بين الناس الإعراض عن ولاية الشيطان بكل أشكالها العجيبة وألوانها الغريبة، وعندما لا تستطيع ولاية الشيطان بكل أشكالها وألوانها أن تستميل قلوب الناس وأفئدتهم بحيث تمنع من استقرار حاكمية الله تعالى عندها فقط تتهيأ القلوب للإنقياد إلى ولاية الله تعالى شأنه.

١٧- أسباب الإعراض عن ولاية الشيطان:

واعلم أيضاً أن إعراض القلوب عن ولاية الشيطان بكل أشكالها إنما يكون عندما تدرك هذه القلوب عقم هذه الولايات عن تحقيق الطموح الذي تهوي إليه هذه القلوب، وبعبارة أخرى فإن الناس بنحو عام إنما تهوى قلوبهم السلام والعدل والإطمئنان، وهذا هو ما يبحثون عنه بادئ ذي بدء، وهذا هدف سام كريم، ولأنهم أهل الجهل والضلاله يبحثون عن هذا الهدف السامي في الأوحال والأوساخ، أعني في ولاية الشيطان، وهم لجهلهم لا يعلمون أن السلام والعدل إنما يكون في القداسة والطهارة أعني في ولاية الله تعالى.

ولأجل هذا الجهل والضلال الذي هو فخ الشيطان الذي وقعت فيه البشرية الضالَّة في أغلب الأحيان إنحاز كل فرقة لعصبيتهم وتعددت الرايات ومن ثم اختلفوا فتنازعوا فذهب ريحهم الطيب وجاء ريحهم النتن.

وكرَّت الأيام والسنون والبشر في براثن الشيطان، وستكر الأيام والسنون على هذا المنوال

حتى يكتشف الناس هذا الفخ الخبيث ويستيقنوا قبحه ويدركوا بما لا مزيد عليه أن هدفهم المنشود السامي لن يتحقق عن هذا الطريق.

١٨- كيف السبيل إلى الإعراض عن ولاية الشيطان:

واعلم أيضاً أن الناس في إكتشافهم لهذا الفخ وإدراكهم عقم ولايات الشيطان على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول والأعلى: وهو الذي يدرك ذلك بعقله الفطري وقلبه السليم، وهذا الصنف من الناس هم الصنف الأجود والأندر بطهارة ونقاء قلوبهم وفطرتهم، وما أشد ندرتهم في هذا الزمان والأزمنه السابقة.

الصنف الثاني: وهو الذي يدرك ذلك بمعرفة تعاليم الأنبياء والأولياء فلطالما كان الأنبياء والمرسلون مهتمين بهذه الناحية ويبلغون جماعاتهم بأعلى أصواتهم هذا المعنى ولا سيما نبينا الكريم محمد ﷺ وآله الطيبين، وهذا الصنف من الناس هم الذين قصروا عقولهم على طاعة أولياء الله فأخذوا منهم ولم ينحرفوا شمالا ولا يمينا، قال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

الصنف الثالث: هو الذي لا يدرك هذا المعنى الكريم إلا عن طريق الحس والتجربة، وهؤلاء أيضا كرام يقعوا ويقوموا ويتعلموا كيف لا يقعوا مرة أخرى بركنهم إلى ركن وثيق بخلاف من يقع ثم يظل ينتقل من فخ للشيطان إلى آخر حتى يموت.

١٩- إدراك أهل الحكمة لزوم الإعراض عن ولاية الشيطان:

أما الصنف الأول فيدرك هذا المعنى الكريم بعقله السليم، وذلك أنه يدرك بفطرته وعقله أن هدفه السامي وهو العدل والسلام والإطمئنان لا يكون إلا بولاية الله تعالى وحده، والسر في ذلك يكمن في قاعدتين فطريتين قد أودعهما الله تعالى في سائر العقول والقلوب، وهما:

القاعدة الفطرية الأولى: أن فاقد الشيء لا يعطيه، والشيطان وأولياؤه فاقدون لصفات العدل والسلام والإطمئنان، فإن هذه الصفات هي مقدسة من صفات وأنوار الله تعالى شأنه، ومن ثم فكل قلب سليم يدرك بكل قوة أن ولاية الشيطان لا يمكن أن تنتج حقيقة الإطمئنان والسلام والعدل.

والفطرية الثانية: هي أن النتيجة تتبع أخس المقدمات، لأن المعلول من سنخ علته وتابع لها، وهذا الفطرية من الفطريات البديهية السارية في كل الوجود، وهي تنتج أن كل ما يتحق في الخارج من السياسات ما لم يكن بيد المعصوم فهو ملوث بيد الشيطان حتما، وذلك لوضوح أن السياسات في الخارج لا بد أن يكون لها مقدمات تنتجها، وبعض هذه المقدمات بشرية حتما، فإن لم تكن هذه اليد البشرية معصومة عن الباطل وقعت فيه.

وهاتان الفطريتان في غاية الوضوح والبداهة، وينتجان بوضوح أن الولايات كلها ما لم تكن لله تعالى فهي للشيطان.

٢٠- محاولة أولياء الشيطان إخفاء الفطرية الأولى

إلا أنه كثيرا ما حاول أولياء الشيطان أن يخفوا الفطرية الأولى عن طريق الإدعاء بأن وليهم هو ولي الله تعالى وأنه يحمل صفات السلام والعدل والإطمئنان، وهذه المحاولات هي أكثر المحاولات شيوعا عند أولياء الشياطين قديما وحديثا، وقد اغتر على مرّ التاريخ كثيرٌ من الجهال العميان، فانقادوا إلى فخ الشيطان وهم يحسبون أنهم يسيرون في طريق الرحمان.

وأما العاقل السليم الفطرة فيدرك بطلان هذه الدعاوى الفاجرة بمجرد النظر إليها لأن ولاية الله تعالى لا تكون إلا من أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى أعظم ظهورا وأوضح حالا من أن يخفى أو يحتاج معرفته إلى تهريج المهرجين.

٢١- محاولة أولياء الشيطان إخفاء الفطرية الثانية

كما حاول كثير من أولياء الشياطين أن يخفوا الفطرية الثانية بعد عجزهم عن إخفاء الفطرية الأولى وذلك عن طريق الإيحاء إلى الجهال بأن السياسات هي نتيجة الشعارات الطيبة والقوانين الكريمة، وخلف هذا الستار من القوانين العظيمة اختبا الكثير من المجرمين الذين جاهروا بشعارات وقوانين سامية ومنها شعار الإسلام وقوانينه النقية وسيطروا بواسطتها على عقول الجهال مددا طويلة.

ولكن العاقل الكريم لا يغفل عن أن الشعارات والقوانين مهما كانت سامية لا يمكن أن تنتج شيئا في الخارج، فإن القانون لا بد له من يد بشرية تطبّقه فكل قانون حتى قانون الله تعالى وهو القانون المثالي لا ينتج إلا بيد بشرية تطبّقه في الأرض، فالمتحقق في الخارج هو

معلول لعلة مركبة من القانون ومُطَبِّقه لا من القانون وحده، وهذه هي المشكلة التي أصبحت مشهورة وأصبح الكثير من المفكرَين يسمونها بالفرق بين النظرية والتطبيق، بحيث سقطت قيمة كل النظريات ما دام التطبيق بيد الإنسان الذي يخزن في باطنه العظيم من الفساد.

٢٢- إدراك الصنف الثاني لزوم الإعراض عن ولاية الشيطان

أما الصنف الثاني وهم الذين يدركون الحقائق لاقتصارهم على تعاليم نبينا وأهل بيته الطاهرين، فحق لهم أن يدركوا هذه الحقيقة حيث أوضحوا بما لم يدعوا معه للشك أن العدل والسلام والإطمئنان لا يحمله إلا إمام من الله تعالى، وتبيان ذلك بوضوح يحتاج إلى كتاب مستقل أعد إخواني المؤمنين بنشره إلا أنه لا بأس بالإشارة إلى بعض النصوص، ومنها:

١: قوله تعالى في سورة البقرة ٢٤٦: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾

٢: قوله تعالى في سورة الحج ٣٩: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

٣: ما رواه الكليني في الكافي بإسناد معتبر عن ضريس عن أبي عبد الله(عليه السلام) في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، قال: شرك طاعة وليس شرك عبادة، وعن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾، قال: إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون في أتباعه، ثم قلت: كل من نصب دونكم شيئاً فهو يعبد الله على حرف، فقال: نعم، وقد يكون محضاً[(١)].

٤: ما رواه الكليني في الكافي بإسناد معتبر عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان شركاً بالله.[(٢)]

٥: الخبر الصحيح الذي رواه الثقات عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل، وروى مالك بن أعين الجهني نحوه عن الإمام الباقر عليه السلام.

---

(١) الكافي ج٢باب الشرك ص٣٩٧ح٤.

(٢) الكافي ج١باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ص٣٧٣ح٦.

٢٣- إدراك أهل التجربة لزوم الإعراض عن ولاية الشيطان:

وأما أهل التعلم من التجارب من أصحاب الأهداف السامية فلا بد لهم أن يدركوا عقم الولايات البشرية ولو بعد حين، فإن كثيراً من الناس يدخلون في ولايات الشيطان بهدفهم السامي ولكن لا تمضي الأيام والسنون حتى يدركوا بأم أعينهم قبح ما جنته أيديهم وربما طالهم هذا القبيح بأنفسهم حتى كانوا صرعى وضحايا أفعالهم قال تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾.

ولكن الذي أريد أن أقوله لهؤلاء الصنف من الناس أهل التجارب أنه ينبغي لهم أن ينقطعوا عن تجاربهم الخاصة فإن في التاريخ الماضي عبراً وتجارب هائلة ما زالت ماثلة أو مسطورة تكفي لتكون مدرسة لمن ألقى السمع وهو شهيد، وينبغي لأهل الحق الإستفادة من تجارب الآخرين إلا أن الكياسة والفطانة والإستفادة درجات، فمن الناس من يتعلم من تجارب غيره، ومن الناس من لا يتعلم إلا من تجربته، وربما كرَّر التجربة أكثر من مرة حتى يفقه الحقيقة

ولقد تحقق حتى هذا اليوم من هذه التجارب الفريدة والجماعية مما عرف ومما لم يعرف ما لا تحصيه حسابات البشر ولا يحيطون به وستبقى هذه التجارب الفردية والجماعية تتحقق على مرّ التاريخ القادم حتى ينتشر بين الناس ويعلم الكبير والصغير عقم هذا الطريق وقبحة ولؤمه وغروره، حتى يدرك كل إنسان قبل دخوله في أي ولاية من ولايات الشيطان أنها لا تحقق هدفه السامي المنشود وأنه إذا دخلها فإنما يدخلها لتحقق مآرب أخرى ظلماً أو معذوراً وحسابه على ربه.

٢٤- حتمية سقوط الولائج وإدراك نهاية التجارب:

وهذه النتيجة تقتضيها حتمية تطور العلم وانتشاره، فإن كل علم مهما دقَّ أو جلَّ فإنه حتما سينتشر بين الناس إن عاجلاً او آجلاً، واكتشاف أفخاخ الشيطان وعقم ولاياته هو معلومة من المعلومات وحقيقة من الحقائق التي سيأتي يوم وتنكشف للناس بشكل عام.

على هذه النتيجة وعلى حتميتها قد دلَّت النصوص، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

وقد ورد عن الباقر والصادق عليهما السلام في تفسير هذه الآية ﴿.... حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾

قوله: يعني بذلك خروج القائم وهو الحق من الله عز وجل يراه هذا الخلق لا بد منه.

وفي الخبر المعتبر الذي رواه الثقة الجليل محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا قد ولوا من الناس حتى لا يقول قائل: لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم بالحق والعدل.

هذا الخبر الذي رواه أعاظم الرواة الثقات الأجلاء الذين لا ريب في صدقهم وضبطهم صريح في أن زمن الفرج وحاكمية الله هو زمن اليأس من حاكمية الشيطان أعني زمن يعلم فيه الجميع بطلان دعوى الرايات والولايات التي تدّعي العدالة.

وفي خبر آخر معتبر أيضاً عن الرضا عليه السلام قال: إنه سيكون —يا حسن— فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل وليجة وبطانة وذلك عند فقدان [1] الشيعة الثالث من ولدي...

والولائج والبطائن في الولايات والعصبيات إنما تسقط جميعاً بظهور عورتها للعموم، لا بفنائها كلها، لوضوح وجوب بقائها قبل ظهور ولي الله تعالى عجل الله تعالى فرجه الشريف لامتناع خلو الأرض من وال بر أو فاجر.

وفي خبر آخر عن الباقر عليه السلام قال: إنه لا بد من أن يكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة حتى يسقط فيها من يشق الشعيرة بشعرتين حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا، وهذا الخبر كسابقه في الدلالة على سقوط سائر الولايات والعصبيات حتى تلك الولايات البالغة الفطنة والقدرة حتى القادرة على شق الشعرة إلى شعيرتين.

وفي خبر آخر عن الباقر عليه السلام يقول: ... فخروجه إذا خرج يكون اليأس والقنوط من أن يروا فرحاً....

وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن ذكر ظلمهم لعلي وولده عليهم السلام، قال: وأخبرني جبرائيل عليه السلام عن ربه عز وجل أن ذلك يزول إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم وأجمعت الأمة على محبتهم وكان الشانئ لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً وكثر المادح لهم وذلك حين تغيّر البلاد وتضعف العباد والإياس من الفرج وعند ذلك يظهر القائم فيهم.

٢٥- المقدمة الأساسية لظهور ولي الله تعالى عجل الله تعالى فرجه الشريف

ومن هذه الأخبار الشريفة وما بمضمونها من أخبار أخرى كثيرة يظهر أن المقدمة الأساسية

(١) أقول: فقدان الثالث كما يدل عليه بقية الخبر هو وفاة الإمام الحسن بن علي بن محمد علي الرضا عليهم السلام.

لظهور الإمام القائم عجل الله فرجه روحي فداه هي ما قدمناه من انتشار حكمة إعراض ويأس البشر من ولاية الشيطان بكل أشكالها وألوانها بمعنى إدراكهم الكامل لعقم هذه الولاية وعدم إيصالها إلى ما ينشده عموم بني البشر من العدل والسلام والإطمئنان.

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نفهم الخبر الصحيح الذي رواه الثقات عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم عليه السلام فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل.

فإن غرض الأئمة صلوات الله عليهم التعجيل والإسراع بقطع آمال الأمة من الرايات البشرية التي ستكون حتماً شكلاً من أشكال ولاية الشيطان. لعدم قدرتها على إقامة العدل والسلام والإطمئنان فضلاً عن الإنتساب إلى ساحة الله السبوح القدوس.

٢٦- أهمية السعي في تحقيق مقدمة ظهور ولي الله تعالى عجل الله فرجه

وبما أن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه وتحقيق العدل والسلام والإطمئنان في الأرض عن طريق ولاية الله هو الهدف الأسمى للخلق، فلا جرم كان تهيئة مقدمات هذا الخروج هو من أسمى الأعمال وأقدسها وأعظمها فضلاً وإرتباطاً بالهدف الإلهي.

ومن هذه الزاوية نفهم عمق الخبر المروي عن الإمام الجواد عليه السلام والذي يقول: أفضل أعمال شيعتنا إنتظار الفرج.

فإن هذا الإنتظار أصبح عملاً إيجابياً يتضمن إيجاد المقدمة الأساسية لأعظم وأقدس عمل في الوجود، حيث أصبح هذا الإنتظار باعثاً على تعجيل قطع الآمال من ولاية الشيطان ولا بد أن نفترض أو نحرض فئة من البشر المتميزين على عدم قطع آمالهم من إقامة العدل والسلام – وإن قطعت آمالهم بإقامتها عن طريق ولاية الشيطان – وبالتالي ستكون آمال هذه الفئة متعلقة بالطريق الإلهي الذي تعتقد أنه الوحيد القادر على تحقيق آمالها، وهذه الفئة المتميزة ستكون هي السبّاقة إلى نصرة الإمام المهدي (عج) حين خروجه.

٢٧- نداء دماء الحسين عليه السلام:

ومن هذا المنطلق نوجه النداء الذي نستوحيه من صدى دماء الحسين عليه السلام...

إلى كل الذين ينشدون دم المظلوم..

وإلى كل الذين ما زالوا غاضبين على قتل الحسين عليه السلام..

وإلى كل الذين ما زالوا جزعين يبكون دماء الحسين عليه السلام..

وإلى كل المؤمنين العاشقين لرفع كلمة الله تعالى وجعلها العليا...

وإلى كل الأحرار في العالم الذين ينشدون إرساء السلام والعدل والإطمئنان في العالم...

أدعوهم أن يبادروا إلى اختصار متاعب وأهوال البشرية بسلوك مسلك واحد لا ثاني له ألا وهو تعبيد طريق إستقرار حاكمية الله تعالى شأنه في عباده وبلاده بالإعراض عن ولاية الشيطان بكل أشكالها وألوانها.

فليؤمنوا بذلك إيمانا عميقا في الظاهر والباطن، وليظهروه، وليبينوه، وليعلموه لسائر المساكين والمستضعفين الحائرين من بني البشر مهما أمكنهم ذلك، والأمر بيد الله تعالى، ولا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم، والله ولي التوفيق أولاً وآخراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأقل محمود علي قانصو

في ضيعته الشهابية ١٢. ١. ٢٠٠٢م، الموافق ٢٨. من شهر شوال. ١٤٢٢ هـ

وتم الإنتهاء من إعادة تنقيح الكتاب للمرة الثانية وإدراج بعض الزيادات والتوضيحات عليه في ٢٤ـ١١ـ٢٠١١، الموافق ٢٧ من شهر ذي الحجة.

الفهرس

الكتب التي طبعت لسماحة المؤلف دامت إفاضاته

١. المقدمات والتنبيهات في شرح أصول الفقه ثمانية مجلدات

٢. مصابيح الولاية خمسة مجلدات

٣. الروايات المشتركة بين السنة والشيعة في الصوم (بالإشتراك مع آية الله محمد علي التسخيري)

٤. الروايات المشتركة بين السنة والشيعة في الجمعة (بالإشتراك مع آية الله محمد علي التسخيري)

٥. الروايات المشتركة بين السنة والشيعة في الحج (بالإشتراك مع آية الله محمد علي التسخيري)

٦. الحجة على البشر في النص على الأئمة الإثني عشر (الأدلة الدامغة)

٧. الصحف المقدسة عند آل محمد صلى الله عليه وآله

٨. كتاب علي عليه السلام الجامعة.

٩. رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة

١٠. إباحة المتعة حق السنة على أهل السنة جزآن في مجلد واحد

١١. خروج الحسين عليه السلام الى كربلاء ثورة أم شهادة جزآن في مجلد واحد

١٢. ما بعد كربلاء مجلد واحد

١٣. دروس في فقه النكاح (دروس القاها في كلية الإجتهاد الجامعة الإسلامية في لبنان)